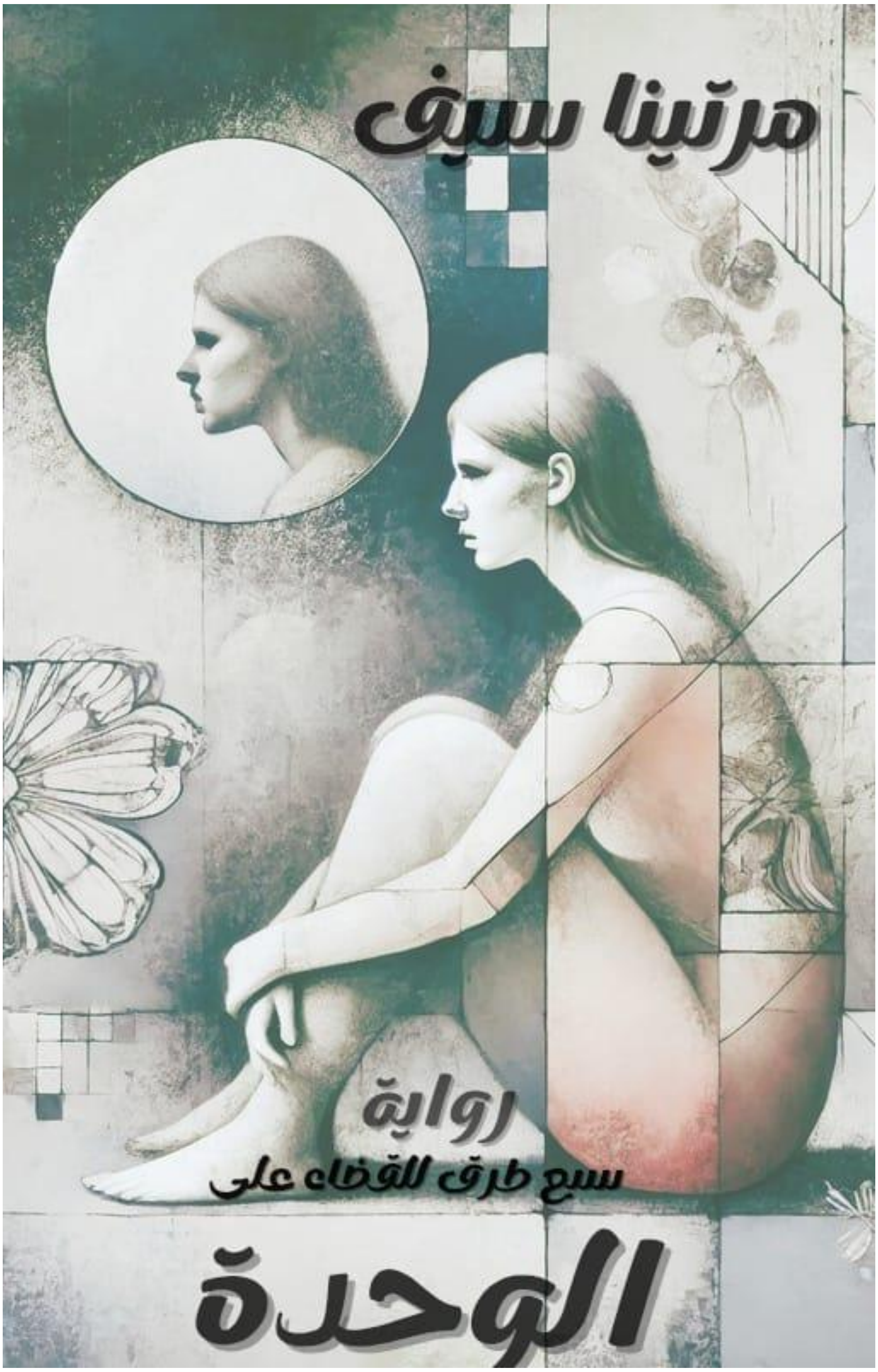
مرتينا سيف
رواية
سبع طرق للقضاء على
الوحدة

مقدمة

إذا جذبك عنوان هذا الكتاب، فأنت بالتأكيد وحيد. ربما اعتقدت أن هذا الكتاب سيقدم لك حلولًا، لكننا سنبحر مع شخصيات تعاني من الوحدة، لنرى ما الذي وجده كلٌّ منهم. سنجمع هذه الشخصيات في مكتب واحد يعملون فيه معًا. في الواقع، لا يمكن أن تجتمع كل الشخصيات الوحيدة في مكان واحد، لكننا في رواية، أو ربما في الحقيقة أيضًا... من يدري؟

(1) ياسمين

ياسمين... هذا اسمي. يجب أن تحفظه جيدًا، لأنه سيرافقك طوال هذه الرواية. ببساطة، أنا الراوية التي ستسرد لك الأحداث. من أنا؟ مجرد فتاة وحيدة تبحث عن طرق للقضاء على الوحدة. يبدو أن الوحدة هي عدو الإنسان الأول، فمنذ لحظة ولادتنا، نبكي حين ننفصل عن أمهاتنا. نحن نكره الوحدة والانفصال. وإذا تأملت أي جماعة، ستجد أنها مجرد مجموعة من الوحيدين اجتمعوا معًا، كما هو الحال في مكتبنا... رفقة من الوحيدين معًا. هيا نبدأ!

****

(2) شيرين

كان يبدو أن بها شيئًا مختلفًا اليوم. كانت تلتفت يمينًا ويسارًا. إنه نفس المكتب الذي تأتي إليه كل يوم للعمل، لكن شيرين اليوم ليست شيرين التي كانت بالأمس. أخرجت هاتفها وظلت تحدق في الرسالة.

- **انت طلعتِ حلوة أوي**

تذكّرت شيرين تلك الليلة التي تخلّت فيها عن نفسها... أو بالأحرى، تركت "شيرين" جانبًا، وارتدت قناع "نورا". امرأة لا تملك وجهًا، ولا تاريخًا،

فقط ثديان مكشوفان في صورة مشوشة، أُرسلت عبر حساب مزيف على فيسبوك إلى رجل لا تعرفه

كانت تستكشف تفضيلاته الجنسية، ماذا يحب؟ ماذا يثيره؟ كيف يتخيّل المتعة؟ ... منذ سنوات، لم يخطر لها أنها قد تعود لهذا النوع من التوق.

هجَرها زوجها، تركها لأمومتها ووحدتها، مع فتاة في الثانية عشرة وولد في السابعة. وذات مساء خانق، شعرت بأن أنوثتها لم تعد مرئية. لم يلمسها أحد، لم يشتق إليها أحد، لم يقل لها رجل إنها ما زالت جميلة، وللحظات، صدّقت أنها نورا. ليست الأم المتعبة، ولا الموظفة المثالية، بل امرأة يُشتهى جسدها، ويُلاحَق ظلّها. لم يكن الأمر مجرد صورة، بل اعتراف خفي: أنا ما زلت أملك أثرًا في عالم الرغبة.

أغلقت الهاتف، ولم تجب على الرسالة، وبدأت تعمل كأن شيئًا لم يكن. ثم حادثتني حين مرت علينا إنجي، مديرتنا، المطلقة التي لديها ولدان: فتاة في العشرين من عمرها، وولد في السابعة عشرة. تزوجت من رجل اكتشفت لاحقًا أنه مدمن مخدرات، توقف عن الإنفاق على المنزل، ثم بدأ يضربها ويضرب أطفالهما. تطلقت منه، ورفضت الزواج مجددًا خوفًا على أبنائها من زوج أم.

لكننا نلاحظ الآن تغيرًا في شخصية إنجي... طريقة ملابسها، تسريحة شعرها... يبدو أن هناك شيئًا ما.

حادثتني شيرين

- **مش ملاحظة حاجة يا ياسمين**

- **حاجة إية.. مش واخدة بالي**

تدخلت رانيا زميلتنا في الحديث

- **ياسمين مش مركزة غير مع الكتب والروايات اللي بتكتبها بس**

قلت سائلة

- **قصدكوا اية**

قالت رانيا سريعاً

- **شيرين بتكلمك عن انجي، لابسها بقي أحلى وكمان غيرت الكحكة اللي ماكنتش بتعمل غيرها وبدأت تفرد شعرها**

قلت

– **إية يعني يمكن زهقت**

ضحكا سوياً ثم قالت رانيا

– **أو يمكن عايزة تتجوز تاني**

قلت

–**هي مش لما اتطلقت، قالت ان جوزها عقدها من الرجالة كلهم**

قالت شيرين

–الكلام ده من عشر سنين، الواحد بيتغير

قلت

–بس انجي ولادها كبروا، دي عندها بنت في الجامعة وولد في الثانوية

قالت رانيا

–واية يعني انجي لسة صغيرة، دي يادوب حاجة واربعين سنة، ممكن تتجوز تاني

ثم قالت شيرين

–يمكن بعد ماتجوز بنتها، تفكر تتجوز هي

تركتُ الحديثَ بين شيرين ورانيا، وتذكّرتُ محادثةَ إنجي على الهاتف منذ يومين. فرغم الفارق العمري بيننا، تظلُّ إنجي إحدى أفراد شلّتنا، "شِلّة النساء الوحيدات". كانت يومها حزينةً وتبكي. في البداية، لم أستطع أن أفهم منها شيئًا، ثم أدركتُ أنها تبكي بسبب ابنتها.

– براحة يا انجي عشان افهم، يعني انت سمعتي بنتك بتقول إية

– كانت بتكلم واحدة صاحبتها، طبعا انا مش بتصنت على ولادي انت عارفاني

– ما علينا يا انجي، كملي

–المهم اني سمعتها بتقول لصاحبتها، انا مش عايزة اكبر وابقى زي ماما في الاخر، تخيلي بعد كل اللي عملته عشانهم، البت خايفة في الاخر شبهي

– طب واحدة واحدة كدة يا انجي، يمكن البنت خايفة ترتبط بحد زي ابوها، اللي انت مش بتجيبي سيرته غير بكل شر، ومش بتحكيلهم غير معاناتك معاه، وقد اية طلعت عينك عشان تعرفي تربيهم، تفتكري بنت مراهقة في أول حياتها هاتتمنى لنفسها انها تعيش حياة زي دي، طب انت نفسك تحبي ان بنتك تعيش حياة شبهك

– يا سيتي انا مش عايزة بنتي تشقى وتشوف اللي شوفته بس برضو تتكلم عليا بطريقة احسن من كدة، ده هي واخوها طول الوقت طلبات واوامر لو اتاخرت مش بيقدروا الظروف، طول الوقت مش عاجبهم حاجة

– انجي، أولادك لسة صغيرين، هم أصغر من انهم يستوعبوا انت ضحيت بأية عشانهم، أنت بس اللي كنت فاكرة انهم هيعملوا ليكي تمثال في نص الصالة تقديراً لجهودك معاهم ويدوكي الأم المثالية

صرخت بي انجي

– ياسمين ماتستفزنيش، تعرفي أنا اللي غلطانة أنى ماتجوزتش زمان وعيشت حياتي

انتهيت من شرودي وقلت في نفسي، هل تكون انجي ترغب حقاً في الزواج كي تعوض نفسها، أخرجني من أفكاري صوت شيرين وهي تقول

–عارفين يا بنات، أنا بحس أني شايفة في انجي مستقبلي، ست وحدانية بتربي عيلين ومش سألين فيها

ضحكتُ في سرّي، شاكِرةً لله أن إنجي ليست هنا، حتى لا تسمع أن هناك شخصًا آخر يخشى أن يصبح مثلها. فهي ترى نفسها بطلة، وهي بالفعل كذلك، فقد تحمّلت بمفردها مسؤولية طفلين. لكن ليس من الجيّد أن تشعر بأن الجميع يخشون مواجهة مصيرك التعِس، حتى وإن كنتَ بطلًا.

ثم أكلمت شيرين

-بس حتى انجي، وضعها احسن مني، هي اتطلقت، وعارفة اتطلقت لية، ماتسابتش متعلقة زي ومش عارفة هي عملت لية، والكل اللي يشوفها يسأل لية جوزها سابها ومشي

صمت أنا ورانيا بآسف أمام كلمات شيرين، حتى قالت

-طب ماتطلقي يا شيرين

صمتت شيرين وبدا حزن في عينيها، فلم تلح رانيا بالسؤال عليها

****

(3) رانيا

في أثناء ال break جاءت رانيا نحوي، سألتني عن مظهرها وتسريحة شعرها

- في اية يا رانيا، مالك النهاردة

-مفيش بس عمر جاي يشوف ماما النهاردة

_ بس انتوا مختلفين اوي في الشخصية

_ مانا عندي حل للموضوع ده

مالت رأسي نحوها وقلت

_ إية الحل

_ انا هلغي شخصيتي تماماً

قلت باستغراب مصطنع

_ لا.. يا شيخة.. ده إية الحل العبقري ده

ابتسمت ابتسامة بلهاء وقالت

_ المهم انا هدرب نفسي على القعدة النهاردة، هفضل ساكتة تماماً، مفيش آراء، هفضل ساكتة واعمل نفسي زي المكسوفة

وقامت بتقليد إسماعيل ياسين في جملتها الأخيرة

_ طب ولية كل ده

_ طبعاً عشان الموضوع يمشي، انا مش بيمشيلي مواضيع

ابتسمت ابتسامة مصطنعة وأنا اعرف أن رانيا ذاهبة في داهية لا محالة

****

4 (سلمى)

الآن ستأتي، أغمض عينه ربما إذا رأته نائم تذهب، لكنها جاءت

_ ماجد ماجد.. حفاظات الولد خلصت محتاجة علبة جديدة

لم يجب ماجد، أخفى وجهه في الوسادة، أعادت سلمى كلامها ثم سحبت أحد علب السجائر بجانبه وقالت

_ طبعاً مش بتنسى تجيب سجائر لنفسك، إنما ابنك بطلع عيني عشان اطلب منك حاجة

قام ماجد من أسفل الوسادة وقال

_ كفاية بقى.. عمال اشتغل زي الحمار عشان أكفي طلباتك وبرضو مش عاجبك

قالت سلمى بنبرة شبه باكية

_ أنا كل ما اطلب منك حاجة، تحسسني إني بشحت منك، وياريت بطلب حاجة لنفسي، كله لابنك

لم يتحمل ماجد أن تبدأ زوجته في البكاء كعادتها، لذا حمل نفسه وقام وقال إنه سيذهب للقهوة قالت سلمى

_ دي عادتك، دايما تمشي وتسيبني

لم يُجب ماجد عليها وبدأ في تغيير ملابسه فأكملت سلمى حديثها

_ بكره تخلص أجازتي، وهرجع الشغل تاني

_ طيب

ثم أكمل ماجد ارتداء ملابسه وفتح الباب فقالت سلمى

_ ماتتأخرش زي كل مرة

أجاب ماجد بضيق

_ طيب

ثم خرج من عتبة الباب فقالت سلمى

_ وماتنساش الحفاظات

لم يُجبها ماجد، ثم خرج من المنزل. ذهب إلى القهوة وقضى الليل كله هناك، فلم يستطع أن يعود إلى المنزل ليواجه سلمى دون أن يحمل معه حافظات ابنه، إذ لم يكن يملك المال الكافي. بدأ يتهرّب من زوجته، بينما كانت سلمى تسترجع ذكرياتها معه.

كانا حبيبين منذ الجامعة، وقد تحدّت أهلها وتزوجته رغم معرفتها بوضعه المادي غير المستقر، فقد كانت تظن أن الحب وحده يكفي. لكن بعد إنجاب طفلهما الأول، بدأ الوضع يزداد سوءًا. الأعباء المالية تضاعفت، وإن كانت في الماضي تتغاضى عن بعض احتياجاتها غير المُلبّاة، فإنها الآن لا تستطيع تحمّل رؤية طفلها محتاجًا لشيء غير متوفر في المنزل. كل ذلك ترك شرخًا في علاقتهما. كان ماجد يهرب كثيرًا، وكانت سلمى تشعر أن هروبه لم يكن فقط من المسؤولية، بل منها شخصيًا، وكأن رفضه للمواجهة هو رفض لها.

عند بزوغ الفجر، عاد ماجد إلى المنزل. لم يحضر عبوة الحافظات، ولم ينطق ببنت شفة، وكذلك فعلت سلمى، فقد شعرت أن الحديث لم يعد له جدوى

****

(5) شيرين

بعد انتهاء موعد العمل، خرجت شيرين من المكتب، وحين وصلت إلى منزلها، نظرت إلى المرآة وتأملت ملامحها جيدًا. هل هي شيرين أم نورا؟ شيءٌ في داخلها أحبَّ نورا، المتحررة من كل شيء... نورا الأنثى.

لقد كادت تنسى أنها أنثى. فمنذ غياب زوجها، أصبحت أمًّا فقط، تؤدي واجباتها من طهي وتنظيف واهتمام وإلقاء الأوامر. ثم تأتي شيرين المهندسة، الموظفة الملتزمة في عملها، التي يحبها الجميع ويقدرها. تُرى، ماذا سيقولون إن عرفوا أن لشيرين وجهًا آخر؟

بينما كانت غارقة في أفكارها، انتبهت إلى أن وقت عودة أولادها من المدرسة قد اقترب. عليها أن تحضّر الطعام. اتجهت إلى المطبخ، بدأت تقطيع السلطة، ثم سمعت صوت رسالة على هاتفها. لم تهتم. أخرجت الطعام من الثلاجة، لكن صوت رسالة أخرى جذب انتباهها.

ذهبت لترى الرسائل بسرعة، ثم تعود إلى المطبخ، لكنها وجدت الرسائل من إياد:

"أنا عارف إن نورا مش اسمك الحقيقي، وإنك مش من إياهم."

بُهتت شيرين من الصدمة، وقبل أن تستوعب الأمر، ظهرت رسالة أخرى:

"نفسي أحضنك."

ارتجفت يداها وهي تمسح الرسائل بسرعة قبل أن تقع في يد أحد أطفالها. حاولت تهدئة دقات قلبها المتسارعة حتى تتمكن من إكمال إعداد الطعام، لكن دون أن تدري، انزلقت السكين وجرحت إصبعها.

****

6 (إياد)

طفلٌ صغير بحاجة إلى عناق أمه ليطمئن، لكنه لا يجد أي عناق، فقد رحلت والدته، تاركةً إياه يواجه برودة العالم وحده. ينكمش على نفسه بحثًا عن الدفء، لكنه لا يجده. يكبر الطفل، لكنه لا يتوقف عن الرغبة في ذلك العناق الذي افتقده.

اكتشف في نفسه موهبة الكتابة. يسكب مشاعره في القصائد والأشعار، فتجذب كلماته إعجاب الفتيات، ويفتنه خصرهن الرشيق.

يواصل الكتابة، يتحوّل إلى روائي، وتزداد شهرته بعد حصوله على أول

جائزة في الأدب. تتسع دائرة معارفه، تتكاثر النساء حوله، لكنه، في أعماقه، لم يكن يبحث سوى عن ذلك العناق المفقود.

يتزوج امرأة أخبرته أن لغتها في الحب هي العناق. أحبها لهذا الاعتراف وحده. تحمل عجرفتها وغضبها لأنها تعانقه كل مساء، حتى ماتت. حينها، توقف إبداعه. كان بحاجة إلى ذلك العناق الطويل، لكنه لم يعد موجودًا.

تعددت علاقاته النسائية. صار يعرف، من نظرة واحدة، ماذا يجذب كل امرأة، ثم يُشكل شخصيته بما يرضيها، فقط ليحصل على العناق. لكنه، مع الوقت، نسي مَن يكون حقًا. تعددت شخصياته بعدد النساء اللواتي قابلهن، حتى صار العناق غير كافٍ، لأنه لم يكن هو.

ازدادت رغبته في الحميمية، فبدأ يذهب إلى المنازل المشبوهة، حيث تمنحه فتاة حبًّا ليليًّا يشبه حب الأم. انغمس في علاقات عبر الإنترنت، حيث تتشكل النساء وفق أهوائه، لكنه لم يجد بينهن من تمنحه العناق الذي يبحث عنه.

ثم جاءت نورا. كانت مختلفة. امرأة حقيقية، حتى وإن تخفت خلف اسم مستعار. لم تكن تبيع الوهم، ولم تكن تعرض العناق مقابل المال أو

الكلمات الزائفة. ستمنحه العناق فقط إن رغبت في ذلك، إن كانت المتعة هي رغبتها أيضًا.

لهذا، رغب إياد في عناقها. أرسل لها رسالة مرتعشة:

"أنا عارف إن نورا مش اسمك الحقيقي، وإنك مش من إياهم. نفسي أحضنك."

اليوم التالي

عُدنا إلى العمل في اليوم التالي، ولاحظنا جميعًا أن شيرين بها خطبٌ ما، لكن لم يجرؤ أحد منا على محادثتها بشأنه. فمنذ غياب زوجها، أصبحت مزاجية للغاية، ولا يمكن لأحد أن يتوقع ردود أفعالها.

قطعت رانيا الصمت وقالت:

_ عارفين مين راجع على الشغل النهاردة، سلمى

لم تهتم شيرين ولم تعلق، حتى وجدناه سلمى أمامنا، قابلناها بالترحاب جميعا، بعد انتهاء أجازه الوضع الخاصة بها

_ وحشتوني خالص يا بنات

قالت رانيا

_ إية اللي رجعك للهم ده تاني، مش كنتي مرتاحة في بيتك مع جوزك وابنك

_ وهي اللي بتخلف بترتاح من الهم، تعرفوا يا بنات خليكوا كدة من غير جواز وخلفة أحسن، عايشين ومرتاحين ولا على بالكوا

امتعضنا أنا ورانيا وكذلك لم تعلق شيرين وكأنها في عالم آخر حتى قالت لي رانيا في أذني لكون مكتبها أقرب مكتب لي

_ مابحبش أقعد مع أي واحدة متجوزة، كلهم يكلموكي عن هم والغم، مفيش واحدة بتحكي عن حضن جوزها ولا إحساسها وهي شايلة ابنها وشايفاه قصاد عينيها، طب ما تطلق لو متضايقة أوي كدة

غمزت لها

_ بس لأحسن تسمعك

ستلاحظ، عزيزي القارئ، أن جميع الشخصيات تفضي إليّ بأسرارها. ليس ذلك لأنني محل ثقة الجميع، ولكن ببساطة لأن هذه رواية، ويجب أن يتحدثوا معي، وإلا فكيف لك أن تعرف الأحداث؟

ثم قالت شيرين فجأة

_ محدش شايل هم غير المتعلقة، على الأقل كل واحدة فيكوا عارفة وضعها إية، أصعب من حاجة مش الوحدة

قالتها وهي تنظر إلى رانيا وأكملت

–ولا هم الجواز

وهي تنظر إلى سلمى الآن ثم قالت بعين حزينة

_ الأصعب تبقي متجوزة قدام ناس بس حاسة بالوحدة مع جوزك

لم يكن لدينا ما نرد به على شيرين، حاولت تغيير الموضوع فسألت رانيا عن أحدث عرسانها فقالت ووجها إلى الأرض

_ مردش لغاية دلوقت

صمت ثانية ثم قلت

_ معلش خير

مضى يومي بشكلٍ تقليدي حتى ظننتُ أنه يومٌ عادي ككلِّ أيام حياتي، ولم أكن أعلم أنه سيكون بداية معاناتي مع خوفي من الفقد. جاءني اتصال أُخبرتُ فيه بأن والدتي تعرّضت لحادث سيارة، وأنها في المستشفى في حالةٍ حرجة.

****

(7) ياسمين

كانت ليلتي الأولى في المنزل دون والدتي. قمتُ بتشغيل جميع المصابيح، لكن رغم ذلك، شعرتُ في داخلي أن هناك شيئًا ما قد انطفأ. رفعتُ صوت التلفاز والمذياع والهاتف، حاولتُ إدخال نوع من الضوضاء إلى المكان حتى لا أشعر بالوحدة، لكن غياب والدتي أحدث صمتًا كريهًا للقلب. إنها الوحشة.

كانت تلك الليلة الأولى التي أواجه فيها الوحشة وجهًا لوجه.

تذكّرتُ شيرين، تُرى هل شعرتْ بما شعرتُ به في الليلة الأولى لغياب زوجها؟ مسكينة شيرين، لم أدرك معاناتها إلا الآن. لكنها أيضًا كانت ليلةً صعبة على شيرين. حين عادت إلى بيتها، وفّرت لأطفالها كل ما يحتاجونه، لكن بشكلٍ آلي، كأنها إنسانٌ آلي يعيش بينهم. افتقد الأطفال ابتسامة والدتهم الصافية ومرحها معهم، كان ينقصهم دفء الأم التي

تحبهم. ومع ذلك، لا يجب أن نلوم شيرين، فهذا أفضل ما استطاعت تقديمه لهم في ذلك الوقت. لذلك، كان لظهور إياد أثرٌ كبير. فقد استطاع أن يُحرّك شيئًا داخل هذا الإنسان الآلي الذي أصبحت عليه.

في المساء، قررت شيرين أن تُنهي علاقتها بإياد بشكلٍ نهائي، وأن تطوي هذه الصفحة من حياتها. لكنها، وكما في كل مرة، شعرت بشيءٍ داخلها يمنعها من ذلك.

وفي الليلة ذاتها، كانت إنجي تشعر بالوحدة أيضًا. تأخّر ابنها عن موعد عودته إلى المنزل، وما زال بالخارج. عزمت إنجي، حين يعود، أن تتشاجر معه كعادتها. ثم نظرت إلى ابنتها الكبرى، مي، فوجدتها كالعادة جالسة في غرفتها، ممسكةً بهاتفها طيلة اليوم دون أن تتركه.

اشتهت إنجي أن تجلس مع أبنائها يومًا واحدًا، يتحادثون فيه كأسرة، لكن ذلك ظلّ مجرد حلم لم يتحقق. في تلك اللحظة، شعرت بوحدةٍ خانقة. تساءلت: هل هذه هي الحياة التي تستحقها بعد كل ما عانته؟ هل هؤلاء هم الأبناء الذين ضحّت من أجلهم؟ كانت تجلس في زاوية منزلها، تأكل وحدها، وتتأمل وحدتها.

وفي ذلك الوقت، وضعت رانيا إعجابًا على صورةٍ لسلمى مع زوجها، ثم همست لنفسها: لو كان لي زوج مثل صديقتي، لما شعرتُ بهذه الوحدة.

أما سلمى، فكانت وحيدةً في شقتها بعد أن تركها زوجها وذهب إلى القهوة. مع صوت بكاء صغيرها، والإرهاق، وقلة النوم، شعرت أنها متروكةٌ تمامًا لتحمل هذه المسؤولية وحدها. في تلك اللحظة، اجتاحها غضبٌ تجاه زوجها، الذي بدا لها كمن تخلّى عنها وترَكها تواجه أعباء الأمومة بمفردها. لم تكن تتوقع أن يكون مثل باقي الرجال، الذين يلقون بكل الحمل على الزوجة، ويختفون. كان هناك فراغٌ يملأها، تمامًا كما كنا جميعًا نشعر بذلك الفراغ ذاته.

كل هذا جعلني أرغب في الكتابة عن الوحدة.

****

الوحدة

إنها قدرُ جميع البشر، فالجميع سيختبر الوحدة يومًا ما. لا أحد ينجو منها، فهي جزءٌ لا يتجزأ من التجربة الإنسانية. لا يمكن أن تعيش هذه الحياة دون أن تطرق الوحدةُ بابك يومًا.

****

(7) شيرين

شعرت شيرين برغبة ملحّة في معرفة من تتحدث إليه، فقررت البحث في صفحته على فيسبوك. لم تكن صفحةً مزيفة مثل صفحتها، بل كانت

حقيقية، تعكس شخصيته بوضوح. بدا شخصًا مهمًا، فصورة الغلاف كانت من حفل توقيع كتاب، ربما رواية. إذن، هو كاتب؟ تساءلت في نفسها، ثم شعرت بشيء من التميز؛ فشخصٌ مشهور مثله اختار أن يتحدث معها تحديدًا. في الفترة الأخيرة، بدأ يلحّ عليها أن يتحدثا عبر مكالمة صوتية، لا أن يكتفيا بالرسائل.

_ نفسي اسمع صوتك

_ لا خلينا كدة أحسن

_ هو أنا بقولك نتقابل.. بس عايز اسمع صوتك من بعيد

_ ماقدرش اتكلم والولاد يسمعوني

_ انت عندك ولاد.. عموماً انا باخلص شغلي بالليل أوي، هيكونوا ولادك ناموا

ترددت شيرين قليلاً ثم قالت

_ماقدرش

فلم يُجبها إياد وظل كذلك لم يجيب رسائلها لعدة أيام حتى أرسلت له

- **خلاص موافقة نتكلم صوت بس بالليل لما الولاد يناموا**

ثم ذهبت شيرين إلى غرفتها، كان بها مرآة كبيرة يمكنها أن ترى جسدها كاملاً، وهناك قامت بنزع ثيابها وتأملت جسدها العاري. نظرت إلى وجهها في المرآة، فرأت أمامها نورا لا شيرين، وتذكرت أول مرة رأت جسدها عاريًا بالكامل. لقد عاشت شيرين لا ترى من جسدها سوى وجهها وكفيها

وذراعيها وأجزاء من ساقيها، لم تكن تعرف معالمه كما تعرف وجوه الممثلات اللواتي اعتادت مشاهدتهن في الأفلام القديمة، وهن يتمددن على الشاطئ بطمأنينة تامة. أما جسدها هي، فلم يكن هناك فرصة لرؤيته، حتى بدأت تستعد للزواج. حينها، أصبح التعرف عليه فرض عين، بدأت تستكشفه، تتلمس تضاريسه، وتنظر بانبهار إلى الانحناءات والبروز التي تشكله.

وحين تزوجت، أصبح بإمكانها أن ترى جسدها كاملاً دون تردد، فاعتادت قبل الاستحمام الوقوف أمام المرآة لدقائق طويلة، تراقب تفاصيلها كما لو كانت تعيد اكتشاف العالم من خلالها. كانت تشتاق إلى رؤية جسدها كما يشتاق المرء لحبيبه القادم بعد غياب.

وبعد الإنجاب، بدأت تتغير خريطة جسدها، فظلت ترصد تلك التغيرات واحدة تلو الأخرى. ومع مرور السنوات، مع ثقل المسؤوليات واعتياد الروتين، بالإضافة إلى هجر زوجها لها، انقطعت العلاقة التي جمعتها بجسدها. لم تعد تقف أمام المرآة، بل أصبحت تتجنب النظر إليها، كأنها تخشى مواجهة نفسها.

والآن، بعد سنوات من الجفاء، اشتاقت له من جديد، اشتاقت لجسدها كشوق العاشق لمعشوقه بعد فراق طويل. وفجأة، تحدثت نورا من المرآة.

- شيرين، إنني أكرهك... لقد عذبتِني لسنوات!

- ماذا تريدين يا نورا؟

- أشتاق إلى إياد، أود أن أهديه جسدي كاملًا، لا قطعة قطعة.

- هل تحبينه إذن؟

- أنا لا أعرف الحب يا شيرين، لا أستطيع أن أجري هذه الحسابات المعقدة التي تجريها أنتِ. أنا أبحث فقط عن المتعة الخالصة، عن نظرات إعجاب رجل بي، وأصابع يديه التي تتحسس جسدي حتى أشعر بأنوثتي. لا فارق عندي بين إياد وهاني.

- الجسد ليس كل شيء يا نورا.

- لا، بل هو كل شيء. دعكِ من هذا الهراء عن الشخصية، فالشخصية تفيد فقط لإدارة هذا الجسد.

- لكننا نحمل مسؤولية الآن.

- شيرين، لقد حبستِني بداخلكِ لسنوات، وأخشى أن أستيقظ يومًا فأجد أنني نضبتُ كالبئر الجاف، كوردة ذَبُلت وأنا وحيدة.

بدأت نورا تبكي، لكن شيرين أغمضت عينيها عنها، وارتدت ملابسها من جديد.

****

الطريقة الأولى (الرقص)

والدتي في المستشفى، والحالة ما زالت حرجة. داخلي رغبة مكتومة في البكاء، وددت أن أبكي بشدة، كبكاء ذلك الطفل الرضيع الذي يرغب في احتضان أمه ليشعر ببعض الأمان، لكني لم أقدر على البكاء. فكرت في الاستعانة بمؤثر خارجي، أخرجت هاتفي وشغّلت بعض الموسيقى الحزينة. تحركت مشاعري قليلًا، وشعرت ببعض الدموع في مقلتي، لكن ذلك لم يكن كافيًا. بعد قليل، استدرت، ومع الموسيقى حاولت أن أرقص قليلًا. رفعت صوت الموسيقى، واستمررت في الرقص، ثم ظللت أرقص وأرقص، ولم أدرك أن نصف ساعة قد مضت وأنا على هذه الحال. كانت رقصتي أشبه بحركة طائر مذبوح يحتضر.

وأخيرًا، تعبت من الرقص، فسقطت على الأرض مجهدة، وبدأت أبكي... أخيرًا، أبكي. انهمرت دموعي بغزارة، وكأنها كانت تثقل قلبي كجبل، ثم شعرت بالراحة. لكني لم أكن أعلم حينها أن صوت الموسيقى قد تسرب إلى الجيران، الذين تساءلوا كيف لي أن أسمع الأغاني بنشوة، ووالدتي في المستشفى.

****

(8) شيرين

بأنفاس متلاحقة، قبلت شيرين أن تجيب على مكالمة إياد عبر شبكة الإنترنت. كان قلبها يخفق بسرعة، وكأنها ترتكب فعلاً محرماً ضد ذاتها. لاحظ إياد اضطرابها، فحاول تهدئتها بصوته الهادئ، متجنبًا أي حديث قد يزيد من توترها.

بدأ يتحدث عن تفاصيل يومه، عن روايته الجديدة، يروي لها بعضًا من أفكاره وكأنه يمنحها نافذة إلى عالمه الخاص. أصغت شيرين بصمت، تحاول التقاط أنفاسها، إلى أن همست أخيراً

- **على فكرة أنا قريت أخر رواية كتبتها، كان عندي فضول أقرالك**

- **وإية رأيك فيها**

- **بصراحة .... وحشة**

اضطرب إياد لردها غير المتوقع لكن أخفى اضطرابه بضحكة مصطنعة ثم قال

- **أول مرة حد يقولي رأيه بكل صراحة من غير مجاملة ... بس لية ماعجبيتكيش**

- **عشان نمطية لأبعد الحدود .. قصة حب بين ولد متحفظ وبنت متحررة وبعدين استفزني وصفك للبطلة لما قلت "إمراه عصية على النسيان" وإن البطل فضل يحبها سنين وهي بعيد عنه**

- **وإية زعلك في الوصف ده**

- **عشان زمان كنت فاكرة إني إمراه عصية على النسيان، كنت متأثرة بكلام الروايات ومتخيلة إني مختلفة عن باقي البنات، تعرف كل البنات بيفرحوا لما حد يقولهم أنهم مختلفين عن باقي البنات بس في الآخر طلعت واحدة عادية**

- **هي دي حاجة وحشة انك تبقي واحدة عادية**

- **مطلعتش إمراه عصية على النسيان، طلعت بتنسي عادي، جوزي سابني وشاف غيري عادي**

- **كنت حاسس أنك هتطلعي متجوزة يا نورا**

ارتبكت شيرين هنا وشعرت أنها أفصحت عن نفسها أكثر مما يلزم وحاولت التهرب من الحديث قبل أن يعرف عنها الكثير

....

(9) رانيا

بعد عدة أيام كانت رانيا تستعد لمشاهدة " اللايف" الخاص بإياد على حسابه على موقع "تيك توك" بعد أن بدأت أن تتابع حسابه منذ عدة أيام وأعجبت بكلامه وأسلوبه ، بدا لها راقي جداً ثم بدأت تتابع بشغف ما ينشر عن نفسه وأعجبت بمدى انفتاحه حيث كان يتحدث عن حياته الشخصية وتجاربه المريرة، ثم رويداً رويداً بدا لها أنها تعلقت به، ففي كل مرة تحدث فيها عن نفسه شعرت أنها تعرفه عن قرب، فهو شخص تراه يومياً وتستمع إلى تفاصيل حياته، كل هذا أعطاها إحساس بالألفة تجاهه في حين أنه لا يعرف شيئاً عنها، فكرت أن تتحدث إليه في اللايف مثلما كانت تفعل غيرها من الفتيات لكن خجلها منعها وما أثار حفظتيها هو مدى قُربهن منه ورفع الكلفة تماماً أثناء حديثهن معه حتى لتغازله إحداهن مغازلة صريحة ، تُرى هل تغار عليه منهن، هل معقول أن تكون قد أحبت شخص من حسابه فقط على "تيك توك" ثم فكرت إن كانت قد تعلقت به هي أو غيرها من الإناث ألن يكون هو السبب في ذلك، أليس التعري النفسي يثير غرائز الإناث مثلما هو الحال مع التعري الجسدي الذي يثير غرائز الرجال، أن ما يضع من فيديوهات يجعلها تشعر بالحميمية معه لأنها تعرف عنه الكثير، أليست الحميمية العاطفية

نوعاً من الإغراء، خرجت من أفكارها الكثيرة حين انتهى البث، حزنت لأنها كالعادة لم تستطع التحدث معه، أما إياد فقد كان يرسل رسالة إلى شيرين المعروفة عنده باسم نورا، يخبرها أنه كان يود أن تتحدث معه في اللايف لكنها رفضت واعتذرت عن الحديث بينما تابعت البث بدأب دون أن تعلم أن زميلتها رانيا تشاركها الشغف ذاته وكلتاهما لا تعرف بوجود الأخرى.

---

(10) المكتب

في طريقي للمكتب قابلت انجي مديرتي سألت عن أحوالي وعن صحة والدتي أخبرتها أن الحالة لا تزال حرجة وأنها لازالت في المستشفى وطلبت أن تدعو لها، أثناء ذلك سمعنا صوت شِجار قادم من المكتب كان صوت سلمى ورانيا، ذهبنا لنعرف ماذا يحدث، سألت رانيا

-حصل إية .. إية صوت الزعيق ده

أجابتني رانيا

- **الست هانم سلمى اللي لسة راجعة من اجازة، بترمي عليا كل شغلها وقال إية عشان أنا فاضية .. طب طالما انتوا مش قد الشغل بتشتغلوا لية**

قالت سلمى

- **أنا عندي ولد صغير مش هقدر أقوم بكل المطلوب في تاسك زي ده، المفروض الفاضية اللي تعمل الحاجات دي، المفروض نراعي ظروف بعض**

احمرت عيناي رانيا وقالت منفعلة

- **تقصدي إية بكلمة فاضية دي .. هو عشان انا ماتجوزتش وماعنديش ولاد ترموا كل حاجة عليا أنا، طب خلاص سيبوا الشغل واقعدوا في البيت أحسن**

تدخلت انجي بينهم وقامت بفص كل واحدة عن الأخرى فأخذت هي سلمى ومعها شيرين لتهدئتها وتركت معي رانيا حتى أهدئ من غضبها

*****

حين ذهبت سلمى مع شيرين وانجي ثم بكت بشدة، قالت شيرين

- **اهدي يا سلمى الموضوع مش مستاهل كل ده .. اذا كان على رانيا انا عارفة أنها مندفعة وعصبية**

قالت سلمى

- **انا مش بعيط بسبب رانيا .. بس أنا بجد تعبت أوي، أعصابي بقيت تعبانة ومحدش حاسس بيا لا في البيت ولا في الشغل، وأنا طول الوقت حاسة بالتقصير مع ابني من وقت ما خلفت وماجد مش مقدر تعبي ولا**

بيساعدني، بيلومني بس .. أنا ماكنتش فاكرة أن دي هاتبقى حياتي مع ماجد، أنا حاسة إني شربت مقلب عمري

حاولت شيرين وانجي منع نفسهما من الضحك أمام سلمى وقالت انجي وهي تحاول أن تمنع نفسها من الضحك

- **حبيبتي .. هو من ناحية أنه مقلب فهو مقلب وشربنا كلنا**

ثم أضافت شيرين

- **كنت فاكرة جوزك هيساعدك في كل حاجة ويهون عليكي، كلنا بنبقى فاكرين كدة وهما كل الرجالة في الأول بيحسسوكي أن كل حاجة سهلة بس انت خلفي، وأول ما تخلفي مالوش دعوة بحاجة وكمان بيشتكي من ان حياته مابقتش زي الأول ويضايق قال مش عارف ينام**

أكملت إنجي

- **صدقيني يا سلمى انت عبانة كدة عشان ابنك لسة صغير، مع الوقت هيكبر وانت هترتاحي وهتعرفي تنامي كويس مش زي دلوقت**

أثناء حديث انجي تلقت شيرين رسالة من إياد " طب إية .. مش هتبعتيلي حاجة حلوة" ارتبكت شيرين بعد قراءة نص الرسالة، كانت تعلم ما يرنوا إليه إياد، إنه يطلب المزيد من الصور الخاصة بها، فكرت في هذه اللحظة أن تحظره من جميع حساباتها، فتحت صفحته وذهبت إلى الثلاث

نقاط لكن لم تضغط عليها بل تراجعت وأغلقت الهاتف وحاولت أن تتصرف وكأن شيئاً لم يكن.

في هذه الأثناء كنت أنا بجانب رانيا ظلت تتأفف من الموقف وتسألني

- **إحنا مش لازم نسكت على فكرة .. مش كل مرة أنا وأنت نشيل الشغل مكانهم عشان كل واحدة مشغولة مع عيالها، ويرموا كل حاجة علينا، لازم ناخد موقف، ولا إحنا بناخد مرتبات زيادة عن اللي بياخدوا طالما عازينا نشغل شغلهم وهما يقبضوا مرتبهم عادي**

لم أكن في مزاج يسمح لي بتبادل الحديث مع رانيا، كنت أفكر في أمي، المستشفى، ماذا سيحدث لي أن ماتت ماما، انتبهت رانيا أخيراً أني شاردة، حاولت اختلاق الأعذار خاصة وأنا أعلم أن رانيا حساسة جداً لكني لم أنجح، شعرت أن عقلي سيذهب أن استمريت في هذه الحالة، يجب أن أفعل شيء مختلف نظرت إلى رانيا وسألتها

- **رانيا .. تيجي نخرج النهاردة بالليل، مش قادرة ارجع البيت وماما مش فيه**

ابتسمت رانيا وقالت

- **بصي أنا النهاردة خارجة مع بنت خالتي .. ممكن تيجي معانا**
- **مين بنت خالتك دي**
- **هبه نكد**
- **اسمها هبه نكد**

- **لا اسمها هبه حازم عادي، بس إحنا في العيلة مطلعين عليها هبه نكد، عشان معقدة شوية وبتكره الرجالة مووت**

يا الله لا أستطع أن أحتمل رانيا بمفردها، فكيف لي أحتمل ابنة خالتها هبه نكد، نظرت إلى رانيا وابتسمت ابتسامة من عرف أنه أحضر إلى نفسه مصيبة من الهواء ثم أخذت نفساً طويلاً وأخرجته، في تلك الأثناء عادت سلمى ومعها شيرين إلى مكاتبهما، لم تتبادل سلمى مع رانيا أي كلمة وكذلك رانيا تجاهلتها تماماً، أما شيرين فحاولت إغراق نفسها في العمل حتى تنسى إياد لكنها وجدت نفسها تستمع إلى صوته، ارتجفت حتى عرفت أن الصوت قادم من هاتف رانيا التي كانت تستمع إلى أحد الفيديوهات الخاصة به، فعلمت أنها لا تستطع تجاهل وجود إياد في حياتها.

*****

11(شيرين)

في المساء، بعدما أعدّت شيرين العشاء، وبعد كثير من اللعب والضحك، خلد أطفالها إلى النوم. كان هذا وقتها الخاص، لحظة السكون التي تنتظرها لتتحدث مع إياد. فتحت الرسائل بينهما، فوجدته لا يزال يلحّ في طلبه للصور.

قالت في سرّها: "لا يا شيرين، لا تكرري الخطأ"، لكنها وجدت نفسها تتحرك صوب غرفة النوم.

وقفت أمام المرآة، تنظر إلى جسدها بصمت، تتأمل ما تبقّى من أنوثتها، وتذكرت كيف كان هاني، زوجها، يحتضنها في ليالي الحب القديمة. تحديدًا، كان يضمها من ذلك الجانب الأقرب إليه دومًا، الموضع الذي كانت تشعر فيه بأنه يحبها بحق.

لحظة ضعف، امتدت يدها لهاتفها، فتحت الكاميرا، والتقطت صورًا لذلك الصدر الذي طالما أحبه، دون أن تُظهر وجهها، ثم أرسلتها إلى إياد.

كان هناك شيء بداخلها يقول إنها تنتقم.

تعلم تمامًا أن هاني الآن مع امرأة أخرى، يحتضنها كما كان يحتضنها هي. خيالٌ كهذا كان كافيًا ليوقظ إحساسًا مريرًا بالإهانة، لا لأنوثتها فحسب، بل لذاتها بأكملها.

ورغم ما شعرت به من انتقام لحظة إرسال الصور، لم تستطع أن تهرب من طيف العار الذي غلّف قلبها بعد ذلك، وكأنها تخون نفسها قبل أن تخون أحدًا آخر. فجأة، أصبحت تحتقر ذاتها. بعدما كان يملؤها الغضب تجاه زوجها، أصبحت الآن غاضبة من نفسها، كارهة لجسدها. رأت أمامها مكواة الشعر، سخنتها، ووضعت معصمها بين فتحتي المكواة. في

البداية، خافت وسحبت يدها سريعًا، لكن أجبرت نفسها، وبالفعل، حرقت جزءًا من معصمها. أمسكت صوتها عن الصراخ حتى لا يسمعها أولادها، ثم بكت كثيرًا، ناظرة إلى يديها المحترقة، وكأنها نالت جزءًا من عقابها، هدأ هذا من إحساسها بالذنب.

" حلوين أوي .. نفسي المسه"

كان هذا رد إياد عليها، الذي استمتع كثيراً بما أرسلته شيرين ولم يكن يعلم أنها الآن تدفن نفسها في فراشها ودموع حارقة تسيل من عينها.

******

(ياسمين)

أما أنا، فبعدما رجعت من المكتب، لم تكن لديّ رغبة في تناول الطعام، فذهبت إلى النوم. نمت كثيرًا، ما يقارب أربع ساعات متواصلة، وحين استيقظت، شعرت بذلك الثقل على صدري. لم تكن لديّ رغبة في الاستيقاظ، ولا حتى في الحياة كلها. لكن لا يجب أن أستسلم لهذه الحالة. تذكرت موعدي مع رانيا وابنة خالتها، فأجبرت نفسي على الخروج من المنزل. هاتفت رانيا وأخبرتها أنني قادمة، فأجابت بأنها تنتظرني مع هبة.

بعدما أغلقت الهاتف معي، رأت رانيا شابًا يقف قريبًا منها. بدا لها مألوفًا. اقتربت أكثر منه... إنه فادي، الشاب الذي جمعته بها قصة حب

في الجامعة وانتهت نهاية مأساوية، إذ تركها ليتزوج بأخرى، وعلمت بخبر خطبته من منشور وضعه على "فيسبوك".

اقتربت منه، فابتسم وبادلها التحية، فردّت التحية بدورها وقالت

- **عامل إية يا فادي .. مبسوط في حياتك**
- **أنا تمام جداً بشتغل في مكان قريب من هنا والدنيا ماشية .. أنت أزيك**
- **أنا كمان كويسة جاية أقابل صحابي في كافية هنا .. بس كويس إني شوفتك في حاجة جوة قلبي وكان نفسي أقولهالك من سنين**
- **حاجة إية .. خير**
- **أنت عارف بعد ما سابنا بعض أنا وأنت .. أو بمعنى أدق أنت سابتني أنا ارتبطت كذا مرة بس الحق يتقال انت اكتر واحد عرة أنا عرفته**

احمر وجه فادي من الغضب وقال

- **إيه لازمة الكلام ده دلوقت**
- **ولا حاجة كنت عايزاك تحس بالتميز بس مش أكتر**

ثم ابتسمت له رانيا ابتسامة صفراء لاحقتها ضحكة كتمتها في صدرها بعدما أخيراً سمحت لها الصدفة أن تقول ما أخفته داخلها بعد مرور هذه كل هذه السنوات.

دخلت رانيا إلى المكان المتفق عليه وجدت هناك هبه تنتظرها ثم أتيت أنا، ألقيت التحية عليهم وتأملت شخصية هبه نكد كما تطلق عليها رانيا،

هبه فتاة جميلة تبدو في مثل عمري أنا ورانيا في أواخر العشرينات، لها مظهر يجعلها تبدو غريبة للوهلة الأولى، وساعد على ذلك لون شعرها الأزرق الفاتح، شعرت هبه بمدى اضطرابي فقالت حين رأتني مازالت واقفة أمامها أتأملها.

- **مش هتقعدي بقى ولا إيه .. هو أنت أول مرة تشوفي واحدة بتشيش**

قالتها بعد أبعد سحبت نفساً من الشيشة التي تمسكها في يديها قاطعتها رانيا وقالت

- **تخيلي رغم إن هبه دكتورة لكن بتموت في الشيشة**
- **بجد دكتورة إية ..**
- **دكتورة أسنان**
- **والله أنا كنت محتاجة احشي ضرسي**
- **تقدري تشرفيني في أي وقت**

كانت شخصية جديرة بالاهتمام، حركاتها غير متوقعة، تضحك بشدة وتُحادث الجميع بلا تردد. لا أدري لماذا أطلقت عليها رانيا لقب "هبة نكد"، لكن أكثر ما لفت انتباهي هو اختلافها التام عن رانيا.

رانيا تفكر في الزواج دائمًا وترغب به، أما هبة فتكره منظومة الزواج بأكملها، وترى أن عقد الزواج ليس أكثر من عقد عبودية. وكما قالت رانيا، فهي تكره الرجال بشدة.

لكن أكثر ما أدهشني حقًا هو جرأتها. قالت لي، وهي تراني لأول مرة، بعض النكات البذيئة دون خجل. كل هذا جعلني أفكر: لماذا لا أكتب عن هبة؟ تبدو شخصية تستحق الكتابة عنها.

....

الطريقة الثانية (الكتابة)

الوحدة هي إغراق المرء في ذاته، إنها تسيطر عليك حتى لا ترى في الحياة غيرها. كل وحيد، للأسف، هو شخص أناني بطبيعته، فالوحدة تجعلك تفكر في ذاتك طوال الوقت، تمامًا كما تفعل الأنانية.

لذا، قررت أن أكتب. لن أكتب عن معاناتي فقط، بل عن جميع من أعرفهم: رانيا، هبة، شيرين، سلمى، إنجي... الجميع ضحايا الوحدة. ثم بدأت أكتب.

ياسمين، هذا اسمي. يجب أن تحفظه جيدًا، لأنه سيرافقك طوال هذه الرواية. ببساطة، لأنني أنا الراوي.

من أنا؟ مجرد فتاة وحيدة تبحث عن طرق للقضاء على وحدتها.

يبدو أن الوحدة هي عدو الإنسان الأول، فمنذ لحظة ولادتنا، نبكي حين ننفصل عن أمهاتنا. نحن نكره الوحدة والانفصال. وإذا نظرت إلى كل جماعة، ستجد أنهم مجرد مجموعة من الوحيدين معًا، مثلنا في المكتب... رفقة من الوحيدين سويًا، هيا نبدأ.

****

12 (شيرين)

أصبحت اتصالات إياد المسائية جزء من روتين حياة شيرين اليومي، مع إرسال بعض الصور من وقت لآخر، لم يكن حديثهم جنسي فقط بل تحدث كلاً منهم عن حياته الخاصة، فتحت شيرين قلبها وحدثته عن زوجها وتركها له وأنها علمت منذ فترة أنه يعيش الآن مع أمراه أخرى في شقة واحدة لكن رد إياد عليها لم يكن متوقع

- **طب انت لية متضايقة من جوزك .. مش يمكن الست دي هي اللي وقعته**
- **والله .. طبعًا انت بتقول كدة عشان راجل زيه**
- **لا .. بس أوقات كتير بترمي الست للراجل شبكة عشان يصطادها بيها، ده حصل معايا قبل كدة**

ثم بدأ إياد يسرد لها ما حدث معه من قبل:

حين كانت زوجتي على قيد الحياة، جاءت إلى بيتنا فتاة تربطها بها صلة قرابة. كانت تُتمّم رسالة الدكتوراه الخاصة بها في مصر في مجال علم النفس، فدعتها زوجتي لقضاء الفترة المتبقية قبل مناقشة رسالتها في منزلنا. كانت الفتاة مثقفة وعلى قدر عالٍ من الذكاء، ومستوى جمالها مقبول، لكنها لم تكن جذابة بالدرجة التي قد تُثير في داخلي أي شيء نحوها. ربما كانت زوجتي تدرك ذلك جيدًا، لذا لم تخشَ من استضافتها.

مَن يعرف الفتاة، يعرف أنها جادة ولا يمكن أن تتلاعب بأحد، أو هكذا بدت لنا. في البداية، كانت تعاملني برسمية وجدية معتادة، ثم بدأت تشعر براحة أكبر معي، فأصبحت مرحة، تُلقي النكات بين الحين والآخر، وأحيانًا تغني. والحق يُقال، كان لها صوت جميل. ثم لاحظت أنها بدأت تغيّر في طريقة ملابسها، فأصبحت أكثر انفتاحًا في اختيارها لثيابها، كما تغيّرت نبرة صوتها لتصبح أكثر نعومة، وأضفت إلى حديثها بعض الدلال وحركات الأنوثة. لكن كل هذا كان يحدث فقط في غياب زوجتي، أما أثناء وجودها، فكانت تظهر بمظهر الفتاة الخجولة.

ورغم أنها لم تكن النوع الذي يجذبني عادة، فإنها أصبحت ملفتة. ثم بدأت تفتح معي الأحاديث، وتحدثني عن مشاكلها، وكأنها تطلب مني، بشكل غير مباشر، أن أساعدها في حلّها، فتُحرّك داخلي غريزة الرجل

الذي يرغب في حماية أنثاه الضعيفة. وفي إحدى المرات، ذكرت تاريخ ميلادي أثناء حديثنا، مما أوضح لي أنها تهتم لأمري وتتابعني. وأحيانًا، كنت أشاهدها ترقص خلسة في أحد زوايا المنزل، فإن رأتني، تختبئ، لكنها لاحقًا كفّت عن ذلك، وأصبحت أكثر جرأة.

كل هذه التفاصيل لم تكن تظهر إلا حين نكون بمفردنا، أما أمام زوجتي، فكانت مثالًا للحياء والوقار. شعرت أن بداخلها شخصيتين، إحداهما فتاة خجولة بريئة، لا خبرة لها في الحياة سوى بالدراسة، والأخرى امرأة لعوب تُجيد فنون الإغواء الراقي.

وفي أحد الأيام، كنا معًا داخل المطبخ نُعد الطعام، ووقفنا قريبين من بعضنا. تلاقت نظراتنا، وشاهدت في عينيها تلك النظرة التي اعتدت رؤيتها في بعض المعجبات أو النساء اللاتي يحاولن انتزاع اعتراف بوجودهن من خلال أنوثتهن، لأنهن يعلمن أنني، في لحظة ما، قد أضعف. وهذا ما حدث... ضعفت واقتربت منها، حتى شعرت بأنفاسنا متلاحقة. كنا في طريقنا إلى قبلة تجمعنا، لكنها فجأة هربت.

ثم طلبت من زوجتي مغادرة المنزل، وعندما سألتها عن السبب، ادّعت أنني تحرشت بها! كدت أُجن... كيف لها أن تنسى كل ما فعلته حتى جعلتني أضعف؟ وحين رأيتها تبكي بشدة، شعرت وكأنني وغد حقير

غرّر بها. لكنني ذُهلت من ردة فعلها الهستيرية! أيمكن أن تكون هذه هي المرأة ذاتها التي حاولت لفت انتباهي إليها، والتي دعتني بعينيها صراحةً إلى تقبيلها؟ ثم حدثت مشكلة كبيرة مع زوجتي بسببها."

- **وتفتكر هي ليه عملت كدة**
- **فضلت أفكر كتير في السبب، يمكن كانت عايزة تثبت لنفسها أنها مرغوبة**
- **حتى لو كان كدة، حتى لو جوزي وقع في إيد ست زي دي فهو برضه اختار إنه يسيبني ويسيب بيته وولاده**
- **مش كفاية كلام عن جوزك بقى.. أنت وحشيتني أنا عايز أشوفك**
- **قصدك إيه**
- **أنت فاهمة قصدي**

ارتبكت شيرين كانت تعلم أنه يرغب في إرسال صورة خاصة له، لم يكن أمامها خيار سوى أن توافق، لأنها وافقت بهذا منذ البداية أصبح الآن التراجع صعب، ذهبت إلى غرفة النوم، وأمام المرآة الكبيرة نزعت ملابسها ونظرت إلى نفسها في المرآة، وبدأت تتأمل جسدها ثم فتحت الهاتف ووضعته أمامها لكن قبل أن تلتقط الصورة سمعت صوت يصيح خلفها

- **ماما .. ماما**

******

كان آخر ما استمع إليه إياد هو صوت طفلة تنادي ماما ماما وبعد ذلك قطعت نورا الاتصال معه، فأدرك أن ابنتها جاءت إليها، ارتبكت شيرين من طفلتها، تُرى هل استمعت إلى أي شيء مما دار بينها مع إياد، لكن ابنتها فقط كانت ترغب في تناول الطعام لأنها جاعت في وقت متأخر، لكن رد فعل والدتها جاء مبالغ فيه، حيث صرخت شيرين في وجهها

- **لما تعوزي حاجة مش تخبطي الأول يا زفته**

قامت شيرين بتحضير الطعام لابنتها في المطبخ، بينما يداها ترتعشان من الخوف، فانزلق الطبق من بين يديها، فصرخت في وجه ابنتها مجددًا.

- **أنت يا زفته.. مش تيجي تساعديني في الأكل للي هتاكليها.. مش باخد منك غير التعب أنت وأخوكي**

احمرت عينا تلا ابنة شيرين، لم تفهم لماذا والدتها غاضبة إلى هذا الحد. ربما لأنها لا تحبها هي ولا أخيها، فقالت لها بغضب.

- **لما هكبر أنا همشي وأسيبلك البيت ده زي ما بابا عمل معاكي .. كان عنده حق أنت دايما بتزعقي ليا**

حل وقع هذه الكلمات ثقيلًا على نفس شيرين. هل هكذا تراها طفلتها؟ هل تتعاطف مع والدها الذي تركهم دون أن يسأل عمّا سيحدث لهم في غيابه، وتتهم والدتها التي ترعى شؤونها وشؤون أخيها؟

هل ستتحول إلى إنجي التي ندمت على إفناء حياتها من أجل أطفالها، وتمنت لو أنها تزوجت بدلًا من أن تكرّس حياتها لرعايتهم؟

لم تأكل تلا جيدًا، وقامت لتترك طعامها، فصرخت بها شيرين.

- **ابقي لمي الأكل وراكي.. أنا مش بشتغل عندك**

لملمت الطفلة بواقي الطعام وذهبت إلى النوم دون أن تتحدث مع والدتها بينما تكتم غضبها منها.

في هذا الوقت، تلقت شيرين رسالة من إياد: "قلقت عليكِ لما قفلتي فجأة.. بنتك كويسة؟" قرأتها دون أن ترد

وبدأت شيرين تبكي. لم تعد تعرف لماذا تبكي:

هل بسبب علاقتها بإياد؟ أم بسبب كلام طفلتها الذي أيقظ بداخلها كل الأصوات التي أتهمتها بالتقصير؟

ذلك التقصير الذي ربما كان السبب في أن يتركها زوجها؟

الجميع قام بهذا الدور: أهلها، عائلة زوجها، وبعض صديقاتها في السر.

لكنها، أكثر من أي أحد، كانت تتهم نفسها بذلك مرارًا.

بدأ عقلها يسترجع الذكريات، يهمس لها: "لو كنتِ أهدأ في هذا الموقف... لو لم تغضبيه حينذاك، لربما كسبتِ قلبه. جميع النساء لا يتركهن أزواجهن، فلماذا تركك زوجكِ أنتِ بالذات؟" ثم تعود بذاكرتها إلى الوراء، فتتذكر فترة خطوبتها، وتقول لنفسها:

"في ذلك الموقف، بدا غير مسؤول. كان من المتوقع أن يتركني بعد الزواج ويهرب من المسؤولية. وهنا... حذرتني أمي منه، كان يجب أن أصغي إليها أكثر. وفي ذاك الموقف... لماذا لم أنهِ الخطبة حينها؟ لماذا تزوجته؟"

وهكذا، ظل عقلها يدور في دوائر منذ أن تركها زوجها؛ فهي الجريحة منذ هجرها، لكنها أيضًا المتهمة.

والآن... جاء الاتهام من ابنتها.

شعرت أن صدرها يحترق من الأفكار التي تطاردها، سخّنت أحد السكاكين من المطبخ، ولسعت به فخذها، بينما وهي تضع يدها على فمها حتى تكتم صراخها.

وبعدها، بكت بشدة، ناظرة إلى جسدها المحترق، علّها تنسى حرقة قلبها

داخل مجمع العيادات الذي تعمل به هبة، وجدت زميلها أحمد جالسًا منكّس الرأس، مكفهر الوجه، على غير عادته؛ فهو دائمًا بشوش ومرح، خاصة بعد أن تقدّم لخطبة الفتاة التي يرغب في الزواج منها، ووافق أهلها عليه.

سألته هبة:

- **هو نكد الارتباط لحق يشتغل ولا إيه**

بعينين يملأها الحزن، نظر إلى هبه وقال

- **الظاهر يا هبه كدة، أهلها مشترطين شرط صعب أوي إكمني بحب بنتهم وعايزاها**
- **خير .. شرط إيه**
- **لا هو بالنسبة لك أنت هيعجبك أوي .. عشان أنت فيمينست**
- **لا شوقتني أعرف .. شرط إيه**
- **عايزين يبقى ليها حق تطليق نفسها**
- **عايزين يبقى العصمة في إيدها يعني**
- **تخيلي .. أنا حتى اتكسفت أقول لأهلي، وبفكر أكمل في الجوازة دي ولا أية مع إني بحبها أوي**
- **لا .. أنا رأيي ماتكملش طبعاً**
- **غريبة أنت بتقولي كدة**

- آه طبعاً .. دول الناس استغلالية .. إزاي عايزين يحرموك من حقك في أنك تذل بنتهم لو حبيت تطلق وانت مرضتش، إزاي يحرموك من متعتك في أنك تقدر تسيب بنتهم زي البيت الوقف وتروح أنت تعيش حياتك عادي

- إيه يا هبه الكلام ده .. دي مش أخلاقي

- طالما مش ناوي تخليها على ذمتك غصباً عنها متضايق ليه إن العصمة تبقى في إيدها، ولا أنت متخيل أن لما العصمة تبقى في إيدها هيحصل زي اللي في الأفلام العربي الهابطة وتقعد تقولك العصمة في إيدي أنت طالق ووقتها يا حرام تجرب إحساس الست اللي بتطلق

- يا هبه إيه الكلام ده.. وبعدين الستات عاطفيين.. ممكن تطلق نفسها لأي سبب الستات لما يكون عندهم هرمونات يعملوا أي حاجة

- يعني لو الست عملت حاجة تحسس الراجل إنه مش محترم يبقى عادي يطلقها لكن لو الست جوزها خانها أو بتضرب منه المجتمع بيطلب منها تستحمله وتحافظ على بيتها

- هبه .. دخلتيني في مواضيع كتير ونسيت موضوعي أنا

- أنا رأيي قولتلهولك

- أنت أصلا فامينيست يا هبه وبتكرهي الرجالة وانا غلطان إني أخدت رأيك في حاجة تخصني

تغضب هبه منه ثم تسحب نفس عميق داخل صدرها ثم تقول

- **آه غلطت .. ماتبقاش تغلط تاني وتحكيلي حاجة .. أنا هدخل هشوف اول** *patient*

لكن ما أثار دهشة احمد أنه لم يكن هناك أية مرضى قد وصلوا إلى العيادة بعد.

*****

13 (ياسمين)

تلقيت صباح اليوم مكالمة هاتفية من المستشفى التي توجد بها والدتي، حيث أخبروني أن العملية الأولى التي أُجريت لها قد نجحت، ولكن هناك عملية أخرى يجب أن تُجرى لها. يجب عليّ المرور على المستشفى لوضع مبلغ في الحسابات. كنت طوال الأيام الماضية أتجنب الذهاب إلى المستشفى، حيث لم يستطع عقلي قبول فكرة أن والدتي مريضة وفي حالة حرجة. كانت الشياطين تتجمع حول رأسي وتملأ عقلي بأفكار مزعجة: ماذا ستكون حياتك إذا توفيت والدتك؟ ستصبحين وحيدة تماماً. أهرب من أسئلة الأهل والأصدقاء، وأهرب من رأسي بالكتابة، ومن وحدتي بمشاكل الأصدقاء. كانت أكثر الساعات إزعاجاً هي ساعات تناول الطعام؛ كنت أتناول الطعام في المكتب بين الأصدقاء، لكنني لم أستطع الهروب من تناول الطعام في المساء في منزلي وحدي. كنت أقوم بتشغيل جهاز

التلفاز فتتذكر والدتي حين كنا نشاهده معاً. لذا طلبت من رانيا أن نجتمع ونخرج لتناول العشاء. وافقت وأخبرتني أنها ستخبر جميع فتيات المكتب لتعرف من يرغب في الحضور معنا، واقترحت عليها أيضاً إبلاغ هبة، قريبتها، في حال رغبت في المجيء. رفعت رانيا حاجبها ثم قالت..

- **متأكدة .. عموماً زي ما تحبي**

ثم كتمت ضحكة وغمزت لي وانصرفت.

******

14 (هبه)

بعد انتهاء الكشف للمريض كتبت هبه روشتة بها دواء لحالته

- **هتاخد المضمضة دي فترة ومسكن وقت اللزوم**

نظر لها المريض بحقد وقال

- **الظاهر إن طبيب الأسنان لازم يكون عنده جانب سادي عشان يستمتع بآلام باللي حواليه**

- **لا أنا لو عندي جانب سادي بجد .. كنت قلعتلك ضرسك من غير حقنة البنج**

- **أنا طول عمري كنت بخاف من دكاترة الأسنان**

ثم يأخذ نفس طويل وينظر إلى عينيها

- **بس لو دكتورة الأسنان بتاعتي عينيها حلوة كدة ممكن أغير رأيي**

تنظر له هبه نظرة فاحصة وكأنها تستكشفه، تُرى ماذا يريد منها هذا الشاب ثم تقول في حدة

- **الكشف انتهى .. في مرضى مستنيين برة**

يخرج المريض من العيادة وتتحدث إليها رانيا لتدعوها للخروج مع فتيات المكتب للعشاء توعدها رانيا أنها سوف تفكر في الأمر.

****

المكتب

أخبرتني رانيا أن هبة سوف تأتي، وحين ذهبت إلى سلمى اعتذرت لأن أهل زوجها سيزورونها اليوم. أما إنجي، فوافقت على الحضور رغم صعوبة الأمر، على أن تعود باكرًا إلى أولادها. أما شيرين، فقد ترددت كثيرًا قبل أن تُعطي ردًا، لكنها اعتذرت في نهاية الأمر.

****

في المساء

تجمعنا أنا وانجي وجلسنا في انتظار رانيا وهبه

قالت انجي:

- **أنا بالعافية طلعت النهاردة... كان نفسي تشوفي منظر الأولاد وأنا بقولهم خارجة مع صحابي**

- أنت اللي عودتيهم على كدة يا انجي.. عودتيهم أن كل حاجة بتدور حواليهم وبس وأنك ملكية خاصة بيهم

- الكلام ده تقوله واحدة زيك لسة ماخلفتش، بعد ماتخلفي وتبقي أم، أنت مابتيقش ملك نفسك، في الوقت اللي هما هيكبروا ويبقوا مش بتوعك

- أنتِ مش فرحانة أن ولادك كبروا

- في حاجة بنفقدها لما أولادها مايبقوش أطفال، نظرتهم ليكِ وهما بيصدقوا كل حاجة بتقوليها وأنت بالنسبة لهم أهم حد في الكون، لما يبقى جسمهم صغير كدة وتقتدري تحتويهم في حضنك، دلوقت أولادي بيعدلوا ورايا كل حاجة بقولها، مش مقتنعين بولا حاجة من كلامي وبالنسبة لهم أنا ست كبيرة مابتفهمش

- أولادك لسة مراهقين يا انجي

أثناء حديثنا جاءت رانيا

- معلش هبه هتتأخر شوية بس هتيجي.. لكن أحسن أن سلمى مش معانا النهاردة لو كانت موجودة وهبه موجودة كانت هتطلق أكيد

ثم ظلت تضحك وقلت

- للدرجة دي صاحبتك بتكره الرجالة

****

في هذا الوقت كانت شيرين تمسك بهاتفها وتتابع البث المباشر لإياد الذي كان عاديًا حتى ظهرت فتاة تدعى سوزانا، قامت بمداخلة مزعجة، أخبرته عن الاتهامات التي تُقال حوله بأنه قد سرق بعض كتاباته الأدبية، وذلك أكثر موضوع يزعج إياد. بدا أنه يستشيط غضبًا منها، لكنه تمالك أعصابه وحاول أن يظل هادئاً قدر الإمكان بالرغم من عينيه اللتين احمرتا غضبًا. بعد ذلك، قامت مجموعة الفتيات اللاتي يدعمن إياد بالدخول للدفاع عنه ودعمه.

أما سوزانا، فقد كانت قد وصلت إلى هدفها: أن يعرفها إياد.

فقد فكّرت طويلًا في الطريقة التي يمكن بها لفت نظره إليها. إنها مهتمة به جدًا، لكنها ليست الوحيدة في هذا الاهتمام.

ظلت لفترة تراقب جميع حساباته على وسائل التواصل الاجتماعي، لكنها اكتشفت أنها لم تكن الوحيدة؛ فشبكة الدعم من الفتيات حوله كنّ يفعلن الأمر ذاته.

لذا، فكّرت: ما الذي يمكن أن يميزها عن البقية؟

أن تنافسهن في اهتمامهن به، فهذا طريق خاسر.

لكن أن تكون الشخص الذي يثير غضبه، ويحرّك نقاط ضعفه...

فهذا سيجعله غير قادر على نسيانها وسط هؤلاء الكثيرات.

ومن متابعتها له، عرفت أن موضوع "السرقة الأدبية" هو أكثر ما يثير غضبه. فقررت أن تضغط على هذا الوتر.

لكنها، بعد أن تُحرجه، ستعتذر وتتقرّب منه، كما يقول المثل: "ما محبة إلا بعد عداوة".

تلك المحبة، في رأيها، أقوى من المحبة الباذخة التي تقدّمها الأخريات.

وهذه، بالضبط، هي طريقة سوزانا دائمًا.

أما عن سوزانا نفسها، فهي شابة في ربيع العمر. والدتها فرنسية، ووالدها مصري. لم يستمر زواجهما طويلًا، إذ انفصلا حين كانت سوزانا لا تزال طفلة صغيرة. ثم تزوج كل منهما وأنجب لها إخوة غير أشقاء.

ورثت عن أمها، الفنانة التشكيلية، حب الفن، فهي تهوى الرسم بشغف. أما عن أبيها، رجل الأعمال، فقد ورثت عنه ذكاءه وعقليته التجارية.

وبفضل هذا، استطاعت تأسيس شركة خاصة بها وهي ما تزال في سن صغيرة، لتصبح من أصغر سيدات الأعمال.

فهي تملك المال، وتملك الجمال، لكنها تفتقر إلى "المعنى".

يقتلها الملل يوميًا، ولا شيء يملأ فراغها...

سوى التلاعب بالبشر.

وهذا تمامًا ما تفعله مع إياد.

فهو يمثل لها لعبة ذكية، وهواية جديدة... إلى جانب حبها للرسم.

في هذا الوقت، حضرت هبة. نظرنا إليها جميعًا في دهشة، فقد ارتدت ملابس قصيرة جدًا ووضعت مكياجا صاخبًا جدًا لا يليق بنزهة بسيطة بين مجموعة من الأصدقاء في مكان عام. تساءلنا جميعًا كيف استطاعت أن تمشي في شوارع القاهرة بهذه الملابس، لكننا لعدم قربنا منها لم نستطع أن نسألها. حاولت رانيا تلطيف الجو قليلاً فسألتها...

- **لية اتأخرتِ كل ده يا هبه .. إحنا مش هتيجي**
- **كان في حد بيستظرف**
- **حد مين**
- **واحد كان بيكشف عندي الصبح وحب يكمل استظراف**
- **معجب يعني**

لاحظتُ عدم ارتياح إنجي لوجود هبة، إذ لم تستطع أن تستوعب شخصيتها. فقد كانت هبة صاخبة، منطلقة، مرحة، لكنها تجاوزت الحد المعقول، حتى بدت جامحة جدًا. كانت تطلق ضحكات رنّانة، وتخبر نكاتًا إباحية لأشخاص بالكاد تعرفهم. شعرت إنجي بالحرج، فانسحبت

متحججة بالأولاد، بينما حاولتُ أنا أن أفهم شخصية هبة أكثر، تلك الشخصية التي كانت تثير فضولي بشدة.

****

وبعد انتهاء البث المباشر لإياد، حان موعد حديثها معه.

كان صوته يحمل غضبًا واضحًا، بعد مداخلة سوزانا.

حاولت شيرين تهدئته، إلى أن فاجأها بقوله...

-عارفة نفسي في إيه دلوقت

- إيه

- حضن

صمتت شيرين ولم تعرف كيف تجيبه حتى استرسل في حديثه قائلاً

-نورا .. لازم نتقابل

أجابته شيرين بنبرة مترددة

- مش هينفع

- أنت خايفة يحصل بينا حاجة، مش هيحصل .. بس أنا فعلاً محتاج حضنك

ازدادت ضربات قلب شيرين حتى شعرت بأنها تختنق. كانت خائفة من أن يضغط عليها إياد فتنتهي بالموافقة، لذا حاولت أن تكون صارمة قدر الإمكان، وقالت:

- **لو قلت كدة تاني ليا .. أنا هاعملك بلوك ومش هتشوفني تاني**
- **لا خلاص الطيب أحسن بس خليكي فاكرة أنك أنت اللي حرمتيني من حضنك**

****

بعد انتهاء جلستنا سويًا، ذهبت كل واحدة منّا إلى حياتها.

ورغم استمتاعي بوجودي معهن، لم أرغب في مشاركة أيٍّ منهن خوفي من عملية والدتي غدًا.

سأذهب إلى المستشفى وحدي. يجب أن أعتاد الوحدة من الآن.

فمنذ دخول والدتي المستشفى، وأنا أفكر في الأمر.

توفي والدي منذ زمن، وكنتُ فتاة أمي الوحيدة.

أما أقاربي، فلا أراهم إلا في المناسبات، وغالبًا لن أراهم إلا في عزاء والدتي.

حاولت إزاحة هذه الأفكار من رأسي كي أتمكن من النوم،

لذا قررت أن أشغل عقلي بالتفكير فيما يفكر فيه باقي الشخصيات الآن....

عند رجوع رانيا إلى منزلها، تحدّثت حديثًا قصيرًا مع والدتها، وكالعادة، لا يجمعهما حديث سوى مسألة الزواج أو اقتراحات والدتها لتيسير أمر زواجها.

قالت والدتها:

"رانيا، لقد وجدت طبيبًا جيدًا يمكنك أن تُجري عنده عملية تكميم المعدة. هل رأيتِ كيف تغيّر شكل رشا ابنة طنط سماح بعد العملية؟ يمكنكِ أيضًا إجراء تقويم للأسنان ليُعطي مظهرًا أفضل للوجه. لماذا أنتِ اجتماعية إلى هذه الدرجة؟ الرجال لا يحبون النساء المُهذارات..."

وإلى آخره من نصائح اعتادت عليها رانيا، حتى شعرت بأنها مضطرة لضبط حياتها لتتماشى مع معايير شخص غير موجود بعد.

عليها أن تنال قبوله ومحبّته وتعيش وفق شروطه.

أصبحت حياتها الآن ليست سوى فترة انتظار طويلة، إلى أن تظفر بذلك "الفارس" الذي ستبدأ معه حياتها.

وأحيانًا، تتخيل نفسها في عوالم موازية مع أحد هؤلاء الأشخاص الذين لم تكتمل قصتها معهم؛

فهي، مع هذا الزوج أو ذاك، تنعم بحضنه، لديها ابنة أو ابن تغمرهم بحنانها، وبيت دافئ يجمعهم.

وإلى أن يتحقق هذا الحلم، ظلّت حياتها في وضع الانتظار.

ألقت جسدها على الفراش استعدادًا للنوم، أغمضت عينيها، ثم تخيلت أن هناك أيادي تُداعبها بحنو، تمرر أصابعها بين خصلات شعرها، تقترب منها أكثر، شفتان تلمسان شفتيها برفق، ترخي جسدها كله، ثم تترمّى في أحضان الخيال حتى تنام.

أما إنجي، فبعد تلقّيها عدة مكالمات هاتفية من أولادها، وعند وصولها إلى البيت، وجدت كلًّا منهم في غرفته مع هاتفه.

وحين لمحوا أمهم، لم يطلبوا منها سوى إعداد العشاء، ثم عادوا إلى هواتفهم.

ذهبت إنجي لتُعدّ لهم الطعام، ثم جلست تأكله بمفردها، بعد أن أخذ كل منهم طبقه إلى غرفته.

نظرت إلى طبقها... هل تأكل مرة أخرى؟

نظرت إلى غرف أولادها...

إنها تكره الهاتف، وتكره اليوم الذي تم فيه اختراعه.

ثم تناولت طبقها وقررت أن تأكل ثانيًا، ماذا سيحدث؟ سيزيد وزنها قليلًا؟

مَن يهتم؟

لا يوجد أحد تتجمّل من أجله.

لكن... هل يجب أن يكون هناك أحد كي تعتني بجسدها وجمالها؟

لقد نسيت كونها "أنثى" منذ زمن بعيد.

عاشت حياتها كأم فقط.

وعندما حاولت، منذ فترة قريبة، أن تعتني بأنوثتها، فغيّرت من ملابسها وتسريحة شعرها،

رأت في عيون من حولها نظرة تسألها: "هل ترغبين في الزواج مرة أخرى؟"

فالمرأة، هنا، لا تتزين إلا لرجل في حياتها، أو لجذب رجل ليدخل حياتها.

ثم تذكّرت أنه يجب عليها أن تحرص في اختيار نوعية الطعام الذي تأكله،

فهي قد تجاوزت الأربعين منذ عدة سنوات، وجسدها الآن لا يحتمل طعامًا غير صحي.

لكنها لم تهتم... وأكملت أكل طعامها.

--

قبل أن أنام، ذهب عقلي إلى "هبة"... تُرى، مَن هي هبة؟

في ذلك الوقت، كانت هبة تُحادث لؤي، المريض الذي زارها اليوم، وقد بدا عليه أنه يغازلها.

لقد أظهر اهتمامًا خاصًا بها.

أما هبة، فقد كانت تفكر في نفسها:

"يا إلهي، كم يتغيّر الرجال حين تُعجبهم امرأة.

حتى يظن المرء أن الرجل، في هذا الوقت، ملاك بجناحين!

كم يصبحون حنونين وشفوقين إلى أبعد مدى...

حتى يمتلكوا تلك المرأة، فيُظهروا وجههم الحقيقي."

هبة صاحبة نظرية:

"لا يوجد رجل جيد وآخر سيئ، بل يوجد رجل كان واضحًا أنه سيئ، وآخر يُكتشف سوؤه فيما بعد."

وبرغم طريقة تفكيرها هذه، إلا أنها لم تستطع أن تتوقف عن الحديث مع لؤي.

وحين قلّبت في حساب هبة على موقع فيسبوك، وجدت منشورًا قديمًا كانت قد كتبته،

مرفقًا بصورة لها وهي تضحك على الشاطئ، وقد كتبت فيه:

إن الرجال يبحثون عن المرأة السعيدة القوية، ثم يضعون عليها قيودًا وعقبات كثيرة حتى تتبدّد فرحتها وتصبح كالوردة الذابلة.

ثم يقولون لها إنهم لا يحبّون 'النكد'، وإنها لم تعد سعيدة كما كانت قبل معرفتهم بها.

لهذا، قررت ألا أدخل هذه اللعبة.

شطبتُ من قائمة أهدافي أن أنال إعجاب رجل،

سواء بكتم ضحكتي في الأماكن العامة،

أو بالانزواء في منزلي ليقتنع أنني كائن منزلي يمكن تدجينه ولا يعترض.

والغريب أنه، منذ قررت أن أبقى سعيدة، زادت طلبات الارتباط الخاصة بي!

إلا أنني لن أنجرف إلى هذه اللعبة،

فلم أعد أرغب في البكاء في سريري كل ليلة، ثم يقول لي هذا الرجل إنني 'نكدية'.

لا، بل سأظل كما أنا... امرأة سعيدة،

يخاف المجتمع من سعادتها الواضحة،

وكأنها تُهمة... أن تكون هناك امرأة سعيدة.

****

(15) ياسمين

في اليوم التالي، ذهبتُ إلى مستشفى والدتي. لم تكن تلك اللحظات هيّنة، كنتُ وحدي، أفكّر في والدتي... أهم شخص في حياتي الآن.

كيف ستكون حياتي إن فارقتها؟

كانت رانيا، صديقتي، برفقتي. لم ترغب في تركي وحيدة في مثل هذا الوقت.

وحين كنّا ننتظر خروج والدتي من غرفة العمليات، أشارت لي رانيا نحو شخص ما. لم أعرفه في البداية... لكنه كان هو.

هاني، زوج شيرين.

تُرى، ما الذي أتى به إلى هنا؟

ثم حدث ما لم أتوقعه...

جاء هاني ليسلّم علينا، أنا ورانيا.

فكّرت:

هل يمكن أن تكون تلك إشارة من هاني لرغبته في الرجوع إلى شيرين؟

*****

بعد عدة أيام، خرجت والدتي من المستشفى، وبدأتُ أتابع حالتها.

كان من الصعب أن أبقى إلى جانبها طوال اليوم لأرعى صحتها وأتابع مواعيد أدويتها، لذا أحضرتُ ممرضة ترافقها.

لكنني، يوميًا، كنتُ أنسحب ليلاً لأستمع إلى صوت دقات قلبها، فقط لأتأكد أنها ما زالت على قيد الحياة، فأطمئن... وأذهب إلى نومي.

لكن، لم يكن رجوع والدتي هو الحدث الوحيد في هذا الأسبوع.

فقد ظهر هاني مجددًا في حياة شيرين.

تلقت شيرين مكالمة هاتفية من هالة، أخت زوجها، تدعوها فيها لزيارة منزلها.

كان الأمر غريبًا... أن تدعوها هالة الآن، بعد أن انقطعت العلاقة بينهما منذ اختفاء هاني من حياتها. لكن هالة أخبرتها أن هناك أمرًا هامًا:

هاني قد عاد، ويرغب في رؤيتها، هي والأولاد، تالا ويوسف.

حين سمعت شيرين اسم زوجها، ارتجفت.

شعرت بدقات قلبها تتسارع.

لطالما انتظرت تلك اللحظة منذ غيابه. ثلاث سنوات، وهي تحلم بها:

أن يعود هاني، أن يقدّم لها اعتذارًا أمام الجميع،

أن تُسترد كرامتها التي سُلبت منها كزوجة مهجورة.

من أجل هذه اللحظة، رفضت شيرين أن ترفع قضية طلاق.

أرادت أن يعود هو، ويطلبها بنفسه،

وحينها... ربما تكون هي من يطلب الطلاق، وتغادره بلا رجعة.

أنهت المكالمة مع هالة، واتفقت أن تزورها يوم الأربعاء

****

(16) رانيا

أثناء تصفحها لموقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، تلقت رانيا طلب صداقة باسم ماجد مراد. لم تكن تعلم مَن هو ماجد، لكنها وجدت ضمن الأصدقاء المشتركين اسم سلمى، صديقتها.

هل يُعقل أن يكون ماجد زوجها؟

ترددت رانيا في قبول الطلب، فأرسلت إلى سلمى تسألها إن كانت تعرفه.

لكن رانيا كانت تعرف الإجابة مسبقًا... بالطبع تعرفه، إنه زوجها.

لكن السؤال الخفي كان: هل تقبل بذلك؟

أجابت سلمى بعفوية: "آه، ده جوزي."

مما أوضح لرانيا أن سلمى ذات عقلية منفتحة، ستتقبل وجود زوجها ضمن قائمة أصدقائها. ومن ثم، قبلته.

على الجانب الآخر، وبعد المشاجرة التي وقعت بينه وبين زوجته سلمى عقب دعوة العشاء الأخيرة مع عائلته، شعر ماجد بفتور متزايد تجاه زوجته.

ذلك الفتور الذي بدأ منذ ولادة طفلهما، لكنه لم يكن قادرًا على التصريح به،

فاكتفى بالتهرب منها، أو بإقامة علاقة معها لإفراغ حاجته الجسدية، دون رغبة حقيقية. اشتاق إلى جسدها القديم، قبل الولادة. وجاءت المشاجرة الأخيرة لتزيد نفوره.

بالصدفة، شاهد صورة تجمع زوجته برانيا على حسابها الخاص.

كان يشعر بالملل، فدخل إلى صفحة رانيا. بدا له أنها فتاة جميلة فعلًا.

كانت هناك صورة لها في المكتب، تجلس إلى جانب سلمى،

ويظهر جزء بسيط من صدرها خلف شاشة الحاسوب.

رغم أن الصورة لا تحمل الكثير من التفاصيل، إلا أن خياله أكمل ما لم يظهر.

لم تكن رانيا أول فتاة يتخيلها بهذه الطريقة.

فمنذ تغيّر جسد زوجته وتدلي صدرها المكتنز بفعل الرضاعة، بات يرى في كل امرأة تفاصيل ناقصة يتمّمها بخياله.

كان خياله منشغلًا دائمًا بهذه التصوّرات، حتى بات الأمر أقرب إلى هوس جسدي. بينما هو مستغرق في أفكاره، جاءه إشعار بقبول رانيا طلب الصداقة.

أخذ يتصفّح ما تكتبه، ولفت انتباهه حسّها الفكاهي، كانت تبدو فتاة مرحة وذكية.

نادراً ما تجمع المرأة بين الذكاء وخفة الظل والجمال، كما ظنّ.

فكّر كثيرًا، ثم تشجّع، وأرسل لها رسالة:

"عاملة إيه؟"

****

(17) إياد

في أثناء طريقه للعودة إلى منزله، لمح سيارةً ما تلاحقه على الطريق، كانت تحاول الاقتراب منه بإلحاح، وتقودها فتاة جميلة، لكنه لا يعرف من هي.

ظلت تلاحقه وتعطيه إشارات متكررة ليتوقف.

كادت تصطدم بسيارته أكثر من مرة!

"المجنونة!" — فكّر — "كان من الممكن أن تنقلب بي السيارة."

لا مفرّ. لا بد من التوقف... ومعرفة ماذا تريد.

- **ولا حاجة .. عايزة أتعرف عليك ونشرب حاجة سوا**

قالتها بعفوية شديدة وكأنها لم تكن ستقلته منذ قليل

- **كنتي هتموتيني عشان عايزة تتعرفي عليا**
- **اعمل أية ماسبيتليش غير الحل ده**

حينما كان في السيارة، اشتعلت بداخله رغبة شديدة في صفع الفتاة التي تقود السيارة. ما فعلته كان جنونيًا وخطيرًا.

لكن... ما إن رآها، تغيّر رأيه فجأة.

حتى طريقتها المتهوّرة في التعرف عليه وجدها... جذابة.

قبل دعوتها له دون تردد، لكنه سألها:

- **أنت مين**
- **مش عارفني .. أنا سوزانا**

....

استمر ماجد في اختلاق الأحاديث مع رانيا في هذا المساء، لكن رانيا كانت متحفظة إلى حد كبير في إجاباتها له، خوفًا على مشاعر سلمى. أما سلمى فقد كانت تحادثني في ذلك الوقت، تروي لي جميع الأحداث والشخصيات تشكو لي لأنني الراوية. حدثتني سلمى عن الشجار الذي وقع بينها وبين زوجها، وكالعادة، كما توقعت، لا تحدث المشاكل عند سلمى إلا بسبب الأمور المادية. فقد علمت سلمى أن ماجد تكفل بالعديد

من الأمور في جهاز أخته، التي اقترب موعد زواجها، ورأى أن ذلك واجب عليه تجاه أخته وعائلته. ومما أثار جنون سلمى هو ما رغبت فيه نور، أخت ماجد، من أجهزة باهظة الثمن تفوق قدرتهم المادية. وعندما اعترضت سلمى على ذلك، اتهمها زوجها بأنها "زوجة غير أصيلة" وأنها تكره عائلته.

ظلت سلمى تبكي معي على الهاتف، تشرح لي وتبرر موقفها، وكيف أن ذلك سيؤثر على حالتهم المادية السيئة أساسًا. أكدت أنها شريكة له وتتحمل معه تبعات قراراته المالية. ظللت أستمع إلى تلك العريضة التي تقدمها لي سلمى للدفاع عن نفسها، رغم أنني لم أتهمها بشيء. لكنها كانت ترغب في عرض هذه العريضة على زوجها لتأخذ منه حكمًا بالبراءة.

لكنني كنت أتفهم وضعها كامرأة متزوجة. فسابقًا، كنت أظن أن علاقة الزواج هي أكثر علاقات البشر شفافية، لكنني اكتشفت فيما بعد أن الشفافية والصراحة المطلقة لا وجود لهما في الزواج. لا تستطيع سلمى أن تخبر زوجها أن عائلته تستغله أو أنها لا تشعر بالراحة في وجودهم. لذا، عندما كان يفيض بها الكيل، كانت تتحدث معي لتسكب غضبها، ثم

تصبح لديها طاقة للادعاء والتمثيل والتحدث بدبلوماسية عن أشياء حساسة مثل علاقة زوجها بعائلته. ثم بكت وأغلقت الهاتف.

....

(18) إياد

ذهب إياد برفقة سوزانا إلى أحد المطاعم الموجودة في مول قريب منهم، بدا يتناولان الطعام سوياً، سوزانا حقاً فتاة جميلة بملامح أوربية تجمع داخل عينها زرقة البحر وجسد ممشوق وابتسامة هادئة، كل هذا جعله ينسى ما فعلت معه ويسألها بهدوء

- **انت لية كنتِ بتهاجميني في اللايفات وتقولي إني بسرق اللي بكتبه من كُتاب أجانب**

تناولت سوزانا قطعة من اللحم أمامها ومضغتها ببطء وهي تنظر في عينيه قبل أن تجيبه

- **أعمل إية ... كنت هعرف إزاي الفت انتباهك ليا وسط كل البنات اللي عندك دول، أقولك إنك أعظم كاتب وأنك بتسلط الضوء على حاجات محدش غيرك أتكلم فيها، كل دي حاجات إتقالتك قبل كدة، كان لازم استفزك عشان ترد عليا**

- **بس كان ممكن أعملك بلوك**

- **ماكنتش هستنى لغاية ما الأمور توصل لكده بس كان لازم الفت انتباهك الأول ليا**

تناول هو الآخر قطعة من اللحم الموجودة في طبقه، ولمح من بعيد طفلًا يركض أمامه. لم تمضِ دقيقة حتى ظهرت أم الطفل تتبعه، وتلاقت نظرات أعينهما للحظة قصيرة، أقل من دقيقة. لكن تلك النظرة كانت كافية... لقد تذكّرها فورًا. كانت "ملك جابر"، إحدى النساء اللواتي عرفهن في الماضي.

ملك كانت شخصية مميزة للغاية، لم يستطع أن ينساها، ولم يتمكن يومًا من استيعابها بالكامل. جمعت بينهما لحظات متعة جسدية على الفراش، لكنها لم تكن بحاجة إلى المال لتفعل ذلك، ولم تسعَ لأي علاقة عاطفية. لم تكن متزوجة أو محبطة من حياتها الزوجية؛ بل لم يسبق لها الزواج أصلًا.

كان يمكن لملك أن تعيش حياة عادية، لكنها اختارت هذا النمط المختلف من العلاقات. وحين سألها عن السبب، صدمته إجابتها: كانت تحب الخطيئة. تحب اللحظات المثيرة في الظلمة. قالت له: "لو تزوجت، سيتحول كل شيء إلى عادة مملة".

حين فتشت في صورها القديمة، وجدت صورًا لها وهي تؤدي مناسك الحج، وأخرى في حفلة خطوبة. أخبرتني أنها، في وقت من الأوقات، فكرت في التوبة والعيش بشكل طبيعي، لكنها لم تستطع. اكتشفت أنها

واقعة في حب الخطيئة، وأنها لا تشعر بالسعادة إلا في هذا النمط من الحياة. حتى حين تحاول أن تُبعد نظرها عن الجحيم، فإنها تظل تتأمله من بعيد وتغازله.

كانت مدمنة على الألم، وتتلذذ به. وحين سألها: "أي ألم؟"، أجابته: "ألم الذنب واحتقار الذات. نار جهنم مش هتفرق كتير عن اللي بعيشه".

وكأنها تدور في حلقة مفرغة: متعة، ثم توبة مفتعلة، ثم احتقار للذات، ثم تعود للمتعة هربًا من الاحتقار... وهكذا.

أُعجب إياد وقتها بقدرتها على فهم ذاتها وتقبلها، ووجد نفسه لا يختلف عنها كثيرًا. لكنه لم يكن يملك شجاعتها في مواجهة نفسه بحقيقته. قرر حينها أن يكتب عن شخصيتها في رواية. فكل شيء يحدث في حياة إياد كان يتحوّل لمادة خام يكتب عنها، من أجل مزيد من الجوائز والمجد الأدبي. لم يكن يرى الأشخاص من حوله سوى شخصيات يستغلها في الكتابة، ليُخلِّد اسمه كأديب لامع ومؤثر.

لم يكن يتوقع أبدًا أن تصبح ملك أكثر من مجرد مصدر للإلهام والمتعة. لكن ذلك تغيّر في اليوم الذي استيقظ فيه ليجدها تتقيأ بجانبه في السرير. تكرّر الأمر عدة مرات، حتى جاء اليوم الذي أخبرته فيه أنها حامل.

قالها بصراحة: إنه لن يتحمل مسؤولية طفل، ويجب أن تجهض. لكنها كانت أكثر صلابة مما تخيّل، وأخبرته برغبتها في أن تصبح أمًا، وربما تسافر إلى أمريكا وتمنحه اسمها.

في اليوم ذاته، هرب إياد من شقتها، غيّر أرقام هواتفه واختفى من حياتها تمامًا.

نسي كل ما حدث... أو هكذا ظن.

حتى هذا اليوم، حين لمحها مع الطفل، وفكّر للحظة:

هل من الممكن أن يكون هذا... ابني؟

....

(19) شيرين

كان الأربعاء هو اليوم الذي انتظرته شيرين. دخلت منزل هالة، ذلك المنزل الذي لم تطأ قدماها منذ سنوات. استقبلها أسعد، زوج هالة، بترحابٍ لطيف، ثم جاءت هالة وعرضت عليها مشروبًا. وأخيرًا، ظهر هاني. اضطرب قلبها قليلًا حين رأته، وتأملت هيئته. لم تغيّره سنوات الغياب كثيرًا، سوى أن وجهه أصبح أكثر شحوبًا، وأطال ذقنه قليلًا. في البداية، ساد التوتر الأجواء، وكانت نظرات هاني معلقة على وجه شيرين، تفتش فيه عن شيء ما. حاول أسعد أن يلطّف الجو ببعض النكات السخيفة، ثم انسحب هو وهالة ليتركا لهما مساحة للعتاب والحديث. لكنهما لم يبتعدا تمامًا، بل بقيا في المطبخ يراقبان بصمت، مترقّبين ما سيجري بين الزوج العائد والزوجة التي تُركت لسنوات.

اقترب هاني من شيرين، وسألها بصوت هادئ:

- **عاملة إية يا شيرين.. والأولاد عاملين إية**

جاءت كلماته عادية جدًا، كأنه شخص غريب يرغب فقط في الاطمئنان عليهم. شعرت نحوه بالحنق والغضب الشديد، حتى إنها لم تستطع أن تجيب عن أسئلته من شدة الغيظ، فوجهت إليه نظرات حادة صامتة. جلس بجانبها، وحاول أن يمسك بيديها، لكنها سحبتهما منه فورًا، فاسترسل في الحديث وقال...

- **أنا عارف أنك زعلانة مني.. بس متأكد أنك هتسامحيني**

غضبت شيرين من جملته الأخيرة، أنه حتى لم يعتذر لها، من أين جاء تأكده أنها ستغفر له وكأنها مليكة خاصة به يتركها في أي وقت ويعود لها متى شاء، أكمل هاني حديثه

- **أنا شوفت حاجات كتير وحصلت لي حاجات أكتر.. ورغم كل ده مالقتش غيرك أنت وأولادي أحس إني بنمتي ليهم في العالم ده .. أنا تعبان يا شيرين ومحتاج حضنك أنت وأولادنا**

لم يكن هذا ما تصورته شيرين. إنه لا يشعر بها، ولا بما حدث معها. لم يتفوه بكلمة واحدة عن الألم الذي شعرت به هي أو الأولاد. لم يسأل نفسه كيف مرت هذه السنوات عليها، وهي بمفردها ترعى طفلين. إنه غارق في معاناته وألمه، وجاء فقط ليحصل على بعض الدعم، هكذا ببساطة. لذا، جاء رد شيرين جافًا على حديثه، فقالت بلهجة خالية من أي عاطفة، ومن دون أن تنظر إلى عينيه...

- **وهو حضن الست اللي كنت عايش معاها مكفكش ولا فاكر إن أخبارك ماكنتش بتوصلني**
- **شيرين .. إحنا هنرجع لبعض، أنا محتاج أبقى وسطكم، معاكي ومع الولاد**
- **ترجع فين.. مين قال إني موافقة أرجعلك، بس لو عايز تشوف أولادك تقدر تشوفهم في أي وقت مش عشانك بس عشانهم هما**

اقترب هاني من شيرين وامسك يديها وانحنى أمامها وقال بصوت هادئ ولهجة أقرب إلى الاستعطاف

- **أنا عيان يا شيرين .. خايف أموت، لازم تبقى جمبي**

كانا هالة وأسعد يتابعن الحوار من المطبخ وتقدموا قليلاً ليروا ماذا سيكون رد فعل شيرين، التي أجابت بنفس اللهجة العسكرية الخالية من العواطف ودون أن تنظر إلى عينيه

- **سلامتك .. أن شاء الله تخف وتبقى كويس، أنا لسة عند كلامي، أي وقت محتاج تشوف فيه ولادك تقدر تشوف، بس أبقى اتصل قبلها بيا إديني خبر**

لم يتوقع هاني هذا الرد منها، فقد ظن أنه حين يخبرها بأنه ربما سيموت، ستبكي عليه، ويذهبان معًا إلى بيتهما الصغير، لتحيطه بحضنها وحضن أطفاله في مرضه. لذا، استشاط غضبًا منها، وانفجر قائلًا...

- **بقى ده رد واحدة .. جوزها كان غايب عنها بقاله سنين ودلوقت عايز يرجعلها وبيقولها أنه عيان خلاص مابقاش عند مشاعر خالص**

نظرت شيرين له بغضب وقالت

- **عايز تشوف رد فعلي بعد ما غبيت عني السنين دي كلها**

ثم اقتربت منه شيرين وصفعته على وجهه. ظهرت الصدمة على وجهَي هالة وأسعد، اللذين لم يتوقعا أن يكون رد فعل شيرين عنيفًا إلى هذا الحد. أما هاني، فلم يستوعب أن شيرين قد ضربته، وقبل أن يفيق من صدمته هو الآخر، تناولت شيرين حقيبتها وخرجت من بيت هالة.

خرجت شيرين إلى الشارع وهي تبكي. لم يكن هذا ما انتظرته. اكتشفت مدى أنانية زوجها؛ فقد عاد من أجل نفسه، كما غاب من أجل نفسه. الغضب ملأ قلبها، فسحبت هاتفها واتصلت بإياد، وطلبت أن تقابله حالًا في منزله.

****

(20) منزل هبة

ذهبت رانيا في زيارة قصيرة إلى منزل خالتها لرؤية هبة، التي غابت عن الأنظار ورفضت عرض رانيا بالخروج سويًا. في البداية، لم ترغب هبة في مغادرة غرفتها، لذا دعتها خالتها

إلى الدخول إليها، لعلمها بطبيعة رانيا المحبة للمرح، علّها تستطيع أن تُخرجها من حالة الحزن المبهم التي خيّمت عليها.

حين دخلت رانيا، وجدت الغرفة غير منظمة؛ الملابس ملقاة في كل أرجائها، والفراش غير مرتب. أما هبة، فكانت قابعة بعيدًا في طرف السرير، تحيط عينيها هالات داكنة وكلف، وتنظر إلى الأسفل بأسى. حاولت رانيا فتح حديث معها...

- **مالك بس يا هبة**

- **ماليش**

أجابتها هبة دون أن تنظر إلى أعين رانيا، استمرت رانيا في محاولاتها في فتح حديث معها

- **عارفة لو تقومي ترتبي الأوضة دي، وتاخدي دش حلو كدة وتطلعي معايا، هتلاقي نفسيتك اتحسنت خالص، أصل الكركبة دي تجيب الغم**

قالت رانيا جملتها الأخيرة وهي ترتب غرفة هبة وتبدأ تضع بعض من ملابسها في خزانة الملابس، لكنها انتبهت إلى أن هبة لا تتفاعل معها، فحاولت بدء حديث يمكن أن يلفت انتباها فقالت

- **عايزة آخد رأيك في موضوع، في واحدى صاحبتي معايا في الشغل اسمها سلمى، من أسبوع لاقيت جوزها باعتلي *add* على الفيسبوك وانا قبلته عادي بس حاسة بحاجة غريبة**

لاحظت رانيا أن هبة بدأت تركز معها، حيث رفعت أعينها نحوها فأكملت حديثها

- **بصي بحس أن جوزها مركز معايا، يعني أنزل بوست الاقيه عاملي لايك أو كونت على طول، أنزل استوري الاقيه بيرد عليا ويفتح معايا كلام، بس دماغك متروحش بعيد كله كلام عادي مافيهوش حاجة**

أجابتها هبة بنبرة فاترة

- **وطالما كلام عادي مافيهوش حاجة، خايفة من إيه**
- **أصلي حاسة بسنة اهتمام منه وبصراحة خايفة سلمى صاحبتي تزعل أن جوزها بيكلمني كتير**
- **بصي يا رانيا سواء مراته صاحبتك أو لا، مفيش راجل يستاهل تجاريه في الكلام، كل الرجالة عايزة السك على دماغها، طب بذمتك هو يقبل أن سلمى مراته تكلم زميلها أو صاحبه حتى لو كلام عادي**

أطمئنت رانيا حين لاحظت نبرة هبة الحازمة التي تعرفها جيداً حين يبدأ الحديث عن الرجال إذاً فهي بخير، ثم فكرت في السؤال الذي طرحته هبة وقالت

- **مش عارفة يا هبه يقبل ولا مايقلبش بس أعتقد مايبقلش، بس أنا بتحرج فابضطر أرد**

أزاحت هبة عينيها بعيداً عن رانيا عن سمعت كلامها الأخير ورخوة إرادتها في التعامل مع زوج صديقتها، وحين لاحظت رانيا أن هبة سترجع إلى الوضع الذي كانت عليه قبل قليل، فكرت في مشاكستها قائلة

- **كنت عايزة أسألك هو لؤي من الرجالة اللي عايزة السك على دماغها برضو ولا حالة خاصة**

اضطربت هبة وقالت

- **لؤي مش متجوز**

ضحكت رانيا في نفسها، يبدو أن هبة، عدوة الرجال، واقعة في غرام شاب ما. تُرى، من هو ذلك الشاب الذي استطاع أن يُوقع هبة في حبه؟

****

(21) منزل إياد

فتح إياد باب منزله بعد أن أرسل إلى نورا الموقع الجغرافي عبر الإنترنت. جاءت نورا إليه عقب مكالمة صوتية وهي تبكي، ولم يستطع أن يعرف ما الذي جعلها مضطربة إلى هذا الحد.

حين وصلت، بدأ يتأملها. كانت هذه المرة الأولى التي يرى فيها وجهها. لقد سمع صوتها كثيرًا عبر الهاتف، ورأى من جسدها ما يطيب له، لكنه لم يرَها هي. وها قد أتت.

بدت عليها علامات التوتر والخجل، وآثار دموع مسحتها. أدرك أنها المرة الأولى التي تدخل فيها منزل رجل غريب، كما تخيّل تمامًا. لقد اشتاق إلى هذا النوع من النساء.

رحّب بها بحرارة، وحاول أن يكسر خجلها وصمتها قائلًا...

-تحبي تشربي حاجة

أومأت بالنفي دون أن تجيبه، فأكمل

- **أنا هجبلك حاجة عادية تشربيها، أكيد مش هنسكر سوا متخافيش**

نظرت شيرين إلى الأسفل دون أن تجيبه، فانزعج إياد وقال

-هو ياما أشوفك، ياما أسمع صوتك..ماينفعش الاتنين

رفعت شيرين عينيها لتنظر إليه. رجل وسيم، تمامًا كما في صوره، وديكور منزله مريح للعين والنفس. لم تفهم تمامًا لماذا جاءت إليه الآن، لكنه كان أول شخص رغبت في الحديث معه بعد لقائها بزوجها. نظرت إليه قائلة..

- **جوزي عايز يرجعلي**

صُدم إياد مما سمع. لقد ظن أنها جاءت إليه شوقًا إلى حضن حقيقي، بديلًا عن محادثات الإنترنت. لكن إن كان زوجها قد عاد إليها، فلماذا جاءت الآن؟ هل لتودّعه؟ لكنها أكملت قائلة...

- **النهاردة قابلته في بيت أخته لأول مرة من تلت سنين، تلت سنين كنت عارفة أنه في أحضان واحدة تانية، قالي نرجع وكأن مفيش حاجة حصلت**

- **وانت عايزة ترجعليه**

- **أنا عايزة تمن السنين اللي عدت، وكرامتي اللي اتبعرت قصاد الناس، عارف إيه أكتر حاجة تعباني، أنه حتى مش حاسس هو عمل فيا إيه، مافكرش سنين دي عدت عليا إزاي**

بدأت أعين شيرين تدمع، اقترب منها إياد بدأ يتأمل جسدها الآن، الجسد الذي تعود أن يراه من خلف الشاشة، صدرها الجميل الذي أحبه فيما سبق، قوامها الممتلئ قليلاً كما يحب، وشفتاها الصغيرتان، كان يعلم أنها الآن في أضعف حالاتها، فهم أنها جاءت لتنتقم من زوجها، إذن فليبدأ الانتقام، اقترب منها ببطء، مسح دمع أعينها، وضع رأسها على كتفه، علم أنها ترغب في البكاء، لذا وضعها في الوضع المناسب له، مرر يديه على ظهرها ببطء ثم كفتيها وصدرها وقبلها بحنان أما شيرين فوجدت نفسها مجمدة أمامه، خُيل لها أنها

ستضربه وتذهب لكنها لم تفعل بل استسلمت له، وبدا سيل من الذكريات يحيط بها، تذكرت زوجها يقترب منها، استسلمت لتكون في الوضع الذي رغبت أن تكون فيه من زمن، تاركة نفسها للنشوى ولإياد.

حين انتهى كل شيء، علّقت شيرين عينيها على السقف، ذاهلة، لا تفهم تمامًا ما حدث. انكمش إياد إلى جوارها، يتكور داخل حضنها، لكنها بعد دقائق حاولت أن تلملم شتات نفسها.

شعرت وكأن شيئًا في داخلها انطفأ، تلك النار التي كانت مشتعلة تجاه زوجها قد هدأت، لكن شعرت بثقل الخطيئة استقر على صدرها، أثقل من رأس إياد المستند إليها. تساءلت في سرها: هل شعر زوجها يومًا بهذا الثقل؟ أم أن الذنب شعور نسائي فقط؟ ورغم الحزن الذي بدأ يتسلل إليها، لم تستطع إنكار ما شعرت به من دفء وأنوثة وسط اللحظة... تلك اللحظة التي لا تدري إن كانت انتقامًا أم هروبًا من وجع أعمق.

سمعت شيرين صوت أنين خافت ونشيج مكتوم على صدرها، تلاه شعور بقطرات دافئة تنساب على بشرتها. نظرت إلى وجه إياد... لقد كان يبكي بشدة. حاول أن يخفي وجهه عنها، أن يهدّئ نفسه، لكنه لم يستطع. ترك العنان لدموعه تنهمر، ولقلبه أن يئن، ولضعفه أن يظهر أمامها.

- **بتعيط ليه**

- **يمكن أكون أب ومش عارف**

اندهشت شيرين من تصريحه، يبدو أن كلاً منهم جاء ليصارح الآخر بسر لا يتوقعه فسألته

- **أزاي**

- **امبارح شفت ست كنت أعرفها زمان ومعاها طفل**

- **طب ما يمكن ده ابنها هي**

- **آخر مرة شوفتها فيها قاتلي أنها حامل، وأنا هربت منها، من امبارح للنهاردة وأنا عمال أحسبها، الطفل عمره تقريباً أربع أو خمس سنين وأنا آخر مرة شوفتها فيها كانت من ست سنين**

- **وهي إزاي هتقدر تحتفظ بطفل أبوه مش عايزه، يعني هتكتبه باسم جوزها وهو ابنك**

- **ماكنتش متجوزة**

- **مش فاهمة**

- **انت ماتعرفيش ملك، ملك كانت مجنونة، غير أي واحدة عرفتها، ممكن تكون خلفته برة وكتبته باسمها**

انفعلت شيرين مما سمعت، كيف يمكن أن يكون أب وأم بهذا القدر من اللامسوؤلية؟ ثم فكّرت في والدة الطفل... بدا لها أن النساء اللواتي يعرفهن إياد لسن من أولئك البغايا الفقيرات الساعيات وراء المال فقط، بل هن نساء وفتيات من الطبقات العليا، اللواتي يمتلكن رفاهية طلب المتعة لأجل المتعة، وربما حتى الإنجاب للسبب نفسه.

فقالت بنبرة أعلى من المعتاد:

- **يعني بالنسبة لكم الموضوع كله تجربة؟ طفل يتولد ومحدش عارف مين هيحبّه ومين هيربيه؟!، كلمها واعرف اذا كان ابنك ولا لا**

- **لا ماقدرش**

- **عشان تطمن وتعرف إذا كان ابنك**

- **أخاف يطلع ابني .. مش هقدر أكون أب**

قال إياد جملته الأخيرة وهو يغرق في شعور بالعار والخزي من نفسه، أما شيرين، فبدأت تراه بعين مختلفة، بعينٍ ترى أنانيته بوضوح، تراه مجرد رجل آخر لا يفكر إلا في نفسه، تمامًا كزوجها هاني، الذي لم يضع أبناءه في حسبانه حين تركهم.

ثم لمعت الفكرة في عقلها فجأة... إن كان هاني قد ترك أولاده ليُنعِّم جسده في حضن امرأة أخرى، فأليس إياد الآن يفعل الشيء ذاته؟ ترك ابنه، وها هو في حضنها!

إذن، ما الفرق بينها وبين عشيقة زوجها؟

في تلك اللحظة شعرت شيرين بالاشمئزاز... من نفسها، ومن إياد، ومن كل ما جمع بينهما.

جالت بعينيها تبحث عن حقيبتها، وما إن وجدتها حتى التقطتها لتغادر، لكن إياد أمسك بيديها وهو راكع وقال:

- **نورا ماتمشيش .. أنا لسة محتاج احتضن**

نظرت إليه شيرين وداخلها يموج بالحنق والغضب، لم تطق حتى لمسة يديه، فسحبت يديها منه بقوة وقالت بنبرة مشبعة بمرارة ورغبة جارفة في أن تفضح كل ما بداخلها قبل أن ترحل:

- **لازم امشي .. وعلى فكرة اسمي الحقيقي شيرين**

قالت جملتها الأخيرة وهي تنظر إلى الباب ثم أفلتت يديها منه ورحلت.

....

الطريقة الثالثة (المواجهة)

ياسمين

فكر في شخصيات الرواية معظم يومي، أضع الكلمة بجانب الأخرى لتصبح سطرًا ذا معنى، ثم أرتب سطرًا تلو الآخر لتصبح حكاية، وأضع الحكاية تلو الأخرى لتكتمل الرواية. أكتب لأهرب. منذ مرض أمي وأنا لستُ أنا. علمت أن هناك موتًا، وأنني ربما أفقد والدتي في أي وقت.

الوحدة التي أكتب عنها وأهرب منها، لا مفر من مواجهتها يومًا ما.

قلت لنفسي: لماذا أهرب من هذه المواجهة التي ستأتي حتمًا؟

أنا ووحدتي يجب أن نلتقي يومًا، فلنتقابل كأصدقاء لا كأعداء.

لذا فكرت أن أعيش في منزل آخر، مستقل عن والدتي، لا يحمل ذكرياتنا معًا، أعتاد فيه على الوحدة والصمت، ولا أنتظر فيه أحدًا.

....

(22) رانيا

أثناء عبثها بهاتفها، تلقت رانيا رسالة من ماجد يدعوها لحضور حفل زفاف شقيقته نور.

تعجبت من أنها تلقت الدعوة منه هو، لا من صديقتها سلمى.

أما ماجد، فقد رأى في حفل زفاف شقيقته فرصة جيدة لرؤية رانيا على أرض الواقع،

لا أن يكتفي فقط بصورها على الإنترنت.

أرسل إليها الرسالة،

ثم تذكر فجأة أن رانيا في الأساس صديقة زوجته، لا صديقة له هو.

فطلب من سلمى أن تعزم زملاءها في العمل.

وحين دعتنا سلمى، لم نستطع الحضور:

أنا بسبب مرض والدتي، وإنجي تحرّجت من الحضور إلى عرس لا يجمعها فيه صلة وثيقة بأحد العروسين، أما شيرين، فلم تتمكن من ترك أطفالها.

لم يتبقَ سوى رانيا... التي وافقت على الحضور، بعد تحفيز والدتها لها، فربما يراها أحد ويخطبها. وهكذا، جاءت إلى العرس.

وكان ذلك هو اللقاء الأول بين رانيا وماجد.

تأمّل ماجد رانيا. لم يكن صدرها بنفس العلو الذي تخيّله،

وكانت أقل جمالًا مما ظهرت عليه في صور الإنترنت. لكنها، مع ذلك، كانت جميلة. بدأ معها حديثًا وديًا. لاحظ مدى عفويتها وخفة ظلها، وأُعجب بهما.

خاصة أن زوجته، سلمى، ذات طبع جاد وخجول، لا تشبه رانيا المنطلقة والمرحة.

وسأل نفسه:

"تُرى، لماذا فتاة جميلة مثلها لم تتزوج حتى الآن؟

ربما لا تُعجب بأحد بسهولة..."

ثم انصرف عنها بلباقة، دون مبالغة في الترحيب أو التودد،

حتى لا تلاحظ سلمى شيئًا.

أما رانيا،

ففي حديثها القصير معه، شعرت – بشكلٍ ما – أنه يُبدي اهتمامًا خاصًا بها.

لم تُرِد أن تبالغ وتسمّي ذلك "إعجابًا"، لكن حدثها الأنثوي استشعر اهتمامه.

رغم أن حديثه لم يتعدَّ حدود الأدب واللياقة، ولم يتجاوز معها أي حد،

إلا أنها شعرت بأنه يراها... بطريقة مختلفة.

ثم فكرت:

هل يكون هذا الشعور سببه الفراغ العاطفي الذي يملأ حياتها؟

هل صارت تفسر أي مجاملة رقيقة على أنها اهتمام خاص؟

تذكرت إياد، الذي كانت تتابعه بشغف على الإنترنت،

لكن شغفها به انتهى سريعًا بظهور ماجد في حياتها،

وبشعورها أنه يراها.

حزنت لحالتها العاطفية السيئة، وأشفقت على نفسها.

ثم نظرت إلى سلمى، وهي برفقة زوجها وطفلها،

ولعدة ثوانٍ... تخيّلت نفسها مكانها.

لكنها لم ترغب في الاسترسال في هذا الفكر،

وصرفت ذهنها إلى أشياء أخرى.

****

(23) شيرين

وفي المساء، حين عادت شيرين إلى منزلها، تفاجأت بوجود هاني، زوجها، داخل البيت. أَيُعقل أنه ما زال يحتفظ بنسخته من مفتاح المنزل طوال سنوات غيابه؟

كان برفقتها الأولاد، بعد أن اشتروا بعض الأدوات المدرسية.

نظر يوسف، طفلها الصغير الذي لم يتجاوز السابعة من عمره، إلى والده، لكنه لم يتعرف إليه. أما تَلا، ذات الاثني عشر عامًا، فقد تعرفت عليه، خاصة أن ملامحه لم تتغير كثيرًا، لكنها، مع ذلك، لم تُبدِ أي اهتمام بوجوده.

حاول هاني التقرب من أطفاله؛ أحضر معه بعض الهدايا لهم. تناول يوسف الهدايا بفرح ولهى بها بعيدًا عن أبيه، أما تَلا، فتناولت الهدايا بعدم اهتمام، وحين رغب في احتضانهما، فرّا من بين ذراعيه وهربا وهما يحملان ألعابهما.

ظل هاني واقفًا أمام شيرين، بمفردهما بعد ابتعاد الأولاد، ثم حاول أن يكسر حاجز الصمت بينهما، وقال...

- **كنتوا فين كل ده**

شعرت شيرين بالغضب من سؤاله، هل سيستأنف الآن دوره كزوج وأب له الحق أن يعرف أين ذهبت زوجته وأولاده وكأن شيئاً لم يكن فأجابت بغضب

- **البيت ده بقاله تلت سنين مافيهوش راجل ومفيش حد هنا بيسألني امتى بخرج وامتى برجع واهو زي مانت شايف ماشي زي الفل اهو**

استغرب هاني من ردّة فعل زوجته العنيفة على سؤاله البريء؛ ربما لا تزال غاضبة منه، لكن عليه أن يخبرها الآن، فلا وقت لديه ليضيّعه.

- **شيرين أنا هرجع أعيش معاكوا هنا**

أنت قررت لوحدك كدة

زفر هاني طويلًا، إلى متى ستظل شيرين على عنادها معه؟ لا وقت الآن للعناد والمكابرة. اقترب منها، ونظر في عينيها الممتلئتين بالغضب، وبلهجة أقرب إلى التوسل، قرر أن يخبرها.

- **شيرين .. أنا اكتشفت أن عندي سرطان في البنكرياس وماكنتش أعرف، ولما عرفت اكتشفت إني في مرحلة متأخرة ومفيش أمل من العلاج**

ثم اقترب منها أكثر، وانحنى أمامها وهو يمسك بيديها، وقال وعيناه تدمعان:

- **خليني أموت معاكي هنا ومع الأولاد**

توقّع هاني أنه حين يخبر زوجته بمرضه ستنهار من أجله، وتغفر له هجره لها، لكن شيرين لم تشعر نحوه بأي شفقة. لقد عاد إليها فقط حين علم أنه مريض، وبحاجة إلى حب ورعاية أسرته.

هكذا، مجانًا... لأنه مريض؟

وماذا عنها هي؟ لقد أصبحت في غيابه امرأة خائنة، لم تعد شيرين التي يعرفها، لقد تشوّهت تمامًا.

والآن يُفترض بها أن تقدّم له الحنان والرعاية، وكأن شيئًا لم يكن؟

فبكت شيرين، وتأثرت، فقال لها هاني وهو يبكي أيضًا:

- **انت بتعيطي علشاني**

- **انت ليه فاكر أن كل حاجة بتحصل في الدنيا بتبقى علشانك، أنا بعيط علشاني أنا**
- **أنا عارف أن الخبر صعب عليكي بس أنا هكون كويس بينكم**

استنكرت شيرين تفكيره المستمر في نفسه، والآن بات لديه حجة أقوى ليواصل التركيز على ذاته فقط: إنه مريض..

طال صمت شيرين، واستمرّت دموعها في الانهمار بصمت.

ظنّ هاني أنها أخيرًا شعرت به، فوضع رأسه في حِجرها، وأرخى جسده، وكاد أن يدمع هو الآخر، ثم قال:

- **الحياة ظلمتني يا شيرين**
- **وأنت ظلمتني أنا**

وكأن هاني لم يسمع كلام شيرين فأكمل

- **كان نفسي أعيش وأشوف الولاد وهما كبار**
- **دلوقتي بقيت تفكر فيهم مانت اللي سيبتهم بمزاجك زمان**

استاء هاني من عدم تعاطف شيرين معه وتفكيرها الدائم في الماضي

- **كفاية يا شيرين .. انسي اللي حصل زمان بقى وسامحي**
- **هانسى اللي حصل زمان، وهسامحك بس ياريت انت كمان تسامحني عشان خونتك امبارح**

قالت شيرين جملتها الأخيرة وأزاحت رأسه بعيدًا عنها، بعد أن أشبعت رغبتها في الانتقام منه. فبعد محاولات متكررة لانتزاع اعتذار حقيقي أو شعور بالندم على تخليه عنها، أدركت أنه غارق في الحزن على نفسه، لا يشعر سوى بألمه.

أما هاني، فنظر في عينيها بعمق، محاولًا التحقق إن كانت صادقة فيما تقول.

كانت صدمته كبيرة، فهذه ليست شيرين التي يعرفها.

ثم انصرفت عنه، فقد كان الأولاد يرغبون في النوم.

نامت شيرين معهم، فيما نام هاني بمفرده في غرفته.

....

(24) منزل ياسمين

في الصباح التالي، دقّت شيرين جرس منزلي. كان الوقت باكرًا جدًا، وكان اليوم عطلتنا. جاءت شيرين إليّ، وقد بدت مضطربة، وظهر أنها لم تنم جيدًا في الليلة الماضية.

حاولت أن أعرف ما الذي أصابها، وشجّعتها على الحديث. بدأت شيرين تتكلم وتبكي، كانت معظم كلماتها غير مفهومة، طغى صوت أنينها على صوتها.

حاولت تهدئتها، وطلبت منها أن تتحدث ببطء حتى أتمكن من الفهم. لكن كلماتها خرجت مبعثرة، فاضطررت إلى ترتيبها في ذهني لأكوّن منها جملًا واضحة.

وتوصلت إلى ما يلي:

يبدو أن شيرين تودّ إخباري بشيء عن زوجها هاني، الذي عاد إليها مؤخرًا، ثم هناك شخص يُدعى إياد، لا أعلم مَن هو بالضبط.

لكن ما فهمته أن هناك علاقة بينها وبين هذا إياد، ثم تحدّثت عن مرض زوجها المستعصي، ثم عن إياد مجددًا وتطور علاقتهما، ثم عن مدى كرهها لزوجها، وعجزها عن مسامحته، وعن كونها خائنة وتحتقر نفسها.

هكذا ظلّت شيرين تتنقل بين المواضيع سريعًا، وفي كل موضوع لم تتوقف عن البكاء والأنين.

وأخيرًا، بعد أن رتّبت الأحداث في ذهني، استطعت أن أفهم بشكل كبير ما كانت تحاول قوله.

لم أكن أتوقع مطلقًا أن تكون لشيرين علاقة خارج إطار الزواج.

أتذكر مرة حين تحدّثنا أنا وهي عن أسباب عدم طلاقها، قالت إنها لا ترغب أن تصبح مطمعًا للرجال وتتورط في علاقات مشبوهة.

والآن، يا شيرين... أصبحتِ زوجة وتورّطتِ فيما كنتِ تخشينه.

ثم فاجأتني مرة أخرى بأنها لا تتعاطف مع مرض زوجها، رغم علمها أنه على مشارف الموت، فقلت...

- **يعني أنت يا شيرين مش صعبان عليكي هاني خالص**
- **أنا حاسة إني بكرهه أوي**

قالت جملتها الأخيرة بغل واضح نحو زوجها، فحاولت إكمال حديثي معها

- **بس ده عيان يا شيرين ومحتاجلك انت والاولاد**
- **أنا كمان كنت محتاجة له، واتخلى عني**
- **شيرين هاني اللي اتخلى عنك زمان مش هو هاني اللي راجعلك دلوقت، ده حد ضعيف ومحتاجلك**

طأطأت شيرين رأسها بعد أن هدأت أخيرًا. لم أكن أعلم بماذا تفكر، لكنها جففت دموعها، وحاولت تغيير مجرى الحديث.

سألتني عن صحة والدتي، وأبدت رغبتها في رؤيتها للاطمئنان عليها، لكن والدتي كانت نائمة، فاعتذرت شيرين، وتذرّعت بأن عليها العودة إلى المنزل قبل أن يستيقظ أولادها.

لم أكن أعلم: هل قلت شيئًا أزعجها؟.

****

(25) إياد

أما إياد، فلم يستطع النوم طيلة الليل، ظلّ يستعيد كلمات شيرين منذ آخر لقاء جمع بينهما.

لماذا لا يسأل ملك ببساطة إن كان هذا الطفل هو ابنه أم لا؟

كانت تنقصه الشجاعة، لكن عذاب الشكّ والحيرة الذي حاول تجاهله لم يتركه، فقرّر أخيرًا أن يتغلّب على خوفه.

فكّر كيف يمكنه الوصول إلى ملك، فقد قطع جميع وسائل الاتصال بها منذ سنوات.

لم يكن أمامه سوى وسائل التواصل الاجتماعي.

فتح تطبيق إنستغرام، وكتب اسمها بعد تردّد وقلق.

ظهرت له "ملك" بعد عدّة أسماء. لم تتغيّر كثيرًا، سوى أنها قصّت شعرها وغيّرت لونه.

رأى صورًا عديدة لها مع طفل في مراحل عمرية مختلفة، لكن لم تكن هناك صورة واحدة لوالد الطفل.

فتح صندوق الرسائل، سحب نفسًا عميقًا، وفكّر طويلًا ماذا يمكنه أن يكتب.

كأنّ الكتابة لم تعد مهنته.

كيف يسأل إن كان له منها طفل لا يعرف عنه شيئًا؟

لن يفتح موضوعًا حساسًا كهذا في رسالة!

لعن نفسه وسبّ غباءه، ثم كتب لها يعرّفها بنفسه، وطلب رقم هاتفها.

مرت ساعات بعد إرسال الرسالة، وكان يعود كل لحظة ليفتح صندوق الوارد، حتى تلقّى أخيرًا ردًا منها:

"أهلًا إياد، أكيد فاكراك... ده رقم تليفوني."

****

(26) شيرين

عادت شيرين إلى منزلها، فوجدت هاني في انتظارها.

لم تكن قد فكرت في تلك المواجهة المحتومة بينهما، بعد اعترافها له بخيانته.

لم تُحضّر مبررات أو أعذار لتسوقها إليه.

شعرت، بشكلٍ ما، أن عليها أن تدافع عن نفسها، رغم كل شيء.

حين خانها هو، لم يحتج لتبرير أو تفسير، بل اعتبر أن غفرانها له أمر مُسلَّم به.

أما خيانتها هي، فيجب أن تُقدَّم لها أعذارٌ قوية، فخيانة الرجل تُعامَل وكأنها أمر وارد الحدوث، بينما خيانة المرأة... طامة كبرى، وإثم لا يُغتفر.

مع ذلك، اقترب هاني منها، بوجهٍ كئيب، مجهد من قلّة النوم في الليلة الماضية، وقال لها بحزن:

- **مكانش في داعي تشنعي على نفسك وتقولي حاجات ماتصحش عشان بس أمشي وأسيب البيت**

لم تفهم شيرين في البداية ما الذي يقصده، حتى أدركت أن هاني يعتقد أنها كذبت عليه، وأنها لم تخنه في الحقيقة.

لقد توصل عقل هاني إلى هذا الاستنتاج بعد وقتٍ طويل من التفكير.

فالاعتراف بخيانة شيرين له كان خيارًا ثقيل الكلفة نفسيًا، إذ يعني أن عليه تطليقها، وأن يواجه مرضه ومصيره وحده.

لكن إذا أقنع نفسه أن شيرين لم تخنه، بل اختلقت تلك القصة انتقامًا منه بسبب غيابه عنها وخيانته لها، فسيخفف ذلك العبء. لكنها في الحقيقة أطهر وأنقى من أن تسقط في ذلك الفعل.

رأت شيرين في الأمر فرصة.

فقد ندمت على اعترافها له بالخيانة، وإن كان عقله قد اختار تكذيبها ليحفظ ماء وجهه، فقد قررت أن تجاريه في وهمه لتحفظ ماء وجهها هي أيضًا، ولتسمح له أن يمكث معها ومع أطفالهما في أيامه الأخيرة.

اقترب هاني منها، وبكى في حضنها، راغبًا في أن تغفر له، وأن تتوقف عن محاولاتها للانتقام منه.

نظرت إليه شيرين، فرأته هشًّا، رقيقًا... ليس هاني الذي تعرفه.

كل ما يطلبه منها الآن ألا تتركه وحيدًا في مرضه.

تذكّرت حينها حديثي عنه، وبدأت تشعر بشيء من الشفقة تجاه هذا الكائن العاجز بين أحضانها..

لقد اندثر هاني القديم، ولم يعد موجودًا سوى في ذاكرتها المجروحة.

فكيف تنتقم من شخص لم يعد له وجود؟

أما الذي أمامها، فهو رجل ضعيف... مريض... يحتاج إلى المساعدة لا الانتقام.

لذا، قررت شيرين أن ترعاه في محنة مرضه.

****

(27) إياد

شعر بالبرودة في أطراف جسده بعد أن ارتفعت حرارته. تكوّر حول نفسه على الفراش وهو يرتجف، وقام مرتين ليتقيأ، ثم عاد لينزلق تحت الغطاء من جديد، وبدأ يبكي. كان هذا رد فعل جسده حين علم بالحقيقة. فقد اختلف وقع الأمر عليه الآن، بعد أن تحوّل من مجرّد شكّ إلى حقيقة لا يستطيع إنكارها.

أخبرته "ملك" بالحقيقة ببساطة مروّعة، حين حادثها عبر الهاتف. بدت وكأنها كانت تنتظر مكالمته منذ سنوات. لم يبذل الكثير من الجهد ليشرح سبب اتصاله، فعندما صارحها بشكّه في بنوّة الطفل له، أجابته ببرود ولهجة ساخرة لا تخلو من شماتة:

"يـاه... بس كده؟ حاضر، الولد يبقى ابنك يا سيدي."

كلماتها كانت مثل سكين غُرِس في صدره. بدأ صوته يتقطع، وكلماته تتبعثر. أما ملك، فقد شعرت بحالته أثناء المكالمة، وسُرّت بذلك الألم

المتدفق من صوته. وحين أنهى المكالمة، انفجرت بالضحك، بصوتٍ عالٍ، وهي تتخيله في عذابه وخوفه وارتباكه.

أما إياد، فاستمر في تعبه، عاجزًا عن فعل أي شيء. رغب فقط في الدعم، في يد تُربت عليه أو صوت يُهدئ ارتجافه.

لكن... لم يجد أحدًا.

فكّر في شيرين. هي الوحيدة التي تعرف الحقيقة. اتصل بها، لكنها كانت برفقة زوجها. لم ترد وأغلقت هاتفها. فشعر إياد بالرفض.

رفضُه من شيرين زاد من شعوره بالوحدة، فدفن رأسه في وسادته وظل يبكي حتى آخر اليوم.

وعند حلول المساء، بدأ يستفيق من تعبه. وجد ملابسه مبللة بعرقه، دقّات قلبه غير منتظمة، وشعر أن اليوم كلّه كان صخرة جاثمة على صدره، عبء ثقيل لا يزول، يمنعه من التنفس.

نهض، وتمشّى قليلًا في المنزل. تناول بعض الجبن مع كوب من الشاي، ثم قرر محادثة "ملك" مرة أخرى.

_ لية يا ملك

_ لية إية

_ لية احتفظت بالجنين

_ عشان أنا ماقدرش أقتل

_يا سلام على الورع والإيمان

_ من غير تريقة.. كل واحد فينا عنده خطوط حمرا مايقدرش يتعداها، حتى لو كان خاربها في حاجات تانية، أنت مثلاً بتعمل علاقات كتير لكن ماتقدرش تغتصب لان طبعك مش ميال للعنف مع أن في الحالتين بتغلط، بتفضل العلاقات اللي بالتراضي واللي بيدورا على المتعة عن المأجورين بالمال

- **أنت حقيرة**

- **وأنت جبان .. ماتشليش هم الولد له أم بتهتم بيه ومش عايزة منك حاجة**

ثم أنهت "ملك" المكالمة.

شعر إياد بفراغ كبير داخل قلبه، كأن شيئًا ما انسلخ منه وتركه مجوفًا، لا صدى فيه إلا الوحشة.

فكّر في شيرين، لعلها تأتي وتملأ ذلك الفراغ. لكنها لم تكن تجيب على اتصالاته.

ولأن رغبته كانت كبيرة في ألّا يقضي هذه الليلة بمفرده، فكّر في سوزانا. تلك التي تلاحقه منذ فترة، تُرسل تلميحاتها ورسائلها الخفية... لماذا لا تأتي إليه الليلة؟ لعلها تكون عونًا له، أو حتى مجرد وجود يبدّد هذا السكون الموحش.

راسل سوزانا، وطلب منها الحضور إلى منزله، وأرسل لها العنوان.

ولم تتردد لحظة... وافقت فورًا.

بقي إياد جالسًا، منتظرًا مجيء سوزانا.

****

(28) انجي

كانت إنجي تكره أيام العطلة بشدة.

فطوال الأسبوع يمكنها أن تنشغل بالعمل، بمشاكله، بالشارع، وبالطلبات المتكررة.

أما في الإجازة، فكانت الكآبة تخيّم على يومها كغمامة ثقيلة لا تنقشع.

تناولت الفطور مع أولادها، ثم جلس كلٌ منهم في ركنه، برفقة هاتفه.

وعند الغروب، خرجت ابنتها مع صديقاتها، وذهب ابنها إلى أحد دروس الثانوية العامة.

أما هي، فظلت تحاول أن تتذكّر:

ماذا فعلت اليوم؟

"النوم... اللعنة على النوم..."، قالتها بصوت داخلي.

لم تكن ترغب في شيء سواه.

يمضي اليوم ما بين الأكل والنوم، ثم الملل، فالأكل من جديد، ثم نوم آخر.

تفتح التلفاز فقط ليستأنس صوت بشري في المكان، دون أن تدرك ما يُقال.

لم تكن الأحاديث مع أولادها سوى مجموعة من الأوامر والأسئلة:

"ماما، ماذا سنأكل اليوم؟"

"أين المفاتيح؟"

"لماذا لم تكوي لي قميصي؟"

"أحتاج مالًا..."

لا أحد يسأل: "كيف حالكِ؟"

كانت تشعر أنها في سباق يومي مع الوقت.

تحاول أن تقتله بأي وسيلة، ثم إذا ما مرّ، شعرت وكأن اليوم قد سُرق منها دون أن تفعل شيئًا يُذكر. حاولت النهوض من الفراش.

"اللعنة على النوم"، تمتمت مجددًا. لكنها ما زالت راقدة.

فكّرت فيما عليها فعله:

أطباق متراكمة في الحوض، غرف الأولاد غير مرتبة، تُغضبها كل يوم... ومع ذلك، تجد نفسها تنظفها بنفسها. وحين فكّرت بكل هذه المهام، شعرت برغبة جديدة في النوم. نعم... لعنة النوم.

لكنها لم تقم من الفراش.

****

(29) منزل إياد

ظل إياد مستلقيًا على الأرض، ينتظر وصول سوزانا التي تأخرت طويلًا.

ورغم حالته النفسية السيئة، إلا أنه، لثوانٍ قليلة، نسي آلامه تمامًا حين وقعت عيناه على سوزانا؛ فقد بدا جمالها في تلك اللحظة أقرب إلى تمثال "أفروديت"

أما سوزانا، فبدأت تتأمل منزل إياد.

ورغم أناقة الأثاث، كانت الفوضى تملأ المكان؛ ملابسه وأغراضه متناثرة في كل زاوية، والضوء الخافت يضفي على الأجواء سحرًا مريبًا، ومع ذلك، شعرت بالألفة؛ وكأنها عاشت هنا من قبل، أو أن المكان يعرفها.

كان إياد ما يزال ممددًا على الأرض، بالقرب من أريكة يتناثر فوقها بعض من ملابسه وتحت وسائدها.

تأملت وجهه، فعيناه كانتا مرهقتين، ووجهه شاحبًا متجهمًا، وقطرات من العرق تتصبب من جبينه، كأنه عاد تَوًّا من سباق ركض.

اقتربت منه سوزانا بحنان، وانحنت إليه، ثم قالت بصوت رقيق:

- **إتاخرت عليك**

- **جداً .. أنا مستنيكي من بدري**

- **صدقني أنا ركبت أول طايرة عشان ألحق أجيلك مخصوص**

- **طايرة .. أنت كنت مسافرة**

- **آه كنت في شرم الشيخ في شغل**

- **انت مجنونة يا سوزانا .. جيتي مخصوص من شرم الشيخ للقاهرة عشاني**

- **أنا ماصدقتش نفسي لما بعتلي الرسالة وقولتلي تعالي**

ثم اقتربت منه أكثر وجلست بجانبه على الأرض وقالت بصوت هامس

- **مالك**

- **عايز أقول كلام مالوش علاقة ببعضه وعايز حد يسمعني، تخيلي إني وحيد وماعنديش أي حد يسمعني**

- **يعني كل علاقاتك ومعارفك والبنات اللي بتحبك دي وبرضو وحيد**

- **أيوة**

قالها إياد وهو يحدّق في الأرض، كأن كلماته أثقل من أن ينظر بها في عيني أحد.

بدأت سوزانا توزع نظراتها في أرجاء المكان، عيناها تتنقلان بين الفوضى والصمت الذي يثقل الجو، حتى توقفت عند صورة موضوعة على رف جانبي.

كانت صورة قديمة لإياد، بجانب امرأة يبدو أنها زوجته.

شعرت بشيء من الفضول، تساءلت في نفسها: من تكون تلك التي استطاعت أن تُوقع بإياد حتى يتزوجها؟

تأملت ملامح المرأة جيدًا، لم تكن الأجمل، لكنها بدت قريبة من القلب، فيها شيء من الدفء الذي يفتقده إياد الآن.

أمسكت سوزانا بالصورة، واقتربت منها نحو إياد، ثم وضعتها أمام وجهه وسألته بهدوء، دون أن تخفي الفضول في نبرتها

- **احكي لي عنها**

- **عايزة تعرفي إية**

- **مين الست اللي سرقت قلب إياد واتجوزها**

- **ماكنتش مميزة أوي عن باقي البنات، كل الحكاية أنها ظهرت لي في وقت كان عندي استعداد أرتبط بالشيطان نفسه لو كان اداني شوية اهتمام وقتها**

- **بتتكلم وكأن مالكش معجبات في كل مكان**

- **تخيلي كل المعجبات دول واتجوزت الست اللي ماكنتش بتحبني**

- **كانت بتكرهك يعني**

- **لا .. بس اتعرفت عليها بسرعة، زي ما قولتلك كان عندي استعداد ارتبط بأي حد يديني اهتمام، كانت وقتها بنت رقيقة، وكانت بتعرف تحضني، قالت لي مابتعرفش تقول كلام حلو لكن بتعرف تحضن وتطبطب وماكنتش**

عايز أكتر من كدة، كام شهر واتجوزتها وبعدين بدأت اكتشف مزاجها الغريب

- **غريب إزاي**

- **في أوقات علاقاتنا كانت بتحب تشتمني، تبوسني وتقولي بحبك يا وسخ، لما سألتها قالت لي مش قصدها تهيني، لكن هي بتدلعني كدة، ولما كانت بتتعصب كان ممكن ترميني بأي حاجة في إيديها مثلا كوباية تحدفها في وشي، أو تزقني وتضربني وحاجات من دي**

- **وانت كنت بتسكت على كدة**

- **ماكنتش كدة طول الوقت، بالعكس كان ممكن تبكي من عينها أنهار من الدموع لما تحس أنها زعلتني، والندم يملاها لدرجة أنها باست رجلي كذا مرة، وبعدين هي فترة بسيطة وتعبت وراحت العالم التاني**

استمعت سوزانا إلى كلام إياد عن زوجته، وقد بدا حزينًا ومكتئبًا، لكنه لم يرغب في إخبارها بالسبب الحقيقي لضيقه وتعبه. وحين نظر إلى وجهها، وجد فيه نشوة تحاول إخفاءها، وكأن حزنه وتعاسته، بشكلٍ ما، يثيرانها.

تأمّل قسمات وجهها مرة أخرى؛ لها عينان ماكرتان يظهر فيهما الخبث رغم جمالهما، ولكن لها أيضًا ابتسامة رقيقة عذبة تبعث على الطمأنينة. لم يفهم إياد كيف جمعت بين البراءة والمكر في وجهها، وكيف للعذوبة والخبث أن يتجاورا.

****

(30) شيرين

لم تستطع شيرين الرد على إياد، فقد كانت برفقة زوجها هاني. كانت هذه أول مرة منذ سنوات تجمع بينهما في غرفة نوم واحدة. بعد أن تناولا طعام العشاء مع أطفالهما، ذهبوا جميعًا إلى النوم، ولم يكن هناك مفر من ذهاب هاني وشيرين إلى غرفتهما.

ارتبكت شيرين في البداية، إذ لا يصح أن تنام بجوار الأطفال كما في الليلة السابقة. بقيت على طرف الفراش، أما هاني فاستلقى على الطرف الآخر. كانا كالغريبين.

حاولت شيرين أن تكسر حاجز الصمت بينهما، فقالت:

- **إزاي عرفت بمرضك**
- **كنا أنا ومنى برة مصر وهناك بدأت أتعب، وبعدين عرفت من الدكاترة بموضوع مرضي، يمكن لو كنت في مصر كانوا خبوا عليا لكن هناك قالو لي الحقيقة كلها**

اهتزّ وجدان شيرين عند سماعها اسم منى، عشيقة زوجها. كثيرًا ما كانت تتعمّد إسقاط اسمها، حتى حين تذكرها في سرّها، لأنها كانت ترغب ألا تُعرَف هذه المرأة، وأن تظل نكرة إلى الأبد.

لذلك، حين ذكر هاني اسمها بعفوية في حديثه، شعرت شيرين بالانزعاج؛ فقد أصبحت تلك المرأة التي أرادت لها أن تظل نكرة، شاهدة على أهم حدث في حياة زوجها: مرضه المميت.

نعم، لقد شعرت بالغيرة منها. فقد سلبتها دورها كزوجة.

أما عفوية هاني في ذكرها، وعدم تحرّجه من الحديث عنها، فقد أشعرها بأنه قد قبِل وجودها في حياتهما، لا كامرأة عابرة، بل كشاهدة على لحظة مفصلية في مصيره. ثم تابع هاني حديثه...

- **وبعدين كلمت هالة أختي، كان الخبر صعب عليها... والدكاترة قالو لي أهم حاجة في محاربة المرض ده هي نفسيتي، وماسلتمش لفكرة إني هموت، ولما فكرت مع هالة لاقيت أن مفيش حاجة هتقويني غير وجودي وسط عليتي وأولادي، عشان كدة طلبت منها تكلمك، كنت مكسوف في الأول، بس لو كنت هموت، فأنا عايز أموت بين ولادي**

لم تكن شيرين تعرف على وجه التحديد ما الذي تشعر به وهي تسمع تلك الكلمات. أتراها تشعر بالانتصار على منى؟ فقد اختار زوجها أن يموت بين يديها هي وأطفاله، أم تشعر بالحنق والغضب؟ لأنه لم يتذكر زوجته وأولاده إلا بعدما خانته قوته، بينما اختار أن يعيش مع منى وهو في كامل عافيته.

لكنها فضّلت ألا تنظر إلى موقعها من القصة، وبدلًا من ذلك، نظرت إلى هاني كما هو الآن، بعيدًا عن كل ما فعله في الماضي.

تأملته بعمق، كشخص تتعرف إليه للمرة الأولى.

بدا لها مسكينًا بحق. تغيّرت نظرات عينيه؛

لم تعد تحمل التحدي أو الرغبة، بل الخوف والاستعطاف.

لقد أضعفه المرض، حتى صار أشبه بطفلٍ عائد إلى أمه، يستجدي رعايتها.

وقبلت شيرين نظرات استعطافه، وقررت أن تكون له أمًا،

فهو الآن إنسان لا يستحق منها سوى الشفقة والعطف

(31) رانيا

في صباح اليوم الثاني من العطلة، كانت رانيا في المنزل مع والدتها.

لم يكن هناك أحد غيرهما، فقد أصبح وجودهما معًا على هذا النحو أمرًا متكررًا في معظم الأيام، بعد زواج شقيقة رانيا وخروجها من المنزل، وانشغال شقيقها بعمله الذي يتطلب السفر كثيرًا.

العلاقة بين رانيا ووالدتها كانت معقدة بعض الشيء.

منذ طفولتها، أحبت رانيا والدتها حبًا جمًّا، أكثر من حبها لأي شخص آخر، لكن الأم كانت تميل إلى تفضيل إخوتها عليها.

كانت تحبها بالطبع لأنها ابنتها، لكنها لم تُعجَب بشخصيتها كما أُعجبت بسُهى الهادئة الحكيمة، أو بأيمن الذكي الموهوب.

وحين تأخر زواج رانيا، بدأت الأم تشعر أن السبب هو شخصيتها نفسها، التي تفتقد للاتزان والحكمة.

أما رانيا، فقد شعرت بذلك منذ صغرها، وظلّت تبذل جهدًا كبيرًا لنيل إعجاب أمها.

اختارت الكلية التي رغبت بها والدتها بدلًا من تلك التي أحبّتها، والعمل الذي تفخر به الأم أمام الآخرين، لا ذاك الذي حلمت به رانيا لنفسها.

ومع كل ذلك، فشلت في جلب عريس.

ومنذ ذلك الحين، تحوّلت حياتها، وصارت الأم تصبّ كل غضبها عليها.

رانيا التي تطوّعت منذ طفولتها لتكون الوعاء الذي تُفرغ فيه أمها مشاعر الحزن والغضب.

فكلما ضايقها أحد إخوتها، أو شعرت بالملل بعد تقاعدها، كانت رانيا أقرب هدف.

وتحملت رانيا ذلك، ظنًّا منها أنه شكل من أشكال المحبة.

لكنها لم تكن تعلم أنها طوال عمرها كانت مجرد إناء تستقبل فيه والدتها مشاعرها السلبية.

ومع مرور الوقت، تحوّلت رانيا بدورها إلى من يصبّ في والدتها غضبها.

باتت تنفجر فيها فجأة ومن دون مبرر، وتلقي اللوم عليها في كل فشل، دون أن تتحمل مسؤولية أفعالها كبالغة.

وهكذا، تحوّلت العلاقة إلى سلسلة من الانفجارات والاتهامات المتبادلة الأم تعبر عنها غالبًا بصوت عالٍ، بينما تمارسها رانيا في سرّها.

وكانت أيام العطلة، أكثر الأيام التي تشهد تلك الانفجارات

وإن لم تكن ظاهرة دائمًا. فليس كل شجار بينهما يتطلب الصراخ. أحيانًا، تكفي نظرة، أو انسحاب صامت، أو تناول الطعام كل واحدة في وقت مختلف، أو جلوس الأم أمام التلفاز لساعات وحدها،

فيما تنزوي رانيا في غرفتها تتصفح هاتفها، وكلاهما يشعر بالوحدة والنبذ والغضب الكامن.

وأثناء تصفحها لهاتفها، لمحت رانيا اسم ماجد، وبجانبه دائرة خضراء، تشير إلى أنه متصل. فكرت إن كانت ستبادر بالحديث معه.

لطالما كان هو من يبدأ المحادثة،

لكنها شعرت بالملل الشديد ورغبت في الحديث مع أحد.

وصلها إشعار بأن إياد بدأ بثًا مباشرًا، لكنها لم تهتم.

فكرت أن تراسل سلمى صديقتها، لكنها شعرت بثقل الحديث معها.

وفجأة، وصلتها رسالة من ماجد. كان ماجد بدوره يشعر بالملل.

ذهبت سلمى لزيارة والدتها لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، وبقي وحيدًا في المنزل.

وحين قرر مراسلة رانيا، كان يرى اسم سلمى أمامه لكنه لم يجد ما يمكن قوله لها. فقد كانت رغبة الاكتشاف تملأه أيام الخطوبة، أما الآن، فشعر

أن سلمى أصبحت كتابًا أنهى قراءته. أما رانيا، فهي شخصية جديدة... والحديث معها له متعة أخرى

****

(32) منزل إياد

– دلوقت هنشوف الكاتب إياد وهو نايم .. مش هتصدقوا أنا لاقيت كتب قد إية عنده .. عندي سؤال هل هو قرأ كل الكتب دي فعلاً .. أصل مستحيل حد يقرأ كل ده

سمع إياد صوت سوزانا تتحدث، ولم يدرك على الفور ما الذي تفعله. لقد نام ليلة أمس دون أن يشعر بنفسه، ظل يثرثر بكلام عشوائي غير مرتب، فقط كان يرغب في الحديث، في أن يصغي إليه أحد.

الآن بدأ يستجمع شتات وعيه: هل ظلت سوزانا معه طيلة الليل؟ كم الساعة الآن؟ هل طلع ضوء الصباح؟... ترددت هذه الأسئلة في رأسه وهو ينظر نحوها، ليجدها توجه كاميرا هاتفه نحوه! لم يدرك في البداية ما يحدث، حتى استوعب بعد عدة ثوانٍ أنها تقوم ببث مباشر!

كيف عرفت كلمة سر هاتفه؟ وماذا تفعل؟!

انتبه فجأة إلى حالته: نصف نائم، ملابسه غير مرتبة، ومظهره لا يليق لأن يظهر به على بث مباشر! وقبل أن يستوعب تمامًا ما تصوره سوزانا،

كانت هي تتمشى في أرجاء منزله، تصوره لمتابعيه، وتشير إلى مكتبته وكتبه، وتضحك من قلبها!

هَبّ من مكانه مذعورًا ليوقف تلك المهزلة. وبعد مطاردة قصيرة، تمكن من انتزاع الهاتف من يديها، رغم محاولتها التملص منه واستمرارها في تصويره وهي تضحك. شعر إياد بندم كبير داخليًا، مفكرًا: "هل فقدت عقلي؟ إنها تبدو مجنونة فعلاً! كيف دعوتها إلى منزلي؟"

أوقف البث المباشر على الفور، وحاول حذفه، واطمأن قليلًا حين رأى أن عدد المشاهدين لم يتجاوز الأربعة فقط، فقد أغلق البث بعد خمس دقائق تقريبًا من تشغيله.

لكن من بين هؤلاء المشاهدين... كانت شيرين.

كانت قد استيقظت مبكرًا في اليوم التالي لإعداد الإفطار لزوجها وأطفالها، وأثناء انشغالها بالمطبخ، أمسكت بهاتفها تعبث به قليلًا، لتتفاجأ بإشعار يفيد بأن إياد قد بدأ بثًا مباشرًا. ضغطت عليه بدافع الفضول، لتُفاجأ بصوت أنثوي يهزل، وبهيئة إياد غير المرتبة، ما بدا وكأنه مشهد بعد علاقة ليلية.

فكرت: "إذًا، بالتأكيد حدث شيء بينه وبين تلك المرأة... فلماذا اتصل بي البارحة؟ هل كان يتمنى حفلة جماعية؟ أم أنه ببساطة ملّ انتظاري فعوض غيابي بأخرى؟"

ثم توصلت إلى خلاصة نهائية...

إياد لا يختلف كثيرًا عن زوجها: رجل يعيش لشهواته، دون أي حس بالمسؤولية.

****

(33) ماجد

استمر الحديث بين رانيا وماجد طوال اليوم، لكن بصورة غير متزامنة، حيث كان كلٌ منهما يرد حين تسنح له الفرصة. ومثلما كانت حياة رانيا مع والدتها عبارة عن سلسلة من المشاجرات الصامتة، أصبحت كذلك علاقة ماجد وسلمى.

عندما تزوج ماجد بسلمى، بدت حياتهما في البداية هانئة، شعر كلٌ منهما أنه وجد شريك حياته المثالي، وتخيلا أنهما سيكونان قصة حب خالدة. واجهتهما بعض المشاكل المادية، لكنها لم تُفسد سعادتهما. ومع مرور الوقت، وبعد إنجابهما لطفلهما، بدأت الضغوط تتزايد، خاصة على ماجد.

شعر ماجد أن سلمى تغيّرت. تغير شكل حياتها تمامًا، قلة النوم، التعب، والمسؤوليات الجديدة. أصبحت عصبية، ولم تعد تهتم بنفسها كما كانت. لم تكن تستحم أو تزيل الشعر من جسدها بانتظام، وهو ما أثّر على انجذابه لها. لكنه لم يملك الشجاعة ليُخبرها، لأنه كان يعرف رد فعلها: صراخ، دفاع مستميت عن معاناتها، ثم اتهامات له بالتقصير، وفي النهاية بكاء، يضطر بعده للاعتذار.

لذلك آثر الصمت.

وكلما انفعلت سلمى، كان يتجنب الحديث معها، معتقدًا أنه بذلك رجل حكيم يتجنب الصراع. لكنها كانت، في لحظات انهيارها، تحتاج لأن يقترب منها. وحين تجده يتحاشاها، تشعر وكأنه ينبذها، ويعاقبها على تعبها مع طفلهما. فتنكمش هي الأخرى، تحاول حفظ كرامتها من رفضه غير المعلن.

أصبحت أحاديثهما مقتصرة على ضروريات المنزل ورعاية الطفل. وزاد شعور كلٍ منهما بالوحدة.

لهذا، حين ظهرت رانيا في حياة ماجد، وظهر ماجد في حياة رانيا، شعر كلٌ منهما أنه وجد في الآخر مخرجًا من تلك الوحدة، ومساحة تنفّس وسط الاختناق.

****

الطريقة الرابعة (المماطلة)

اختار كلٌّ من رانيا وماجد طريق المماطلة لتخفيف وطأة شعور الوحدة عليهما. فبدلًا من مواجهة ماجد لنفسه بحقيقة أن علاقته برانيا ليست سوى مهرب من مشكلاته مع زوجته، أقنع نفسه بأنها مجرد صداقة بريئة. وهو ما فضّلت رانيا أن تصدقه أيضًا، رغم علمها التام بأن الأمر لا يخلو من رغبة دفينة.

كان كلاهما يدرك في قرارة نفسه أن لحظة الحقيقة قادمة لا محالة، وأن ما بينهما هش ومؤقت. ومع ذلك، استسلما لفكرة التأجيل، لمجرد كسب بعض الوقت... وقت إضافي يهربان فيه من وحدتهما، قبل أن يعود كلٌ منهما إلى واقعه من جديد.

****

(34) منزل إياد

دخل إياد في نوبة غضب عارمة، فقد شعر أن سوزانا اخترقت خصوصيته، وأدرك أن حكمته قد خانته حين استضاف فتاة مجنونة في منزله. بدأ يصرخ فيها، يطالبها بالخروج من حياته ومن بيته، وينساها تمامًا. لكن سوزانا بدت في البداية غير مكترثة، كأن كلمات إياد لا

تعنيها، حتى أدركت صدق رغبته في طردها، حينها طلبت منه طلبًا أخيرًا، ووعدته أنها سترحل بعده بلا رجعة.

استاء إياد من برود ردّها وسألها عن طلبها، فأجابته ببراءة مفتعلة وطفولة مصطنعة أنها حضرت له الفطور، ولا ترغب سوى أن يتناولانه معًا، ثم ترحل.

رغم تمثيل سوزانا الذي أثار اشمئزازه، إلا أن نظره انجذب نحو طاولة الطعام. اندهش من شكل الإفطار الفاخر الذي أعدته، لم يتوقع منها هذا الجهد. فقد بدت له فتاة مدللة لا تُجيد الطهو. وعندما دقّق في الأطباق المتنوعة، أدرك أنها اشترت بعض الأصناف التي لم تكن موجودة لديه. أحس أن دخولها مطبخه واطلاعها على ما ينقصه من طعام تعدٍ واضح على خصوصياته، لكنه لم ينزعج كما ظن.

اقترب من الطاولة وتبعته سوزانا، لا تزال تستعرض الطفولة والأنوثة المفتعلة. ما إن بدأ في الأكل حتى انفتحت شهيته على غير العادة، وكان الطعام لذيذًا جدًا. سألها بتعجب إن كانت هي من أعدته فعلًا، فأجابته بأنها من صنعت كل شيء. استغرب كيف وجدت وقتًا لكل هذا، وأدرك أنه قد نام طويلًا، فقد كانت الساعة الثانية عشرة ظهرًا.

تأملها مليًّا، فتاة غريبة، تثير فضوله. ابتسمت له حين لاحظت هدوءه، واقتربت منه بحركات أنثوية مبتذلة، كأنها تقلد ما رأته في الأفلام القديمة، ثم سألته إن كان لا يزال يرغب في طردها من حياته. اختارت توقيت السؤال بدقة، وكأنها تعرف ما يجول في عقله.

كانت ليلة الأمس قاسية على إياد، وبرغم تصرفاتها الطائشة، لا يستطيع إنكار أن وجودها خفّف شيئًا من ألمه. لو لم تكن هنا، لكان الآن يدفن رأسه في وسادته ويبكي.

ابتسم لمكرها وأجابها مازحًا أنه سامحها لأنها "طباخة ماهرة"، وأنه يسمح لها بالبقاء كما تشاء. سعدت سوزانا لسماع ذلك، بالرغم من يقينها أن لا أحد يملك إخراجها من حياة أحد ما لم ترغب هي بذلك. واستمرت في تمثيل البراءة، لكن إياد لم يشمئز هذه المرة، بل بدأ يستسيغ وجودها ويستطيب حركاتها.

****

(36) ياسمين

بدأت أمي تتعافى ببطء شديد، لكنها تتعافى. أما أنا، فلم أتعافَ من صدمة فقدانها. قبل النوم، أو كلما سمعت منها شكوى، تعاودني تلك

اللحظة. أتخيل حياتي من دون أمي، رغم أنها الآن قد تعافت، لكني أدركت أن تلك اللحظة قادمة لا محالة. إن لم تكن اليوم، فالغد أكيد. لذا، عزمت على الحصول على شقتي الجديدة. لم أكن مستعدة أن أشعر بما شعرت به في الأيام التي غابت فيها بالمستشفى، وأنا وحدي في المنزل، وكل ركن من أركان الشقة مظلم وكئيب، حزنًا على غياب أمي. أما منزلي الجديد، الذي لن أذهب إليه إلا عند غيابها الأبدي، فلن يحمل ذاكرتها، ولن يظلم حدادًا.

لقد توفي أبي وتركني وأنا صغيرة، لا أذكره، لذا لم أحزن عليه. الآن، أصبحت أتمنى لو أن أمي توفيت وأنا صغيرة. يظن الناس، وكنت منهم، أن من يعيش مع والديه لأطول فترة يكون حظه أوفر ممن سلبته الحياة والديه في سن صغيرة. لكنني الآن أرى العكس؛ كلما فقدت والديك في عمر صغير، كلما كانت إمكانية التأقلم على الحياة من دونهم أسرع. أما فقدانهم في سن متقدمة، فيجعل التأقلم مستحيلاً. لقد عشت معظم حياتك برفقتهم، ولم يعد هناك وقتٌ للتأقلم على غيابهم. ما تبقى من قوتك لا يكفي إلا للبكاء عليهم.

وكان هذا السيناريو هو كابوسي اليومي. ولهذا، قررت أن أصنع حياة جديدة لا تتضمن أمي، وحتى يحين ذلك الوقت، كنت أهرب من أفكاري

المأساوية بالكتابة. أُشغل نفسي بشخصيات أخرى ومشاكلها بدلًا من مشاكل حياتي.

هبة... لم أكتب عنها منذ فترة طويلة. انشغلت بشخصيات أخرى ونسيتها، أو ربما لم أرغب في الكتابة عنها. لقد كرهت غضبها الدائم، واختنقت من شعورها المستمر بأنها ضحية. كففت عن مراقبتها على فيسبوك. تُرى، ماذا فعلت مع لؤي، المعجب بها، وهي عدوة الرجال؟ سأكتب عنها، لكن لاحقًا.

أما الآن، فأرغب في الكتابة عن سوزانا. لقد وقعت في غرام هذه الشخصية. إنها قوية، ليست مثل هبة التي لا تكف عن الشكوى. تحاول بقدر الإمكان أن تحصل على ما تريد دون أن تفكر في قيود المجتمع. ليست مثل هبة التي لا تنفك تفكر في القيود وظلم المجتمع لها. سوزانا سعيدة، منطلقة، والكتابة عنها لا تُجهدني.

لكن، هل هي حقًا سعيدة في حياتها؟

****

(37) سوزانا

مرت أربع ساعات بعد أن تناول إياد الطعام مع سوزانا. جلست هي على الأريكة تشاهد التلفاز، بينما ظل إياد يراقبها، وقد تغيّرت أفكاره ومشاعره

مرة أخرى. الآن أصبح يفكر في كيفية التخلّص من هذه الفتاة "اللزقة"، كيف يمكن أن يصرفها من منزله؟ لقد أدّت الدور المطلوب منها على أكمل وجه، والآن يجب أن ترحل.

ثم ذهب فكره إلى أبعد من سوزانا؛ لقد سئم من النساء جميعًا، لا يأتي منهن سوى المتاعب. بدأ يفكر في أن يعيش وحيدًا، بلا أي امرأة في حياته. وفجأة تذكّر زوجته السابقة، فرح. أدرك أنها لم تكن تحبه، بل أحبت شهرته. تذكّر تفصيلًا صغيرًا: أنها لم تقل له يومًا أي كلام حب بينهما، لكنها كانت تكتب منشورات مرفقة بصورهما على مواقع التواصل الاجتماعي. كذلك، لم تكن تستجيب عاطفيًا لأي كلمات لطيفة يقولها لها في الواقع، لكن فرحتها الكبرى كانت حين يضع لها صورة على أحد حساباته ويشكرها علنًا.

كانت تهتم بأن يظهروا أمام الناس كزوجين يعشق أحدهما الآخر، لكنها ربما نسيت أن الحياة على مواقع التواصل تعكس الواقع، لكنها ليست الواقع ذاته، ولا تستحق أن ننشغل بها أكثر من حياتنا الحقيقية.

ثم نظر إلى سوزانا... هل هي مثل زوجته؟ لا تحبه، لكن تحب شهرته؟ لذا، سألها.

- **قوليلي الحقيقة، قريتي حاجة من كتبي**

- **طبعااا قريت كل عناوين كتبك**

أجابته سوزانا ثم ضحكت ضحكة ساخرة. لاحظ إياد أنها تضحك كثيرًا، على أي شيء وكل شيء، ضحكات باردة ليست من القلب، وكأنها تستهزئ بالحياة نفسها، وكأن لا شيء في حياتها له معنى.

تغيّر فجأة مسار حديثه، ورغب في معرفة مكنونات شخصية سوزانا، فسألها دون تمهيد إن كانت سعيدة في حياتها. توقّع أن تسخر من السؤال كعادتها، لكنها اعتدلت في جلستها، وتوقفت عن تقليب قنوات التلفاز بلا هدف. قالت، وعيناها خاليتان من نظرتها الباردة المعتادة، إنها تعيسة. بدت جادة.

رغب إياد أن يستفزها أكثر ليُخرج ما بداخلها، فقال:

– "وماذا يمكن أن يُعذب فتاة في مثل ظروفك؟ تملكين المال، والجمال، والشباب، وأنا واثق أن والدك بنفوذه قادر على أن يمنع أي نار من أن تمسّ حياتك."

أجابت سوزانا:

– "نعم، لم أكتوِ بالنار في حياتي، لكن برودة حياتي جعلت قلبي يتجمّد. أنا أتعذب بالزمهرير لا بالنار. يقتلني الملل كل يوم. منذ كنت صغيرة، حين يعرف الناس من هو والدي يغيّرون تعاملهم معي، يصبح الجميع

لطفاء، لا أحد ينتقدني، لا أحد يخبرني بالحقيقة... أليست هذه هي الوحدة؟ أليس اللطف المبالغ فيه نوعًا من القسوة؟

نعومة حياتي هي لعنة؛ جعلتني في عداء مع الزمن. أصبح يمر ببطء، أبطأ من دقات قلبي. كثيرًا ما سمعت أن الإبداع يخرج من رحم المعاناة، لكن ماذا يخرج من رحم الفراغ والملل؟ لا شيء سوى المزيد منه.

قلبي ينفطر من ألم لا يراه أحد، ليس سكينًا حادًا، بل صقيع يقتل بلا قطرة دم.

كيف لي أن أتغلب على دقات الساعة، وأنا إحساسي بالزمن أبطأ من الجميع؟ إن روحي ضجرة، وقلبي يتجمّد."

هذه إجابة سوزانا، كما أعاد إياد صياغتها لاحقًا في ذهنه، حتى يستفيد منها إن رغب يومًا أن يكتب عن شخصية تشبه سوزانا. فكل الناس بالنسبة له ليسوا أكثر من شخصيات يمكن الكتابة عنها.

****

(38) سلمى

أخيرًا، بعد يومٍ طويلٍ وشاقٍ في نهاية الأسبوع، تركت سلمى ابنها برفقة والدتها، وذهبت للاستحمام بعدما شمّت على ملابسها بقايا قشط طفلها.

خلعت ثيابها، وأمام مرآة الحمام ظلّت تتأمل جسدها العاري. أصبح يحيط به بعض الترهلات، وظهرت نتوءات، وآثارٌ لعملية جراحية في بطنها. أمضت دقائق تتأمل جسدها الجديد؛ فلم يكن لديها من قبل وقت لتفعل ذلك بهدوء. أضاعت أربع دقائق لا تفعل فيها شيئًا سوى النظر إلى نفسها. ثم رفعت رأسها وبدأت تتأمل ملامح وجهها الذي طغى عليه التعب والإجهاد من قلة النوم، تحيط بعينيها هالات سوداء.

تأملت نفسها جيدًا... لم تعد امرأة جميلة كما كانت. لم يعد لديها وقت لتصفيف شعرها بهدوء، ولا للعناية ببشرتها كما اعتادت. تجعدت خصلات شعرها، وبهتت بشرتها.

تساءلت في صمت: "هل ما زلتُ جميلة في عيني زوجي؟"

أجابتها المرآة: لم تعودي سوى بقايا لامرأة كانت جميلة.

استعادت في ذهنها تصرفات ماجد معها؛ لم يوجّه لها أي تعليقات سلبية على وضعها الجديد، لكنه مع ذلك ابتعد. منذ وُلد الطفل، لم يعُد ينام بجانبها كثيرًا، وإذا حدث بينهما شيء، يكون بطريقة ميكانيكية خالية من المشاعر. لم يعُد يغازلها كما كان يفعل.

ربما... انتهت "فترة شهر العسل"، وها هي الآن تعيش الحياة الزوجية الحقيقية التي لطالما سمعت عنها. تلك التي ظنّت في بداية زواجها أنها ستنجو منها، وأن زواجها استثناءٌ يملأه الشغف لا الروتين.

ابتعدت عن المرآة، واتجهت نحو حوض الاستحمام. تركت الماء الساخن يجتاح جسدها، وبينما تفرك خصلات شعرها، كانت تهمس لنفسها:

"لا، لا يجب أن أترك نفسي على هذه الحالة. يجب أن أستعيد سلمى القديمة... ويجب أن أستعيد شغف علاقتي بماجد. وهذا قرار.

(39) المكتب

عدنا إلى المكتب بعد العطلة، وقد تغيرت حياة كلٍ منا، وعزمت كل واحدة على قرار اتخذته في قرارة نفسها. كانت سلمى أولنا، فقد عقدت العزم على استعادة علاقتها بزوجها، التي أصبحت تمثل هاجسًا يؤرقها في هذه الفترة. حاولت أن تمنع نفسها من التفكير في حلٍ للمشكلة أثناء العمل، لكن شدة انشغالها بها دفعتها لطلب نصيحة من إحدى الزميلات. استبعدتني أنا ورانيا لعدم زواجنا، وفكرت في شيرين وإنجي. وقد سنحت لها الفرصة للحديث مع شيرين، التي كانت هي الأخرى مشغولة البال، فقد قررت أن تصطحب زوجها إلى طبيب آخر لعرض حالته، بالرغم من تأكد زوجها من التشخيص، لكنها أصرت.

كانت شيرين تستمع إلى حديث سلمى بنصف أذن، فلم يكن كلامها واضحًا تمامًا إلى ماذا يرمي. شعرت سلمى بالحرج من طرح مشكلتها صراحة، فبدأت بالكلام عن الرجال وكيف يتغيرون بعد ولادة الطفل الأول، وكيف تصبح العلاقة الزوجية بعد الإنجاب أقل دفئًا، وكيف يتحول اللقاء الحميمي إلى عادة روتينية.

جاءت إنجي وحرّكت الحديث مازحة:

- **الزواج قبل الإنجاب حاجة، وبعد الإنجاب حاجة تانية خالص. الزوج بينفر من ريحة مراته، ويضايق من إن كل اهتمامها بيبقى للعيال**

سايرتها سلمى، ومع الحديث، وصلن إلى تهكم الرجال على جسد زوجاتهم بعد الولادة، وكيف يتدلى الصدر مثلاً، فقالت سلمى بلهجة ساخرة:

كان بيقولي جوزي: إنتِ خلاص، قربتي تبقي زي

استغلت سلمى لحظة الانفتاح هذه، وطرحت مشكلتها بشكل مباشر وسط الحديث، وتحدثت عن شعورها بنفور زوجها منها، وتأثر علاقتهما الحميمة منذ الإنجاب.

في هذه اللحظة دخلت رانيا عليهم، فانقطع الحديث فجأة.

شعرت رانيا أن هناك سرًا يتكتمنه عنها. آخر ما سمعته كان كلام سلمى عن ابتعاد زوجها، ثم دخلت، فصمت الجميع، وغيّرن مجرى الحديث.

وحين حاولت أن تفهم عن ماذا كن يتحدثن، تعالت ضحكات إنجي قائلة:

- **"إنتِ لسه صغيرة على الكلام ده".**

وهنا تذكرت رانيا تلك الكلمة... كانت قد سمعتها في إحدى دردشاتها مع ماجد عبر تطبيق "ماسنجر".

- **الجواز مش سهل زي مانت فاكره، أصلك انت لسة صغيرة في حاجات صعب تفهميها**
- **هي مين دي اللي صغيرة أنا دفعة مراتك على فكرة**

وفعل ماجد معها كما فعلت إنجي، ضحك ثم حاول تغيير مسار الحديث.

وحين جمعت رانيا شتات ما سمعته، توصلت إلى أن هناك مشكلة بين سلمى وزوجها، وغالبًا ما تتعلق بعلاقتهما الحميمة التي أصابها بعض الفتور.

ما أثار دهشتها حقًا هو اعتبار كونها ما زالت فتاة عذراء، أن هناك أمورًا لن تستطيع فهمها، وكأن عذريتها حجابٌ يمنعها من دخول "عالم النساء الحقيقيات".

شعرت أنه مهما كبرت، ستظل في نظرهن طفلة صغيرة طالما بقيت عذراء. هذا ما أزعجها من تصرف صديقاتها، شعرت وكأنها ليست واحدة منهن، وكأنها لم تُمنح عضوية كاملة في نادي النساء بعد.

لكن ما أزعجها أكثر، كان فهمها لتلميح ماجد بشأن علاقته الخاصة بزوجته. شعرت أنها باتت تعلم أكثر مما ينبغي، وأن ماجد يحاول أن

يبوح لها بمشكلة شديدة الخصوصية في زواجه، وهو ربما ما يزعج سلمى فعلًا.

****

(40) إياد

في تلك الأثناء بعدما نجح إياد في التخلص من وجود سوزانا في منزله، فكر طول اليوم في مسألة طفله ثم استجمع شجاعته وهاتف أم الطفل ملك وطلب رؤيتها ورؤية الطفل، وأظهرت له ملك مرونة كبيرة في التعاون معه، طرحت عليه الموعد والمكان المناسب لهما ووافق، ثم أتى إليها في النادي في الموعد المتفق عليه، كانت تجلس وحيدة تراقب طفلها من بعيد وهو يتدرب على لعب كورة القدم، غالب إياد خوفه ولملم شتات نفسه ليحاول فتح حديث معها أما ملك فكانت هادئة البال غير مبالية، ساعدته على أن يتحدث بهدوء، سألها أين هو طفله، أشارت إلى أحد الطفال من بعيد، في تلك اللحظة كان إياد يراقب شعوره جيداً، هل حقاً سيشعر بأي شيء تجاه ولده، أن مراقبته الشديدة لشعوره أسفرت عن خدر عاطفي حتى أصبح لا يعرف بماذا يشعر، كان الطفل بعيد أيضاً فلم يتبين من ملامحه فيعرف إلى أي مدى هو قريب الشبه منه، ثم فتح أحاديث عادية مثل أين يدرس وماذا يلعب حتى باغتته ملك بسؤال

- **إياد انت عايز إية**

- **مش عايز حاجة، بطمن عليكي انت والولد**

- **بتطمن علينا ولا بتطمن اننا مش محتاجينك**

- **قصدك إية يا ملك**

- **هو انت هتفضل كدة كتير يا إياد، بتلعب على الحبلين**

- **بتقولي إية**

- **إياد انت جيت لية، عايز تثبت لنفسك أنك مثالي وانك ماتخلتش عن ابنك**

- **ملك افتكري أن ده طفل أنا مختارتش أنه يجيي الدنيا، وانت اللي قررت وحدك**

- **ماختلفناش انا ست قررت واتحملت مسؤولية قراري، وماطلبتش منك حاجة، انت بقى جاي لية بعد السنين دي، عندك استعداد تتحمل مسؤوليته معايا وتعترف بأبوتك له**

اضطرب إياد من كلام ملك له، فقد رغب في رؤية طفله عن قرب وأن يكون في الظل أن احتاج شيئاً، أما الاعتراف به فهو بمثابة فضيحة له لا يقدر على تحملها، ولم يتوقع من ملك طلبها هذا

- **ملك انا عندي استعداد اشاركك في مصاريف الطفل ومن غير ما حد يعرف واجي كل فترة اشوفه**

انفعلت ملك من موقفه، لأنه كان تمامًا كما توقّعت: لم يأتِ ليتحمّل مسؤولية الطفل، بل جاء فقط ليُسكت ضميره. إياد، كما عرفته خلال الفترة القصيرة التي قضتها معه، يتبنّى في داخله صورة مثالية عن نفسه. لم تُعجبه صورته كأبٍ متخلٍّ عن ولده، وفي الوقت نفسه، لم يمتلك الشجاعة الكافية للاعتراف به.

كانت ملك قد أدركت أنه رجل دائم التشتت بين أفكاره المثالية وشخصيته العاجزة عن تطبيق ما يؤمن به. يكتب عن الشجاعة في كتبه، لكنه في حياته الواقعية غالبًا ما يكون جبانًا ويهرب. ولكيلا يصطدم بطبيعته الجبانة التي تتناقض مع أفكاره، يختار دائمًا حلولًا وسطًا في كل شيء، كي لا يخسر شيئًا.

لكن ملك رفضت هذا الأسلوب. بالنسبة لها، إما أن يتحمل إياد وجود الطفل بشكل واضح، أو يتركه تمامًا وينساه، وهي ليست بحاجة له.

نظرت إليه نظرة حادة، وحين انتهى طفلها من اللعب، أخبرته أنها ستغادر، دون أن تعير أي اهتمام لعرضه المالي. نظر إياد إلى الطفل عندما اقترب، وقبل أن يتمكّن من تأمّل ملامحه جيدًا، تفاجأ بملك تستعد للمغادرة، وهي تقول له...

- **ميرسي على كرمك بس لا أنا ولا ابني محتاجين منك حاجة**

قاطعها إياد

- **ماتفهمنيش غلط يا ملك**

- **انت جيت هنا عشان نفسك مش عشان الولد، انت حتى نسيت تسألني اسمه إية**

قالت جملتها الأخيرة وعيناها تلتهبان نحوه بالغل والألم، وقد خفضت صوتها كي لا يسمعها الصغير. ثم أمسكت بيده، وهمّت بالمغادرة، بينما الطفل التفت إلى إياد وحيّاه ملوّحًا بيده الصغيرة، دون أن يدرك شيئًا مما يدور بين الكبار.

- **باي يا عمو**

لم يفهم إياد حينها ما سر الحريق الذي اشتعل بصدره حين سمع صوت الصبي قبل أن يختفي من أمامه.

****

(41) المكتب

رجوعًا إلى المكتب واستكمالًا لما حدث فيه آنذاك، كنت أنا وإنجي نتحدث، وفتحتُ أنا موضوع الشقة التي أنوي السكن فيها بدلًا من شقتي الحالية. وحين قالت إنجي إن والدتي المريضة قد لا تتحمّل الانتقال من

بيت إلى آخر، أخبرتها أن هذه الشقة ستكون لي، سأنتقل إليها متى رغبت في ذلك. نظرت إليّ إنجي بازدراء وقالت:

- **هو ده وقت تفكري فيه في شقة بعيد عن مامتك وهي خارجة حادثة ومحتاج لك**

أزعجني اتهام إنجي لي بالتقصير، وهي لا تعلم شيئًا عمّا دفعني لاتخاذ هذا القرار. ثم إنني لن أترك أمي وهي مريضة، فقط أردت أن تكون لي شقة أستطيع الانتقال إليها متى شئت. شعرت بالغضب والغيظ من كلامها، فقلت لها بانفعال:

- **أنا عايزة أعرف أنت مالك يا انجي.. في ايه**
- **مالي بقولك خدي بالك من أمك**
- **انجي انت فاكرة محدش واخد باله منك، كلنا في المكتب ملحظين أنك متضايقة ومش راضية عن حياتك مع ان عندك حياة كويسة، أه ماتوفقتيش في جوازك بس نجحتي في شغلك وربتي أولادك فمالك بقي ليه مش طايق حياتك ولا طايقة تشوفي حد بياخد قرار في حياته.**

اعترف أن قسوتي كانت زائدة على إنجي، إذ لم أستطع تحمّل أن تحاكمني نيابةً عن أولادها. أعلم أنني حين صارحتها برغبتي في هجر منزل طفولتي، ربما — أو على الأغلب — تخيّلت أحد أبنائها وهو يتخلى عنها حين تكبر. بدا واضحًا لي وقتها خوفها الدائم من الحياة،

وشعورها العميق بالوحدة، ذلك الشعور الذي لم أكن أفهمه من قبل، فقد كنت أظن أن إنجي موفقة إلى حدّ كبير في حياتها، وليس هناك داعٍ لهذا القلق المبالغ فيه.

لقد استغللت مساحة القرب بيني وبينها، فأفرغت ما في داخلي نحوها. ولم تكد إنجي تردّ عليّ حتى جاءت شيرين إلى مكتبها، تطلب إذنًا بالمغادرة مبكرًا. وكانت المفاجأة أنها ذاهبة مع زوجها إلى الطبيب لمتابعة حالته المرضية. عندها أيقنت أن شكوكي كانت في محلّها، حين رأيت هاني في مستشفى والدتي وتوقعت رجوعه إلى شيرين.

لكن المفاجأة الكبرى كانت في أن زوجها قد عاد إليها بمرضٍ لا يُرجى شفاؤه، وأنها اختارت — بإرادتها الكاملة — أن تبقى بجانبه.

****

(42) رانيا

بعد انتهاء العمل، عادت رانيا إلى منزلها، وتناولت الغداء مع والدتها بمفردهما لغياب أخيها. ثم افترقتا، وجلست رانيا في غرفتها تتصفح هاتفها. جاءها إشعار بطلب صداقة على فيسبوك. وحين فتحته، فوجئت بأنه من نادر بركات.

كان نادر جارها في العمارة منذ الطفولة، واستمرت الجيرة بينهما حتى مرحلة الثانوية العامة، حيث كانا معًا في نفس مجموعة الدروس، وكانت رانيا تكن له مشاعر إعجاب خفية، تلك المشاعر الرقيقة التي تنبت بين الفتيات والفتيان في سن المراهقة. لم تكن الهواتف الذكية شائعة في ذلك الوقت، فلم تتح لهما فرصة للتواصل كما هو الحال الآن، فظلت رانيا تحتفظ بإعجابها السري، دون أن تدري بمشاعره هو.

ومع دخول الجامعة، انتقل والد نادر للعيش في منطقة راقية بعد تحسن أوضاعهم المادية، وانقطعت أخبار نادر تمامًا. الآن، وهي تتصفح صفحته الشخصية، تساءلت: "ماذا يمكن أن تفعل خمسة عشر سنة في حياة إنسان؟"

وجدته قد أصبح مدربًا محترفًا، يقدّم دورات تدريبية في الفوتوشوب والجرافيك، ويروّج لها من خلال صفحته. قرأت منشورًا يخبر فيه متابعيه أنه سيكون في بث مباشر للإجابة عن تساؤلاتهم، وقرأت تعليقات كثيرة تناديه بـ"الأستاذ نادر بركات"، فضحكت في سرّها قائلة:

"آه لو شافوك زمان وإنت بتجري ورايا في الشارع عشان عربية الرش!"

ثم قبلت طلب صداقته.

في تلك اللحظة، تلقت رسالة من ماجد. لكنها شعرت بالحرج بعد ما سمعته اليوم في المكتب، فآثرت أن ترد باختصار يقطع سُبل الحديث. ثم تذكّرت ضيقها من المكوث في المنزل، ففكرت في الخروج مع ابنة خالتها، هبة، وأرسلت لها رسالة تقترح اللقاء. لكن هبة — كعادتها في الأسابيع الأخيرة — لم ترد. استنتجت رانيا أن هذا التجاهل الظاهر ما هو إلا انشغال هبة بلؤي، ونقمت في سرّها على صديقتها.

فكّرت في نفسها:

"هكذا هنّ الصديقات؛ حين تسعد إحداهن، تبتعد لتعيش فرحتها وحدها مع حبيبها، أما حين تقع الأزمات، فأنتِ أول من تطرق بابه."

****

(43) هبه

وكانت نبوءة رانيا صحيحة إلى حدٍّ ما؛ فقد كانت هبة تعيش أيامًا سعيدة مع لؤي، الذي أصبح حبيبها، وكانت تقابله بشكل شبه يومي في إحدى الحارات المؤدية إلى منزلها. لكن سعادتها لم تدم طويلًا، فمنذ يومين اختفى لؤي تمامًا. لم تعد تقابله في المكان المعتاد، ورغم معرفتهما الوثيقة، لم تكن لهبة وسيلة للتواصل به؛ فقد كان دائمًا هو من يبادر بالاتصال ويأتي إليها. أما الآن، وقد اختفى، فلم تعرف ماذا تفعل.

اضطربت هبة بشدة، وقضت اليومين في قلق وحيرة. لاحظت والدتها تغير مزاجها المفاجئ، وانزواءها، وحاولت معرفة السبب، لكن هبة لم تُفصح بشيء. فكرت الأم أنه لا سبيل لفهم ما تمر به ابنتها سوى بالاستعانة بابنة أختها رانيا، صديقة هبة المقربة، لعلها تعرف ما حدث.

اتصلت بأختها، والدة رانيا، التي وافقت أن تذهب ابنتها لزيارة هبة والخروج معها قليلًا،

لعل حالتها النفسية تتحسن. أما هبة، فكانت في غرفتها،

لا تفعل شيئًا سوى إعادة تشغيل أحاديثها القديمة مع لؤي داخل رأسها.

تتذكّر كلماته:

"لقد تعبت من أن أتحمل وحدي جميع أخطاء الرجال التي ارتكبوها في حق النساء. فأنتِ، حين ترين امرأة ظُلمت من رجل، تخاصمينني وكأنكِ تحملين على عاتقك كل النساء، وكأني أحمل كل الرجال. أنا مجرد رجل واحد، وأنتِ امرأة واحدة، ولسنا مسؤولين إلا عن أفعالنا نحن، في علاقتنا نحن. عاقبيني إن أخطأت، لكن لا تطلبي مني أن أدفع ثمن ما فعله غيري."

وهكذا، ظلت هبة أسيرة الندم، تشعر أنها أضاعت رجلًا أحبها بصدق، فقط لأنها لم تستطع أن تفصل بين حبيبها وباقي الرجال.

****

(44) انجي

ظلت كلماتي عالقة في رأس إنجي حتى بعد انتهاء العمل وعودتها إلى منزلها. وفي ساعات المساء، بعد خروجِ ولديها، كانت تعيد كلماتي مرارًا في ذهنها وهي تفكر فيما تشعر به. لكنها لم تجد وسيلة لتخبرني بما يدور داخلها، كيف تبوح لي بما تظن أني لا أفهمه؟ هل أعرف، مثلًا، معنى أن يشعر الإنسان أنه يكبر؟

لقد كان عالم إنجي منذ طُلِّقت لا يضم سواها وأولادها الصغار، الذين كانوا في أمسّ الحاجة إليها. كرّست حياتها كاملة لهم، لا وقت للسهر، ولا للأصدقاء، ولا للهو. حتى غيابها عنهم في أوقات العمل، كان فقط من أجل تأمين المال للإنفاق عليهم. كانوا هم حياتها، وكانت هي كل حياتهم.

لكن بمرور الوقت، تغيّر كل شيء. لم تعد الأم محور حياتهم، بل مجرد جزء صغير منها. لم يعودوا يرونها تلك المرأة الخارقة التي تقدر على كل شيء، ولم تعد كلماتها تُستقبل كحقائق مُسلَّم بها، لأن "الأم تفهم في كل شيء". بل أصبحت في نظرهم امرأة عادية، أخطاؤها هي كل ما يلاحظونه، وهفواتها هي كل ما يتحدثون عنه. صاروا يُراجعونها في

قراراتها، يُخطئونها في أسلوب تربيتها، وكأنهم لم يعودوا أولادها بل صائدي هفوات.

تعلم إنجي أن التعامل مع سن المراهقة صعب، لكنها تخوض هذه الحرب وحدها. لا رجل معها، ولا أب يُعينها. ويأخذها الخيال أحيانًا إلى ما هو أبعد: حين يكبر أولادها أكثر، ويغادرون البيت، وتجد نفسها تعيش وحدها في صمت ثقيل.

وفوق كل هذا، هناك حربها الأخرى، الأعمق: الحرب مع الزمن. منذ فترة، ضعف نظرها، وعرفت أنها مصابة بطول النظر المرتبط بتجاوز الأربعين. كما أن دورتها الشهرية بدأت تتخلف عنها. هي تعلم أن الوقت ما زال مبكرًا لانقطاعها، لكنها تخشى الذهاب إلى الطبيب، لا تحتمل فكرة أنها قد تمر بسن يأس مبكر. أقنعت نفسها بأنه لا حاجة للفحص؛ فهي ليست قلقة من الحمل، إذ لا تربطها علاقة بأي رجل، ولديها أبناء بالفعل.

لكن أكثر ما أزعجها، كان ما رأته منذ يومين: بقايا فوط صحية في الحمام. علمت أنها بالتأكيد لابنتها. لكن ما أثار قلقها، هو المقارنة بين حالتها وحالة ابنتها. أدركت فجأة أن ابنتها أصبحت أنثى أكثر منها.

لثوانٍ، وقفت مصدومة، كأنها لم تكن تتوقع أن يأتي اليوم الذي تكبر فيه هي، وتكبر فيه طفلتها الصغيرة أيضًا.

لكن هل ما شعرت به هو مجرد دهشة من تغيّر الزمن؟ أم أنها كانت تغار؟ هل غارت من ابنتها التي لا تزال تحتفظ بأنوثتها الكاملة بينما هي تفقدها شيئًا فشيئًا؟

لم تكن إنجي لتخبرني بكل هذا. لم أكن لأفهم، ربما. لكنها الآن في حرب، حرب تعرف مسبقًا أنها ستخسرها. حرب ضد الوقت.

****

(45) إياد

شادي... شادي.

ظل إياد يتمتم بهذا الاسم طوال طريق عودته بالسيارة بعد لقائه بملك.

كان يعرف اسم الصبي جيدًا، فقد تابعه عبر المنشورات القليلة التي تنشرها ملك، تلك التي كانت تتحدث فيها عنه دون أن تُظهر ملامحه بوضوح، محافظة على خصوصيته. وكان يعلم أيضًا سبب اختيارها لهذا الاسم تحديدًا؛ شادي، اسم أخيها المتوفى. يعرف أشياء كثيرة أخرى، لكنها لم تمنحه فرصة واحدة ليدافع عن نفسه.

فأعاد محاكمته لنفسه بنفسه.

استحضر كلمات ملك، جميع التهم التي وجهتها إليه، ووجّهها إلى ذاته هذه المرة. لم يستطع إنكار أنها كانت على حق؛ لم يأتِ ليتحمّل مسؤولية الطفل، بل ليُبرئ ذمته منه. لم يكن مستعدًا لمواجهة فضيحة من هذا النوع، ولم يملك الشجاعة ليظهر لنفسه بمظهر الأب المتخلي. فاختار كعادته الحل الوسط؛ ذلك الحل الذي لم تقبله ملك.

فكّر في خوفه من مظهره أمام الناس، من سمعته، من صورته المثالية التي يحتفظ بها لنفسه، ورأى أنه، رغم كل شيء، لم يخطئ. هو لم يختر وجود هذا الطفل، فلماذا يتحمّل تبعاته؟ كل هذه الأفكار كانت تتصارع داخله حين وصله إشعار على هاتفه.

رسالة من سوزانا.

لم يكن في مزاج جيد للحديث معها. لكنه، كعادته، استسلم للفضول وفتح الرسالة. كانت قد أرسلت له صورة لأول جائزة حصل عليها، تلك التي كانت من أعز الجوائز إلى قلبه، وكتبت له:

"لو عايز الجايزة، تعالى خدها من المرسم... العنوان في الرسالة اللي بعدها."

أطبق قبضته على الهاتف غاضبًا. كيف لم ينتبه أنها سرقت الجائزة أثناء خروجها من منزله؟!

هذه الفتاة لن تكف عن إزعاجه أبدًا.

لكنه رغم غضبه، استسلم مرة أخرى. أدار المقود، وغير وجهته إلى العنوان الذي أرسلته له.

****

(46) مرسم سوزانا

حين وصل إياد إلى مرسم سوزانا، وجدها في استقباله بابتسامة خفيفة مرسومة على شفتيها. تأملها جيدًا، كانت ترتدي فستانًا بسيطًا متوسط الطول، لونه أبيض وتزينه تطريزات باللون الزهري أعلى الصدر والكتفين، مع وشاح بنفس اللون تغطي به ذراعيها. وضعت كعادتها القليل من مساحيق التجميل، وزينت عينيها بكحل أسود مع أحمر شفاه وردي.

لاحظ إياد أن مكياجها البسيط وتسريحة شعرها المتحررة غير المتكلفة، التي تركت خصلاته تنسدل برفق على كتفيها، يبرزان جمالها اليوناني، وكأنها تجسيد حيّ لإحدى منحوتات عصر الإغريق. تأمل ما ترسمه من لوحات، ودهش من قدرتها على مزج الألوان الباردة والساخنة في لوحة واحدة بتناغم مدهش.

كان وجوده في حضرة سوزانا كفيلًا بأن يفصله عن صراعاته الداخلية، ليمنحه لحظة تأمل في جمالها الظاهر. بدت له سوزانا، في تلك اللحظة،

فنانة أكثر منها سيدة أعمال. كيف لها أن تكون سيدة أعمال وهي منساقة بهذا الشكل وراء أهوائها؟ لم يكن قادرًا على تصديق ما قرأه عنها عبر الإنترنت بشأن امتلاكها شركة مستحضرات تجميل، لكنه سلّم في النهاية بأنه لا يستطيع فهم سوزانا على وجه التحديد: هل هي فنانة متقلبة المزاج، أم سيدة أعمال تحكمها العقلانية؟

لم تستغرق تأملاته وأسئلته تلك أكثر من دقيقة، حاول خلالها أن يمثل دور الغاضب أمام سوزانا، فقطّب جبينه واستخدم نبرة صوت جادة وقال

- **انت ازاي تسمحي لنفسك تسرقي حاجة من بيتي**

ذهبت سوزانا من أمامه ثم عادت حاملة معه جائزته وأعطتها له وهي تقول

- **كنت خايفة مترضاش تقابلني تاني، انت ناسي أنك طردتني من بيتك قبل كدة، قلت آخد حاجة غالية عليك ولما أرجعهالك أشوفك تاني وبالمرة أعزمك على المرسم بتاعي**

اصطنعت سوزانا الطفولة والبراءة مرة أخرى وهي تبرر سرقتها له، وكانت تدرك من خلال نظرات عينيه أنه ليس غاضبًا منها حقًا. بل بدأ إياد يستسيغ تلك الدراما الرخيصة التي تضيفها سوزانا إلى حياته، وتخرجه مؤقتًا من صراعاته مع نفسه.

استلم منها الجائزة، ثم عرضت عليه سوزانا أن تُحضِر له شيئًا يشربه، فهو في ضيافتها. وعندما ذهبت إلى المطبخ الموجود داخل المرسم، سمع صوتها تسعل، ثم أخذت نفسًا لتعود وتسعل مجددًا، هذه المرة بشكل متواصل وكأنها دخلت في نوبة، ما أقلق إياد ودفعه للذهاب للاطمئنان عليها. فقالت له

- **متخافش أنا كويسة**
- **مش بتاخدي علاج للكحة دي**
- **ليه أتعالج من الكحة وهي شيء رومانسي**
- **وأية الرومانسية في الكحة**
- **خليتك دخلت ورايا وشفت في عينك نظرة قلق عليا**

ثم ضحكت كعادتها، فهي تضحك من كل شيء وعلى كل شيء، وأعدّت أكواب القهوة لها وله، وقدّمت له كوبه، فتناوله منها بلامبالاة. ثم بدأ يتأمل سوزانا من جديد، يتساءل: هل يمكن أن تكون واحدة من الشخصيات التي يكتب عنها؟

لقد سجل ملاحظات عنها من قبل لعلّه يكتبها لاحقًا، لكن ماذا لو دخل معها الآن في حوار عميق؟ تُرى، ماذا ستقول

سوزانا: أحيانًا، أرى الكون كأنه لوحة فارغة، الألوان تبهت فيها مع مرور الوقت. هل تعتقد أن للحياة معنى حقيقي؟

أياد: معنى... أحيانًا أشعر أن هذا الكلمة مجرد سراب. كأننا نسير في صحراء بلا نهاية، نبحث عن شيء لا وجود له.

سوزانا: ولكن هل كل شيء يجب أن يكون بلا معنى؟ أليس هناك شيء يمكننا التمسك به؟

أياد: الحياة تُظهر لنا أحيانًا أن الألم هو ما يُعلّمنا. نتعرض لتجارب سيئة، وفي خضمها نكتشف مشاعر مثل الفقد والشعور بالوحدة، وكأننا نختبر حدود صبرنا.

سوزانا: لكن، لماذا يجب أن تكون هذه التجارب مؤلمة؟ لماذا لا نستطيع أن نجد شيئًا يُبهج قلوبنا؟

أياد: لأننا، غالبًا، نكتشف أنفسنا في الظلام. النور يأتي بعد أن نغوص في أعماقنا. بعض الناس يعيشون في دوامة، لا يرون إلا العتمة، لكن حتى العتمة تحمل دروسًا.

سوزانا: شعورك قاتم. هل تعتقد أن الألم هو ما يُشكلنا حقًا؟

أياد: في بعض الأحيان، يبدو الأمر هكذا. لا أستطيع أن أُشجعك على التفاؤل، لأنني أعاني من نفس الفراغ. كلما تعمقت في البحث عن المعنى، كلما شعرت بأنني أغرق أكثر.

سوزانا: وماذا عن الأمل؟ هل يمكننا أن نستمد منه شيئًا؟

أياد: الأمل... كلمة جميلة، لكن هل نستطيع أن نعلق عليه آمالنا في عالم كهذا؟ أحيانًا، كل ما نحتاجه هو أن نتقبل أننا في رحلة مليئة بالعواصف، ربما نجد في تلك العواصف ما يُعيد تشكيلنا.

سوزانا: كأنك تقول إن المعاناة جزء من الحياة. لكن كيف نعيش دون أن نتألم؟

أياد: لا يمكننا الهروب من الألم، لكننا نستطيع أن نسمح له بأن يُشعرنا بأننا أحياء. في النهاية، ربما يكون هدفنا هو مجرد المرور بتلك التجارب، لنكتسب شيئًا من الحكمة، مهما كان مظلمًا.

****

(47) رانيا

كانت رانيا تُحضّر نفسها للخروج بصحبة هبة، لتبذل ما في وسعها من أجل إخراجها من كآبتها، تلك الكآبة الغامضة التي لم تفصح عن أسبابها، كما طلبت منها خالتها، والدة هبة.

وأثناء ذلك، تلقت رسالة ترحيبية من نادر، فشعرت بسعادة غامرة، كأن الزمن أعادها إلى أيام مراهقتها، تلك الفتاة التي طالما تمنّت أن تتحدث مع زميلها ولم تستطع.

بدأ كل منهما يسرد باختصار ما مرّ به في الخمسة عشر عامًا الماضية.

حدّثها نادر عن اجتهاده في عمله، وكيف تمكن من صنع اسم له في

السوق، وعن المحاربة التي واجهها، وأن طريق النجاح لم يكن مفروشًا بالورود كما يتصور البعض.

حينها، كانت رانيا قد وصلت إلى المكان الذي ستلتقي فيه بهبة، فاعتذرت لنادر بأنها ستخرج مع ابنة خالتها. تفهّم هو الموقف بلطف.

تأملت رانيا حال هبة، التي كانت في وضع يُرثى له. والآن، كما هي العادة، عليها أن تقوم بدور المواسية والمُسانِدة. لقد لعبت هذا الدور مرارًا معها، حتى حين غادرتها هبة وقت سعادتها، كانت تعود دائمًا في لحظات انكسارها لتأخذ الدعم الذي تحتاجه. وعلى الرغم من أن رانيا كانت تكره هذا الدور الذي فُرض عليها، فإنها شعرت أن واجبها كصديقة وابنة خالة ألا تتركها وحيدة.

حاولت رانيا أن تمازح هبة وتنتزع منها الكلام، لكنها لم تلقَ تجاوبًا. فشعرت بالضجر من محاولاتها البائسة، وقررت أن تدخل في الموضوع مباشرة.

- **إية أخبار لؤي .. بقالك كتير مش بتحكي عنه**

نظرت هبه إلى الأرض ثم قالت بصوت حزين

- **ماعرفش حاجة عنه من أيام .. اختفى فجأة**

- **كدة من غير أسباب**

أومأت هبه دون أن تجيب وساد الصمت لفترة فقررت رانيا أن تكسره فقالت

- **عارفة مين بعتلي *add* على فايسبوك مش هتصدقي**

- **مين يعني**

قالتها هبه ثم أشاحت بنظرها بعيد عنها كأنما رأت أحد، أكملت رانيا بحماس

-نادر بركات، اللي كان بياخد معانا دورس في ثانوي، مش هتصدقي شكله بقى ازاي دلوقت

ظلت رانيا تتحدث دون أن تنتبه إلى أن هبة لا تسمعها، كانت عينا هبة معلّقتين على باب المقهى المؤدي إلى الشارع، كأنها تنتظر شيئًا.

وفجأة، تأكدت أنه هو، لؤي. لم تشك لحظة في ملامحه، لم تفكر بشيء سوى أنه عاد، ويجب أن تسأله: أين اختفى؟ ولماذا؟ ومتى قرر أن يرحل دون وداع؟

قامت من مكانها مندفعة دون أن تنطق بكلمة لرانيا، لم يكن في عقلها حينها سوى لؤي.

خرجت إلى الشارع بخطوات مسرعة، عيناها تبحثان عنه كمن يطارد خيط أمل، حتى التقت نظراتهما.

نظرت إليه في صمت، ثم اقتربت منه محاولة أن تمسك بيديه، لكنه تراجع قليلاً، وكأن لمسته قد تُثقله أكثر.

رأت في عينيه نظرة حزن عميقة، لم تعرف ما الذي فعلته لتستحق منه كل هذا الوجع، فتساءلت بصوت منكسر:

- **أنت وحشتني ... ليه اختفت كل ده**

تحشرج صوت هبه وهي تنظر إلى لؤي الذي انزوى بعيداً عنها وذهب، لم تسمع سوى صوت رانيا التي كانت تلهث ورائها وهي تسحبها من يديها

- **مشيتي وسيبتني ليه**
- **سابني ومشي يا رانيا**

نظرت رانيا في جميع الاتجاهات لا يوجد أحد، عمن تتحدث هبه

- **أنا مش شايفة حد يا هبه**
- **كان هنا**

قالتها هبه بحزن فرغبت رانيا في التخفيف عنها

- **يبقى الظاهر مشي وماشوفتهوش**

****

(48) شيرين

ذهبت شيرين برفقة زوجها إلى أحد المستشفيات، وهناك أخبرها الطبيب أن حالة زوجها متأخرة بالفعل، فهو مصاب بسرطان في المرحلة الرابعة، ولا شيء يمكن فعله من أجله. من الأفضل أن يقضي أيامه الأخيرة وسط عائلته وأسرته.

ورغم أن كلام الطبيب لم يكن جديدًا، فقد سمعته مسبقًا من زوجها، إلا أن وقع الكلمات في هذه اللحظة تحديدًا كان مختلفًا. لم يتفاجأ هاني بما قاله الطبيب، لكن شيرين، في هذه اللحظة، أدركت أن زوجها سيموت.

تأملت هيئة هاني الجالس بجوارها. ما الذي يشعر به الإنسان حين ينظر إلى شخص يعرف أنه بعد بضعة أسابيع، أو أشهر، سيغيب إلى الأبد؟ وماذا يكون الإحساس إذا كان هذا الشخص هو الزوج، شريك الحياة، من شاركته أهم لحظاتها؟

مع هاني اختبرت شيرين الفرح، هو من ارتدت له فستان الزفاف، وزفها إليه الأقارب والأحباب.

هو من أنجبت منه أطفالًا، وأصبحت أمًا بفضله.

وهو أيضًا من عاشت معه لحظات الألم، حين هجرها وخانها، فانتقمت منه وأصبحت خائنة هي الأخرى.

كل هذا بسبب وجود هذا الشخص... الذي تدرك الآن أنه ذاهب، وأنه لن يعود.

هذا الإدراك زلزلها من الداخل، ودمعت عيناها، لكنها لم تكن تتوقع أن يكون هاني نفسه هو من يمسح دموعها.

وحين نظرت إلى عينيه، وجدت فيهما سكونًا تامًا، فقد تجاوز هاني صدمته منذ كان مع منى.

الآن، هو مستسلم للحقيقة.

وحين أمسك بيديها، أدركت شيرين أن كل ما تتمناه في هذه اللحظة...

هو ألا يموت هاني.

ألا يرحل الرجل الذي يحمل معه كل ذكرياتها.

....

(49) المكتب

اجتمعنا في المكتب في اليوم التالي، وبدا على شيرين الحزن لسبب ما، لكنها فضّلت عدم الحديث، فآثرنا جميعًا الصمت. حتى ظهرت إنجي وهي تحمل معها مفاجأة: لقد غيّرت لون شعرها، فصبغته بلون أشقر فاتح. قمنا جميعًا بتهنئتها على اللون الجديد، وعلّقنا بأنها بدت أصغر من عمرها الحقيقي. ابتسمت إنجي بتلقائية عند تلقيها مجاملاتنا وانبهارنا بها.

وعندما ذهبت إلى مكتبها، بدأنا الحديث فقالت رانيا:

- **مش قولتلكوا عايزة تتجوز**

فأجابتها قائلة

- **هي عشان صبغت شعرها يبقى خلاص عايزة تتجوز، يمكن بتعمل كدة عشان نفسها عادي**

أما سلمى فكان لها رأي آخر

- **بصراحة مش لايق عليها ولا على سنها، لون فاقع أوي**

لم ترغب شيرين في مشاركتنا الحديث، وخلال ساعات العمل، كانت كل واحدة منا منشغلة بهاتفها. انشغلت رانيا بأحاديثها المستمرة مع نادر منذ أن أضافته لديها، وفي الوقت نفسه حاولت قدر الإمكان تقليل تواصلها مع ماجد، زوج سلمى، وقطعت عليه كل السبل الممكنة. أما

سلمى، فكانت تبحث عن طرق جديدة للتخسيس، علّها تستعيد قوامها السابق وتتخلص من تلك البطن التي لازمتها منذ الولادة.

في حين كنتُ أبحث عن معلومات تخص مرض والدتي، وأحدد مواعيد مع أحد السماسرة لاختيار شقتي الجديدة.

أما شيرين، فكانت تسترجع ذكرياتها مع زوجها، وبينما تتصفح فيسبوك لاحظت وجود حملة ساخرة ضد إياد وبعض الكُتاب الآخرين، تهدف إلى التقليل من شأنه الأدبي، بل إلى نزع صفة "الأديب" عنه تمامًا. ظهرت لها تلك المنشورات بسبب تفاعل الفتيات المدافعات عن إياد وأدبه، وهي تعرفهن جيدًا، فكل واحدة منهن سبق أن تحدثت مع إياد في بث مباشر عبر تطبيقي تيك توك وفيسبوك.

ولفت انتباهها أن من بين هؤلاء المدافعات كانت سوزانا نصر الدين، التي تحولت تحوّلًا عجيبًا؛ فبعد أن كانت من مهاجميه، أصبحت من أشد المدافعين عنه، ولم تترك منشورًا إلا وعلّقت عليه دفاعًا عنه. أما إياد نفسه، فلم يبدِ اهتمامًا بالرد أو التعليق على تلك الحملة.

وهكذا، كانت كل واحدة منا تعيش في عالمها الخاص.

****

(50) مرسم سوزانا

استيقظ إياد في اليوم التالي، وأخذ ينظر من حوله متسائلًا: أين هو؟ كانت اللوحات تملأ المكان من كل جانب، حتى أدرك أنه لا يزال في مرسم سوزانا. لقد غلبه النوم الليلة الماضية أثناء كتابته عنها، فبات هناك دون أن يشعر. حاول أن يفتح عينيه جيدًا، يبحث عنها بنظراته، حتى لمحها جالسة في ركن بعيد، ممسكة بهاتفها وتنظر إليه بتركيز وهي تقرأ.

نهض من على الأريكة التي نام عليها، واقترب منها، فقالت:

- **أنت دايمًا بتصحى متأخر كدة**

- **أنا نمت هنا**

- **أنت شايف إيه**

- **هو انتِ بتصحي بدري أوي كدة، مايبنش علكي**

- **طلعت بصحى بدري وبعرف أطبخ وبوظت ال *stereotype* اللي في دماغك مش كدة**

اعتدل إياد في جلسته وبدا يفرك عينيه بيديه وهو يتثاءب ثم سألها

- **هو أنت مركزة في إيه أوي كدة**

نظرت سوزانا له وهي تبتسم قائلة

- **انت مش عارف، انت بقيت تريند يا استاذ**

- **تريند ازاي**

أخذ الهاتف من يديها وبدأ يقرأ المنشور الذي كانت تقرأه سوزانا. كان منشورًا ساخرًا ينتقد أدب إياد تحديدًا، ويصف كتاباته بأنها "شعبية" وليست "أدبية"، كما اعتبر أن الجائزة التي حصل عليها لم يكن يستحقها، فقط لأن أعماله رائجة وتخدم توجهات معينة. قرأ إياد اسم كاتب المنشور فلم يعرفه. نظر إلى سوزانا وسألها:

– مين ده؟

فقالت:

- **مش ال *post* ده بس، تريند كامل، شوف كدة الهاشتاج ده**

ظهر لإياد عدد كبير من المنشورات، كانت عبارة عن "كوميكس" و"ميمز" تسخر من مجموعة من الأدباء، من بينهم إياد نفسه. شعر بشيء من الإحباط، بعد سنوات من المحاولات المستمرة لتحقيق النجاح ككاتب.

كان يظن أنه أخيرًا استطاع إقناع نفسه بأنه كاتب ناجح، فكانت لحظات الكتابة تمنحه شعورًا مؤقتًا بالرضا.

لكنه، في أعماقه، كان يعلم أنه فشل في الحياة كإنسان، ولم يتبقَّ له سوى نجاحه ككاتب. وعندما رأى التريند الساخر الذي يتناول شخصه، ارتجف قلبه، وشعر كأن ما بنى عليه آماله قد انهار فجأة.

تسللت مشاعر الخزي والخذلان إلى داخله، وبدأ يتساءل إن كان حقًا يستحق ما يسعى إليه. تحولت ثقته التي أظهرها دومًا إلى شكوك متزايدة، وكأن تلك السخرية قد فضحت هشاشته التي طالما حاول إخفاءها.

****

(51) شيرين

عادت شيرين إلى منزلها بعد انتهاء يوم العمل، كان الظلام قد بدأ يغطي الأركان، وكان الهواء ثقيلًا بعبق الذكريات. أول ما لمحته كان زوجها، ممددًا على الأريكة، وملامح وجهه الشاحبة تكاد تُفصح عن عذابٍ لا يُحتمل. كان المرض واضحًا، يُشبه سحابًا قاتمًا يحوم حول روحٍ كان يحيا فيها الأمل. حركت شيرين قلبها في صدرها، وبدأت تتأكد أن الخبر الذي سمعته لم يكن مجرد خبر بل واقع مُرّ.

تدوي صرخات ابنها، فتسمرت مكانها. "الراجل ده مقرف يا ماما .. بصي رجع على السجادة ومراحش الحمام " كانت كلماته كالأقواس التي تشدّ قلبها. نظرت إلى الطفل، الذي لم يتجاوز سبع سنوات، لتكتشف أن عذاب زوجها لم تكن فقط من ألم المرض، بل من العواصف الداخلية التي تحاصره من موقف أبناءه له، فيوسف ذو السبع سنوات لم يتذكر والده وقت عاد إلى المنزل مرة أخرى، فقد كان صغيراً حين ترك هاني المنزل

والآن أنه لا يذكر عنه شيء وبالتالي لم تربطه أي عاطفة به، لقد أخبرت شيرين ابنها يوسف أن هذا هو والده الغائب، وقد سمع يوسف من الأطفال الذين في مثل عمره في المدرسة عن والدهم، فقد كان كل واحد يحيك قصته عن "بابا" ولم يكن هو يشبه هؤلاء الأولاد فهو لم يفتقد شيء بغياب والده، لأن والدته كانت هي كل شيء بالنسبة له فلم يكن يريد من الحياة أب الا أنه أصبح هناك أب في المنزل، لقد توقع يوسف أن يكون هذا الأب يشبه باقي الآباء قوي يستطيع حمله على ذراعيه ويلعب معه المصارعة وأشياء كثيرة كان يسمع عنها لكن هذا الرجل الغريب الذي أخبرته "ماما" أنه أبوه لا يقوم بشيء من ذلك هو فقط جالس على الأريكة أو مستلقي على السرير، شاحب الوجه كشبح، يقوم بين الحين والآخر بأشياء قذرة تجعله يقرف منه ولا يود مجالسته ولا يعلم السبب الذي يجعل والدته ترغب في إيواء هذا الرجل في بيتهم الذي كان بيت جميل ونظيف قبل قدومه، أما تلا فقد كانت تتذكر والدها جيداً بعكس أخيها يوسف، وهذا ما جعلها ترفضه، أنها تتذكر منذ ثلاث سنوات حين أختفى والداها من حياتهم فجأة، كما تذكر الأقاويل التي كانت تسمعها من الأقارب الذي كانوا يأتون لزياتهم، أنه تخلى عنهم بإرادته، لذا لما عليهم الآن أن يتحملوه ويتحمله مرضه المقرف.

تتأخر شيرين أحياناً في العمل فلا يبقى في البيت سوى هاني والأولاد وأحياناً تأتي سيدة لترعاهم حتى تعود شيرين، لاحظت شيرين أيضاً تصرفات ابنتها التي تهرب دائماً من أي مكان يجمعها بأبيها، ترفض تناول الطعام معه وأن حدث وجلست معهم لا تتكلم، لا توجه إليه أي حديث فقط تخبر والدتها بطلباتها، وإن بادر هاني وطلب منها حضن، فأنها تولي له ظهرها وتتركه، كل ذلك جعل شيرين تتأثر بحالة زوجها، فهو على مرضه والآمه يعاني عاطفياً من رفض أطفاله له، لاحظت منذ مجيئه كيف يحاول أن يجذبهم إليه بما يحمل من هدايا وألعاب لكنه في كل مرة يواجه رفض الأولاد له ، مما يزيد من شعوره بالأسى والندم لكن شيرين بالرغم من رغبتها الشديدة فيما سبق أن ترى نظرات الندم والحسرة في عيني هاني لهجره إياهم، إلا أنها شعرت الآن أن ندمه لا يشفي غليلها بل العكس يجعلها تحزن من أعماق قلبها عليه، كما أدركت أن ندم وألم من أذانا لا يشفي الجرح الذي تركه بنا، لهذا لم تفكر شيرين سوى في مساعدة هاني كي يتجاوز محنته فهو لا يستحق الآن سوى الشفقة والعطف عليه.

****

(52) سلمى

في محاولة من سلمى لإنقاذ زواجها، لم تقتصر فقط على تحسين شكلها الخارجي لجذب زوجها إليها من جديد، بل سعت أيضًا لتغيير شخصيتها. قرأت كثيرًا عن المشورة الزوجية، وتعلمت كيف تعبّر عن مشاعرها دون أن تُحمِّل الطرف الآخر اللوم، بل تكتفي بسرد ما حدث.

وعندما عاد ماجد من العمل، كانت سلمى قد استعدت جيدًا لحوار منفتح وناضج، لكن ماجد لم يُبدِ أي استعداد للحديث من أي نوع.

اقتربت منه سلمى، وحاولت رسم ابتسامة على وجهها، ثم قالت بنبرة هادئة:

- **إحنا محتاجين نتكلم**

لكن ماجد لم يكن يبادل سلمى نفس الرغبة في الانفتاح، فقد كان يعلم جيدًا ما ترغب به زوجته حين تقول هذه الجملة، إذ ستبدأ في خوض نقاشات مطولة حول جودة حياتهما، وكيف يمكن لهما تحسين علاقتهما، ثم تبدأ في سرد اتهامات مبطنة له، تصوغها في شكل ملاحظات على تصرفاته التي تضايقها وترغب في إصلاحها، وكأنها السبب الوحيد في كل ما بينهما من مشاكل. وحتى تبدو موضوعية إلى حد ما، فإنها ستُدرج بعض التعليقات على تصرفاتها هي أيضًا، مع إرفاقها بتبريرات خفيفة.

وهكذا تبدأ الأمور، لتنتهي دومًا بشجار يتخلله بكاء منها، مما يزيد من

شعوره بالذنب تجاهها. لذلك فضّل اختصار كل هذا، فرفع حاجبيه ردًا على كلامها وقال:

- **بس أنا تعبان ومحتاج أخد دش وأنام، ماعنديش دماغ أتكلم**

شعرت سلمى برغبة زوجها في الهروب من الحديث بينهم كالعادة فقالت بإصرار

- **بس إحنا لازم نتكلم**

- **قصدك لازم نتخانق**

- **مش واخد بالك وأنت بتحاول تتجنب إننا نتخانق، بقيت تتجنب علاقتنا كلها**

قالت سلمى جملتها الأخيرة بتأثر، فلم تكن تشير فقط إلى هذه المناقشة بعينها، بل كانت تتحدث عن مجمل علاقتهما، وعن شعورها بالهجر من قِبل زوجها. لاحظ ماجد علامات التأثر على وجهها، وأنها على وشك البكاء، ففضّل أن ينهي النقاش قبل أن تبدأ دموعها في الانهمار. تناول منشفة، وأخبرها أنه سيأخذ حمامًا سريعًا ثم يُكملان الحديث بعد أن يخرج. وقبل أن يدخل إلى الحمام، وضع هاتفه على الطاولة دون أن يغلقه، فلاحظت سلمى بعض الصور البعيدة التي أثارت فضولها. وحين اقتربت من الشاشة وفتحت الصور والمواقع التي كان

يزورها، اكتشفت أنه يتابع مواقع إباحية. شعرت سلمى بإهانة تمس أنوثتها، ونسيت كل ما تعلمته من كتب المشورة، وبدأت في الصراخ عليه، بينما هو لم يكن قد دخل الحمام بعد.

- **أنت رجعت تشوف القرف ده تاني، عشان كدة مش عايز تقرب مني**

لم يكن ينقص ماجد سوى أن تكتشف سلمى زيارته لتلك المواقع، فوسط جميع المشاكل العالقة بينهما، لم يكن الوضع يحتمل أزمة جديدة. كانت سلمى قد عرفت في فترة خطبتهما أن ماجد يتصفح هذه المواقع، يومها غضبت بشدة، لكنه برر الأمر قائلاً إن جميع الشباب يفعلون ذلك، وإنه فقط ينتظر الزواج، وبعده لن يحتاج إليها. لكن الآن، وبعد أن تكررت القصة، كيف سيخبرها أن تغيّر جسدها بعد الولادة هو السبب، دون أن يجرحها؟ وكيف يشرح لها أن شعوره بالاستياء أو الملل من الحياة الزوجية لا يجد له متنفسًا سوى تلك المواقع؟ ثم، لماذا تعتبر سلمى هذه المشاهدات خيانة؟ إنها –من وجهة نظره– مجرد صور، ولم يمارس الجنس مع امرأة غيرها. وكيف يمكن لها أن تفهم هوسه الدفين بأجساد النساء، تحديدًا بالصدور، الذي يدفعه إلى هذا الطريق الآن؟

بدأت حدة النقاش تتصاعد، ومن نظرة واحدة في عينيها، علم ماجد ما الذي سيؤول إليه هذا الحديث. كانت سلمى دامعة العينين حين قالت له:

- **عشان كدة بقى كنت بتبعد عني طول الفترة اللي فاتت، ولما كنت بتطلب مني حاجات عجيبة في علاقتنا وانا كنت برفض، أكيد كنت بتشوفها في القرف ده**

- **امتى هتفهم ان اللي بتعمله ده يعتبر خيانة ليا**

ثم بدأت تبكي، وماجد يراقب هذا الفيلم الدرامي الذي بات معتادًا عليه منذ زواجهما. لم يُبدِ تأثرًا حقيقيًا، بل راح يتساءل بينه وبين نفسه: هل ينسحب الآن، أم سيبدو وغدًا إن تركها وهي تتباكى أمامه؟ وبينما هو في حيرته، صرخت فيه قائلة:

- **كفاية بقى نكد كل يوم ... عارفة حتى دموعك مابقتش تأثر فيا**

قال جملته الأخيرة مدركًا قسوتها على سلمى، ومدركًا أنه لن يستطيع النظر في عينيها مجددًا، على الأقل هذه الليلة. تناول هاتفه ومفاتيحه وخرج من الشقة. كان كل ما حدث سخيفًا. لقد حاول أن يتجنب أن تصل الأمور إلى هذه الدرجة من السوء، لكن سلمى دائمًا ما تدفعه إلى ذلك.

لم يحضر في خياله في تلك اللحظة سوى رانيا. رانيا الجميلة، المرحة، الذكية. اشتهى حديثًا طويلًا معها. لقد لاحظ في الفترة الأخيرة تغيّرها معه، وهروبها الدائم منه، الأمر الذي جعله يقلل من التواصل،

لكنه الآن في أشد الحاجة إلى إجراء محادثة معها. لذا قرر أنه سيحادثها على أي حال.

أخرج هاتفه وأرسل لها رسالة بأنه يتوق للتحدث معها. اعتذرت منه رانيا بأنها خارج المنزل الآن، لكنه لم يدعها تفلت، وسألها عن موقعها. وحين عرف، أخبرها كاذبًا أنه قريب منها، ويرغب في المرور ليسلم عليها ويوصل لها سلامًا من سلمى. فلم تجد رانيا مخرجًا سوى الموافقة.

****

(53) رانيا

كانت رانيا في ذلك الوقت في أحد "الكافيهات"، وبجانبها هبة تشرب الشيشة وتستمع إلى حديث رانيا، الذي لم ينقطع عن نادر منذ أن جلست، وكيف أنه يُبدي اهتمامه بها. استاءت هبة من اعتقاد رانيا أن نادر معجب بها بلا دليل واضح، فقالت بحدة:

- **هو قالك انه معجب بيكي**
- **لا .. ماقلهاش بصراحة كدة، بس ده بيكلمني صبح وضهر وليل، معقول كل الكلام ده ومش معجب بيا**

سحبت هبه نفس من الشيشة ونفخته في الهواء ولم تعلق على كلام صديقتها، فأكملت رانيا قائلة

- **يمكن يكون عايز يتعرف عليا كويس الأول، قبل ما ياخد خطوة رسمي**

قالت هبه بلا مبالاة

- **هو شكله إية نادر أنا مش فاكراه وقت دورس ثانوي**

أخرجت رانيا هاتفها وفتحته أمامها وقربت شاشته من هبه وقالت

- **هو ده .. بصي هو ماتغيرش كتير عن أيام ثانوي، بس تخن وفشول حبتين بس مش مهم نبقى نعمل أنا وهو دايت بعدين**

ابتسمت هبة بسخرية من حديث رانيا، وأثناء حديثهما، تلقت رانيا رسالة من ماجد يطلب فيها التحدث معها. اعتذرت بأنها خارج المنزل الآن، لكنه سألها عن مكانها، ثم أخبرها بأنه قريب منها ويمكنه أن يأتي ليسلم عليها. تأففت رانيا من محادثته، لكنها –كالعادة– لم تستطع رفض طلبٍ لأحد. نظرت إليها هبة باستياء قائلة: "إن كنتِ لا ترغبين في رؤيته، لماذا قبلتِ؟" فردت رانيا بأنه قد أحرجها. لكن هبة لم تعد تستمع، إذ شردت فجأة، وحين سألتها رانيا عما بها، أخبرتها بأنها رأت لؤي، ثم تركت رانيا جالسة وطلبت منها أن تنتظرها حتى تعود.

****

(54) هبه

- **لؤي**

قالتها هبه بصوت رقيق أنثوي، وعينان تتشبثان به كغريق يرى آخر أمل له في النجاة، ثم أكملت وهي تلهث

- **خوفت ماعرفش أشوفك تاني، خوفت تكون زعلت مني**

أمسك لؤي بيدي هبه وهو ينظر إلى عينيها

- **أنا مش بزعل منك**

- **دلوقت جه في بالي أطلب منك أغبى طلب ممكن تطلبه بنت من راجل**

- **إيه**

- **جه في بالي اقولك اوعدني أنك متسبنيش مهما حصل**

- **طب ولية ده أغبى طلب تطلبيه مني، ده حقك أصلاً**

ابتسمت هبه ساخرة من حديثه ثم تنهدت وعيناها دامعتان وهي تقول

- **ده الطلب اللي بتطلبه كل البنات في أول أي علاقة، والغريب انهم بيتوعدوا الوعد ده لكن مش كل النهايات حلوة**

- **بس إحنا نهايتنا هتكون حلوة أوعدك**

- **أنتوا دايماً كلامكوا حلو أوي في العلاقة**

أجاب لؤي بعصبية

- **مين إحنا يا هبه، مين، انت ليه دايماً عندك الرجالة كلهم في كفة واحدة، يا سيتي اعتبريني مش راجل لو ده يريحك، اعتبريني كائن فضائي وعايز أخطفك**

ابتسمت هبه لجملته الأخيرة ثم تذكرت فترة بعده عنها، لذا قررت أن تخبره عن سبب خوفها الدائم من الهجر

- **أنا مش عايزاك تزعل مني، لؤي أنا ماعرفش مين بابا، أبويا أتخلى عن أمي وأنا لسة جنين في بطنها، أنا ماعرفش يعني أية راجل يحب ست ويخلصلها**

قالتها هبه وهي تبكي، اقترب منها لؤي حتى لامس جيبنه جيبنها حتى شعر بأنفاسها وداعب خصلات شعرها بيديه وهو يقول

- **لكن أنا مش هسيبك زي ما أبوكي ما عمل مع والدتك، أنا هفضل دايماً جمبك وعشان تصدقي أنا عايزاك تحددي معاد أقابل فيه مامتك**

في تلك اللحظة شعرت هبه بالراحة وهي تستمع إلى كلمات لؤي وصوته الذي يحمل الوعود والأمان وكانت تلك اللحظات السريعة بينهما كفيلة لتمحو كل المخاوف التي تراكمت في قلبها.

****

(55) رانيا

ظلت رانيا تنتظر هبة التي غابت عن أنظارها لفترة طويلة، حتى رأت ماجد قادمًا إليها. لم تكن ترغب في مقابلته بمفردها، لكن الأمور آلت إلى ذلك. اقترب منها ماجد، ولاحظت رانيا كم بدا سعيدًا برؤيتها. أعجبها أن

يكون هناك شخص راغب في رؤيتها إلى هذا الحد، لكنها لم تنسَ أنه زوج صديقتها سلمى.

لبرهة فكرت أنه لو لم يكن متزوجًا من سلمى، أو ربما لو قابلته قبلها، لكان مناسبًا لها، لكنها أخرجت نفسها سريعًا من هذه الأفكار حين بدأ ماجد يُسلّم عليها.

تبادلا النظرات، رغم المشاعر المختلطة التي كانت تعصف بهما، وكأن كلًّا منهما يحاول إخفاء ما بداخله.

لاحظ ماجد ارتباك رانيا وتوترها، فحاول أن يبدد أجواء التوتر بينهما، وبدأ يمازحها ويعلّق على ما ترتديه وكم تبدو جميلة به.

وفي داخله، كان يتأملها، شعر أن وجوده مع رانيا في تلك اللحظة يخفف عنه كل همومه، لذا حاول أن يُطيل من جلسته معها.

أخبرته رانيا أنها تنتظر صديقة لها تأخرت، لكنه لم يُبالِ بما قالت، وقرر أن يجلس معها إلى أن تأتي صديقتها.

حاولت رانيا أن تُخفي انزعاجها من وجوده وخوفها من رد فعل سلمى إذا عرفت أنها قابلت زوجها دون علمها، أما ماجد، فلم يُفكّر سوى في اقتناص الفرصة ليتحدث معها، فقال:

- **اختفيتِ فجأة كدة ومابقتيش تحكي معايا زي الأول**

امتعضت رانيا من حديثه وحاولت في حجة لتقولها له

- **معلش مشغولة اليومين دول**

شعر ماجد بتوترها وخوفها وأراد أن يطمئنها وينهي مخاوفها

- **على فكرة أنت زي أختي يعني وبحب اطمن عليكي عادي من وقت للتاني**

رغبت رانيا في أن يتذكر ماجد أنه زوج صديقتها لذا حاولت أن يكون لها وجود في حديثهما فقالت

- **هي سلمى عاملة إيه وهي فريد ابنكوا**
- **فريد كويس أوي لكن أنا اللي مش كويس**

بدأت رانيا تشعر أن الحديث سيذهب إلى جهة لا ترغب في أن يذهب إليها لكنها من شدة التوتر لم تستطع أن تجيب بشيء فصمتت وأكمل ماجد حديثه

- **بصي أنا ماعنديش حد احكيله بس حاسس أنى استريحت في الكلام معاكي وأنك ممكن تفهميني.. ساعات الراجل بيحتاج حاجات من الست وصعب يقولها عليها.. سلمى اتغيرت أوي من وقت ما خلفنا**

حاولت أن تفهم رانيا ما يرمي إليه حديث ماجد وتلميحاته وهذا ما جعلها تشعر بالحرج الشديد الذي ظهر جلياً على وجهها الذي احمر كثيراً لكنها فكرت ألا تدعه يكمل وتحاول أن تثنيه عن الكلام

- **ماجد .. الكلام اللي بتقوله خاص أوي وأنا شايفة أن أحسن طريقة أنك تتكلم مع سلمى نفسها**

- **ما دي المشكلة أنا مابقتش عارف اتكلم مع سلمى، هي طول الوقت بتلومني وبعدين تقعد تعيط وأنا مش قادر استحمل طريقتها دي**

بَدأ التوتر يزداد عند رانيا، وظهر هذا بوضوح حين بدأت تهزّ ساقيها بعصبية، لكنها حاولت إخفاء توترها وإنهاء الحديث. شعرت أن علاقتها بماجد تأخذ مسارًا لا ترغب فيه، وأنها إن لم تضع له حدودًا الآن، فلن تتمكن من فعل ذلك لاحقًا.

ورغم فضولها لمعرفة ما يدور في حياة صديقتها الشخصية، رأت أن مبادئها يجب أن تكون أولوية على فضولها، فقالت بلهجة حاولت أن تبدو حازمة:

- **أستاذ ماجد .. أنا مش هقدر اسمع حضرتك أكتر من كدة ولو في مشكلة بينك وبين سلمى فحلها أنك تتكلم معاها هي مش مع صاحبتها، ودلوقت صاحبتي جاية تقعد معايا وأنا اسفة اني أقول لحضرتك انيماينفعش اشوفك تاني حتى لو صدفة**

صُدم ماجد من ردّ فعلها، لم يعرف لماذا قرّرت أن تقطع صلتها به، هل يمكن أن تكون تلك الغبية قد فكّرت أنه يريد أن يخون سلمى معها؟ يا لها من حمقاء! إنه يحب سلمى، فهي زوجته وأم طفله، لكنه أراد فقط أن يفرغ

ما بداخله، وظنّ أنها يمكن أن تكون صديقة له كما هي صديقة لسلمى.

لم يرغب في شيء سوى أن يتحدث، أن يفضفض فقط، ولكن إن كانت تلك هي رغبتها، فليكن.

شعر ماجد بإهانة شديدة وندم لأنه فكّر أن يفتح قلبه لها، لذا قام من على الطاولة، وبنظرات حادّة ككلام رانيا، قال:

- **انت فاهمتي إية .. اوعي يكون تفكيرك يكون راح لبعيد، أنا كنت فاكر ممكن نبقى صحاب وأثق فيكي.. عموماً دي آخر مرة هنحكي فيها سلام**

ثم ذهب ماجد، وأخيرًا عادت هبة، صديقة رانيا، بعد انصرافه. إلا أن ماجد لم يعد إلى منزله، فلم يرغب في أن يرى سلمى في تلك الليلة.

حاول أن يجد وسيلة للتخلّص من مشاعر الإحراج التي شعر بها، فقام بحظر اسم رانيا على فيسبوك، ثم فتح موقعًا إباحيًا ليرى شيئًا يشتت ذهنه عمّا شعر به.

أما هبة، فحين عادت، كانت الفرحة لا تسعها. نظرت إلى رانيا ورأت كم هي متوترة، فسألتها:

- **هو كان عايز إية خلاكي متوترة كدة**

- **قال عايزانا نبقى أصحاب قال**

- **هو أتجنن وبعدين هي الرجالة كائنات عدلة أوي عشان نصاحبها**

- **وانت إية اللي مخليكي راجعة الضحكة من الودن دي للودن دي**
- **مش هتصدقي ... لؤي طلب إيدي**
- **أنت هتجنيني يا هبه، مانت من شوية قولتي هي مش الرجالة دي كائنات ماينفعش نصاحبها**
- **أنا قولت ماينفعش نصاحبها بس نتجوزها ماشي**

ثم ضحكتا سوياً وعادت كل واحدة إلى منزلها

****

(56) انجي

جاء موعد نوم إنجي، لكنها قررت فتح حسابها على موقع فيسبوك لتتفقد عدد المعجبين بصورتها الشخصية الجديدة بعد أن غيرت لون شعرها. وجدت عددًا كبيرًا من الإشعارات من المعجبين والمعلقين، وبينما كانت تتصفح تلك التعليقات وهي ممددة على سريرها استعدادًا للنوم، لفت انتباهها تعليق من سالي، صديقة ابنتها مي. جذبها شيء ما في حساب سالي الشخصي، فدخلت إليه وبدأت تقرأ منشوراتها الخاصة. سالي هي صديقة مي الجديدة التي تعرفت عليها منذ دخولها الجامعة، ولم تكن إنجي تعرف عنها الكثير.

توقفت إنجي عند منشور تعلن فيه سالي عن كونها "لا إنجابية".

في البداية لم تفهم إنجي ما المقصود تحديدًا بهذا المصطلح، فتابعت قراءة التعليقات، وبدأت تدرك أن "اللا إنجابية" هو مصطلح يُطلق على من لا يرغبن في إنجاب الأطفال. لم تستوعب إنجي لماذا ترغب فتيات في مثل هذا العمر في عدم الإنجاب. فعندما كانت في عمرهن، كان الحلم أن تتزوج الفتاة وتكوّن أسرة.

ثم رأت تعليقًا من ابنتها مي تعلن فيه أيضًا أنها لا إنجابية، وتدافع عن الفكرة باستبسال. دار نقاش حاد في التعليقات بين مؤيد ومعارض للفكرة، فرغبت إنجي في معرفة ما قالته مي بالتحديد، وقرأت جميع التعليقات بعناية شديدة.

اتضح لها أن مي تعتبر الأمومة رغبة أنانية من الشخص ذاته، كونه يريد حين يكبر أن يجد من يرعاه. كما عبّرت عن أن بعض النساء ينجبن فقط لتجنب الوصمة الاجتماعية الناتجة عن عدم الإنجاب، وأن الجنين في هذه الحالة هو الضحية، ضحية لأنانية والديه. فما ذنب إنسان أن يأتي إلى هذا العالم فقط من أجل تأمين اجتماعي لوالديه في المستقبل؟ وأن أصحاب الإنسانية الحقيقية هم من يضحون بهذه الرغبة الأنانية، حتى لا يأتي إنسان إلى العالم ويتعذب مثل باقي البشر.

أثناء قراءة إنجي لتعليقات مي، شعرت وكأن خنجرًا قد غُرس في قلبها. أهذه هي أفكار ابنتها عن الأمومة؟ إذا كانت ترى الإنجاب فعلًا أنانيًا من الوالدين، إذًا فوالدتها ليست سوى امرأة أنانية في نظرها.

فجأة، وجدت إنجي نفسها تسترجع جميع ذكرياتها مع مي وأخيها منذ كانا طفلين. لقد عانت كثيرًا فقط لكيلا يعاني أحد منهما. لم يكن هناك شيء يهوّن عليها آلامها سوى رؤية ضحكة على وجه طفليها. وبعد كل هذا، تأتي مي لتلخص الأمومة بأنها مجرد رغبة أنانية!

عقل إنجي فسّر رفض مي للإنجاب على أنه رفض لأمومتها هي، وكأن ابنتها ناكرة للجميل، مما زاد شعورها بالخذلان وعدم التقدير. أغلقت إنجي الهاتف، حاولت النوم، لكنها كانت تختنق من شدة الأسى، ثم بدأت تبكي في صمت، مبتلعة أنينها حتى لا يسمعها أولادها.

****

(57) سلمى

اقترب موعد نومي أنا أيضًا، وبينما كنت أستعد للنوم سمعت جرس الهاتف. كان المتصل سلمى، وتنبأت قبل أن أجيب بأنها في حالة سيئة وترغب في أن أواسيها. تذكرت حينها جملة قالتها لي رانيا ذات يوم:

"هكذا هنّ الصديقات، حين يسعدن يبتعدن عنك ليعشن سعادتهن كاملة مع الحبيب، أما حين تحدث لهنّ الأزمات فأنتِ أول من يطرقن بابه."

لكنني أجبت على كل حال.

بدأت سلمى الحديث بأسلوب تقليدي، سألتني عن صحتي وصحة والدتي، ثم بدأت تشكو لي. لم يكن ماجد قد عاد إلى المنزل، وتوقعت سلمى أنه سيقضي الليلة خارجه، كعادته كلما تشاجرا. لطالما حاولت سلمى تغيير هذه العادة فيه، لكنها لم تفلح، مثلما لم تفلح في تغيير الكثير من عاداته التي تزعجها. ثم بدأت تتحدث بفلسفة مصطنعة.

- **تفتكري إيه هو الصح وإيه هو الغلط**
- **سلمى أنا عايزة أنام دلوقت**

تجاهلت سلمى حديثي وأكملت في تساؤلاتها حول الحياة وكانت نبرة صوتها أقرب إلى البكاء وقالت

- **أنا كنت طول الوقت بحاول أعمل الصح وامشي على الصح، بس أوقات مابعرفش هو الصح فين**

-

-

أخذت زفيرًا طويلًا ولم أقاطعها، كنت أعلم أنها ترغب فقط في أن تفضفض، فأكملت حديثها.

- **أنا لما عرفت ماجد كنت فرحانة أوي، كنت حاسة إني محظوظة أكتر من كل البنات اللي في الدنيا.. أنا حاولت بكل طرق أني أعمل كل حاجة صح عشان علاقتي بماجد تنجح بس مع ذلك وصلنا لطريق مسدود**

هنا بدأ صوت سلمى يتقطع وبدأت تبكي أجابتها أنا بموضوعية لا تتماشى مع صوت بكائها الواصل لي

- **يمكن لأنك بتحاولي طول الوقت تعملي كل حاجة مظبوطة الدنيا بتبوظ منك، يمكن ده اللي بيضغطك وبيضغط ماجد**

استمرت سلمى في بكائها لكن الآن كان هناك صوت آخر يبكي، إنه رضيع سلمى بدأ يبكي لبكاء أمه فنبهت سلمى له

- **سلمى ابنك بيعيط، لازم تشوفيه**

بينما كانت سلمى تبكي، سمعت صوت طفلها يصرخ، لكنها على غير العادة لم تُلبِّ نداءه. لم يكن لديها من القوة ما يكفي لإسكاته. في تلك اللحظة، تحولت هي أيضًا إلى طفلة تبكي، وتشتاق لأن يحملها أحدهم ويهدهدها. استمر الوضع على هذا الحال لدقائق، حتى أدركت سلمى أن لا أحد سيأتي لاحتضانها، فقد أصبحت من الكبار، ويجب أن تقوم هي بتهدئة صغيرها.

كنتُ أنا، على الجانب الآخر من الهاتف، أستمع إلى بكائها وبكاء الصبي، لا أعرف ماذا أقول، فقط أردت أن تشعر أن هناك من يحس بها. تمالكت سلمى نفسها، ولملمت شتاتها، ومسحت دموعها، ثم اتجهت إلى الصغير لتحمله، وأغلقت الهاتف ونامت.

****

(58) مرسم سوزانا

تأخر الوقت، وأدرك إياد أنه يجب أن يرحل. كانت سوزانا جالسة أمامه ترسم منذ ساعات، وقد حسدها على شغفها الغامر. حاول أن يكتب بشغفٍ مماثل، لكنه لم ينجح. راقب المكان من حوله، بدا أن لكل شيء سحره الخاص، وربما كان هذا السحر هو ما جعله يمكث عندها كل هذا الوقت، أو ربما كانت رغبته في الهروب من عالمه إلى عالم سوزانا.

لكن الآن، حان وقت الرحيل. لملم أوراقه، وهمّ بتوديعها، إلا أن سوزانا أوقفته بصوت رقيق وحزين قائلة:

- **هتمشي**
- **أكيد مش هفضل هنا العمر كله**
- **طب كتبت إيه في الورق ده**
- **كتبت عنك**

- **عني أنا!!**

- **أيوة .. أنت بطلة روايتي الجديدة، بنت جميلة وعندها كل حاجة في الدنيا لكن جواها حزن كبير زي جمالها**

ضحكت سوزانا تلك الضحكة الساخرة المعتادة وقالت

- **بس أنا مش حزينة خالص**

- **كل واحد عنده حاجة تخليه حزين**

- **بس أنا ماعنديش أي حاجة تحزن، ولا إجباري لازم أكون حزينة عشان أكون ملهمة**

- **اممم .. لازم تبقي حزينة عشان تبقي ملهمة، محدش بيحب الشخص السعيد، إحنا بنحسد الشخص السعيد لكن مانحبهوش، وانا عايز الناس في رواية تحبك**

- **هشوفك تاني**

صمت إياد قليلاً وقال

- **هو أنت عايزاني أحبك وأتعلق بيكي**

ضحكت سوزانا هذه المرة لكن بصوت عالي وقالت بنبرة متعالية

- **أنا أعمل كل ده عشان تحبني وتتعلق بيا، أنا أصلا أي حد هيشوفني بس هيتعلق بيا**

قالت جملتها الأخيرة بأداء تمثيلي مبالغ فيه، وكأنها تؤدي فوق خشبة مسرح. فهم إياد أن سوزانا تميل إلى المبالغة في كل شيء، ويبدو أنها متأثرة بالأفلام العربية القديمة. فعندما ترغب في إظهار أهمية كلامها، تعبّر عنه بأسلوب درامي لا يلائم الموقف. ومع ذلك، أحب إياد طريقتها هذه، كانت تضحكه من قلبه. ودّع سوزانا بقبلة على جبينها، ثم غادر المرسم

(59) المكتب

بعد مرور عدة أيام، كانت كل واحدة منا تعيش في عالمها الخاص.

بالنسبة لي، استطعت أخيرًا إيجاد شقة مناسبة، كما تحسنت حالة والدتي الصحية. أما شيرين، فقد كانت منشغلة تمامًا، تستقبل يوميًا مجموعة من ضيوف زوجها من الأقارب والأصدقاء الذين سمعوا بحالته الصحية فجاءوا لزيارته وتوديعه.

رانيا انشغلت بابنة خالتها، هبه، التي أخبرتها أن لؤي سيأتي اليوم ليطلبها بشكل رسمي، فيما ظلت سلمى تبحث عن طرق لإصلاح علاقتها بزوجها.

أثناء العمل، تلقّت كل واحدة منا رسائلها الخاصة. كنت أتحدث مع السمسار بخصوص الشقة، أما شيرين فتلقت رسالة من إياد، الذي اختفت عنه منذ فترة. أجابته بأنها منشغلة كثيرًا هذه الأيام مع زوجها المريض، ولهذا قلت اتصالاتهما.

في الوقت نفسه، استمرت رانيا في محادثاتها مع صديق طفولتها، نادر.

****

(60) شيرين

تلقت شيرين إشعار ببث مباشر يقدمه إياد، قادها فضولها للدخول ومتابعة البث، بعد انتهاء البث شعر إياد إنه يمكن الوقت المناسب للتحدث مع شيرين بعد غياب.

- **عاش مين شافك**
- **أنت بقالك كتير مش بتطلع لايفات**
- **كنت مسحول شوية .. بس في الآخر كان لازم أرجع ده شغل**
- **بتكسب كتير اللايفات دي**
- **هي بالنسبة لي *side business* مع الكتابة اللي مريحة اليومين دول .. بس أنت مبسألتيش عليا رغم أنك عارفة أني تعبان**
- **انا كمان ظروفي صعبة .. جوزي بيموت**
- **على فكرة أنا حاسس بيكي لأني مريت بالفترة دي وقت مرض فرح مراتي**
- **وبعدين انت مش محتاج لي .. عندك سوزانا**
- **أنت متابعني بقى**
- **هي مابتسبش أي بوست غير لما تعلق عليه.. شكلها بتحبك أوي**
- **اللي زي سوزانا مايعرفش يحب**
- **ليه يعني**
- **سوزانا مريضة**
- **مريضة بأية**
- **مريضة بالملل والفراغ**

- **خضتني**

- **المهم هقدر اشوفك**

- **لو عرفت هكلمك**

****

(61) رانيا

تلقت رانيا رسالة من نادر، وقد أصبح من المعتاد أن يتحادثا بشكل يومي. سألها عن خططها لهذا اليوم، فأخبرته أنها لن تكون في المنزل. علّق نادر قائلاً إنه لاحظ كثرة خروجها، الأمر الذي أزعج رانيا في داخلها؛ فليس لنادر أي سلطة عليها ليعلّق على عدد مرات خروجها. كانت أولى ردود الفعل التي خطرت ببالها أن تكتب له أن هذا ليس من شأنه، لكنها تذكّرت قول هبه إن "كل رجل جبان بالفطرة"، وشعرت أنه من الحكمة أن تطمئن ذكورته المهددة بأنها أنثى يمكن السيطرة عليها.

وجدت نفسها تشرح له أن هذا اليوم غير عادي، فهو يوم سيتقدّم فيه عريس لهبه ابنة خالتها، وأن خالتها طلبت من والدتها ومن رانيا الحضور معها. ثم بدأت تسوق تبريرات كثيرة لأسباب خروجها المتكرر، وكأنها تحاول إيصال رسالة لعقل نادر بأنها فتاة لا يجب أن يُخشى منها.

لكن بعدما أرسلت رانيا الرسائل وأعادت قراءتها، شعرت أنها قد بالغت في التبرير، وكأنها تدافع عن نفسها أمام تهمة لم تُوجّه لها. قدمت الكثير من التفاصيل التي ربما كانت في غير محلها، وكأنها تنفي عن نفسها ارتكاب جريمة ما. لكن ما حدث قد حدث، ولن يفيد الندم.

قرأ نادر ردها، وانتهى الأمر عند هذا الحد. وحتى تخرج نفسها من مشاعر الإحراج، أرسلت رسالة إلى هبه تختار لها فيها الفستان الذي سترتديه، ووعدتها أن تكون عندها في الموعد المحدد، حتى يعرف الجميع من هو لؤي الذي استطاع أن يستحوذ على قلب هبه.

****

(62) منزل هبه

في المساء، ذهبت رانيا إلى منزل هبه بصحبة والدتها. اختارتا معًا الفستان وتسريحة الشعر، ووضعت لها رانيا المكياج. لاحظت كم تبدو هبه سعيدة في هذه الليلة، وكذلك والدتها، رغم القلق الذي كانت تخفيه بسبب عدم معرفتها بأي تفاصيل عن لؤي. لكنها عزمت، حين يأتي، أن تعصره بالأسئلة لتعرف عنه كل شيء، من أصله إلى فصله.

كانت الأجواء مليئة بالسعادة حتى بدأ القلق يتسلل بعد تأخر لؤي عن موعده. مضت ربع ساعة على الساعة الثامنة، وقت حضوره المحدد،

ففكر الحاضرون أنه ربما تأخر بسبب الزحام. لكن عندما مرت نصف ساعة، سألت والدة هبه ابنتها: "هو جاي منين؟" لتُصدم بإجابة هبه التي لم تكن تعرف عن لؤي أي تفاصيل—لا عنوانه، ولا طبيعة عمله، ولا حتى اسمه الكامل.

ازداد قلق الأم، لكنها تماسكت، مؤملة أن تتعرف عليه بنفسها حين يصل. مرت ساعة كاملة ولم يأتِ، وتصاعد التوتر في الأجواء. شعرت الأم بالمهانة، وبأنه لا يحترم المواعيد، إلا أن والدة رانيا حاولت تهدئتها قائلة: "الغايب حجته معاه". لكن مرور نصف ساعة أخرى دون وصوله جعل القلق يتحول إلى إحراج شديد، خصوصًا أمام الضيوف من أهلها الذين حضروا خصيصًا للمناسبة

حدثت والدة هبه نفسها بمرارة: "سامحكِ الله يا هبه، وضعتِني في موقف لا يُحسد عليه." وفجأة، فتحت هبه باب غرفتها، ونظرت إلى الخارج ثم سألت والدتها بعتاب وابتسامة تغمر وجهها:

"هو لؤي جه ومحدش قالي؟"

ثم التفتت بسعادة تتحدث إليه، وكأنها رأت من أنساها كل ما سبق.

- **أنت أتاخرت كدة لية .. أنا خوفت متجييش**

ثم صمتت هبه قليلاً وتحركت نحو الأريكة وقالت وهي تنظر إلى والدتها وكأنها تقدمها إلى أحداً ما

- **دي تبقى ماما**

ثم انتقلت ناحية خالتها هناء والدة رانيا وأبنائها وقالت

- **ودي تبقى خالتي ودول أودلاها، دي رانيا أقرب صاحبة ليا اللي كلمتك عنها وده ابن خالتي أيمن هو بيشتغل مهندس ومع أن شغله بيخليه يسافر كتير لكن قطع أجازته عشان يشوفك**

- **أما ده بقى لؤي .. هو يبقى يعرفوا على نفسه**

قالت هبة جملتها الأخيرة وهي تنظر إلى الفراغ، معتقدة أنها تخاطب شخصًا يُدعى لؤي. نظر الجميع إليها بدهشة... آه يا هبة المسكينة، لؤي لا يعدو كونه وهمًا في عقلها.

حاول الجميع إخفاء نظرات الشفقة، بينما كافحت والدتها لتمنع دموعها من الانهمار.

حاولت رانيا أن تساعد هبة على استيعاب الحقيقة، فقالت لها:

- **أنت بتكلمي مين يا هبه .. مفيش حد**

- **بكلم مين ازاي .. بكلم لؤي اللي قاعد قصادك**

نظرت رانيا إلى الفراغ وقالت

- **مفيش حد يا هبه، محدش موجود هنا غير أنا وماما واخويا وأنت وخالتي ومحدش جه من برة**

صرخت هبه في عصبية

- **ازاي محدش جه .. لؤي اهو موجود قدامك**

ثم صمتت فجأة ونظرت خلفها، نحو الكرسي الفارغ الذي تظن أن لؤي يجلس عليه. عندها، فهم الجميع أنها تعتقد أنه يحدّثها الآن.

انفجرت والدة هبة بالبكاء، وتوترت رانيا وأخوها، بينما حاولت والدة رانيا أن تمنع نفسها من البكاء.

لاحظت هبة مدى التوتر والحزن البادي على وجوههم جميعًا، فقالت بصوت مرتعش وهي تخاطب الفراغ:

- **لؤي اتكلم خليهم يعرفوا أنك موجود**

ازدادت عصبية هبة، فأدركت رانيا أن من الحكمة عدم مواجهتها بالحقيقة، فتماهت مع خيالاتها، وغمزت لأمها وخالتها كي يتصرفوا وكأن هناك شخصًا بينهم يُدعى لؤي. حاولوا إقامة حديث وهمي معه، فسألوه عن عمله وراتبه، حتى هدأت هبة قليلًا، لكنها لاحظت أن أداءهم مصطنع إلى حد كبير، كأنه تمثيل، فبدأت ترتعش وتبكي.

اقتربت منها رانيا وربّتت على كفيها. سألتها هبة:

–أنت شوفتي لؤي؟

فأومأت رانيا برأسها كاذبة:

– آه، شوفته

انفجرت هبة بالبكاء، إذ شعرت أن لا أحد يصدقها، ورأت في أعينهم اتهامات ضمنية لها بالجنون، ووالدتها تبكي.

سحبتها رانيا بهدوء إلى غرفتها كي تستريح، معللة لها بأنها ستترك لؤي مع والدتها قليلًا، وستقوم هي بضبط مكياجها الذي تأثر بالدموع.

ذهبت معها هبة، وبكت وهي تتحدث عن لؤي، وتروي تفاصيل كثيرة، وكانت رانيا تصدّق على روايتها حتى تهدأ وتطمئن... إلى أن نامت هبة أخيرًا.

وقرر الجميع عرضها على طبيب نفسي في أقرب وقت.

****

(63) سلمى

بعد محاولات حثيثة من سلمى، وبطرق مختلفة لإصلاح زواجها، لم تجد إلا أن الوضع يزداد سوءًا، فقررت – دون وعي منها – أن تتوقف عن بذل المزيد من الجهد في هذه العلاقة. توقفت عن الحديث مع زوجها،

عن التعبير عن مشاعرها نحوه ونحو زواجهما، عن شرح نفسها وتبرير مواقفها، إذ لم تجد منه سوى النفور واللوم.

كما قررت أيضًا ألا تطلب منه أن يقترب منها، أو أن تتشاجر معه بشأن مشاهدته للمواقع الإباحية أو مبيته خارج المنزل. هو حر، أما هي، فسوف تدفن مشاعرها وأنوثتها في أعماقها، وأي عاطفة تبقى لديها ستقدمها لولدها. فهي من الآن ليست سوى أم فقط، مقتنعة أن طفلها هو سندها الوحيد في هذه الحياة.

أما ماجد، فقد لاحظ تغيرًا في سلوك زوجته، وشعر بالارتياح لقلة محادثتهما، ومعها قلة مشاجراتهما. فقد كان هو أيضًا لا يفضل الانفجارات العاطفية الصادرة عن زوجته. لكنه لاحظ أيضًا غياب اللهفة والشوق من عينيها. يشاهدها أمامه لكنه لا يراها، تتحدث لكنه لا يسمع صوتها، تعاشره لكنها لا تحتويه.

أصبحت علاقتهما رسمية إلى حد ما، كأنهما ممثلان يؤديان دور الزوج والزوجة. ومع ذلك، لم يرغب في تغيير هذا الوضع، وقرر أن يدفن جميع مشاعره في العمل، حتى يوفر لولده ما يحتاج إليه. وحين يضيق به الحال، كان ينغمس في شرب السجائر ومشاهدة المقاطع الساخنة.

****

(64) ياسمين

ظننت أن إيجاد منزل جديد سيحل مشكلة خوفي المتزايد بعد الحادث المفاجئ لوالدتي، لكن الأفكار لا تزال تلاحقني أينما ذهبت.

عقلي لا يهدأ، يسرد لي أبشع السيناريوهات، ويطرح عليَّ أسئلة لا إجابة لها:

"ماذا ستفعلين إن ماتت والدتك؟"

"انظري، إنها تضحك الآن... يجب أن تحفظي شكل ضحكتها جيدًا، فقد تكون هذه آخر مرة ترينها فيها."

دقات قلبي تتعالى، أنفاسي تتقطع.

لا... لن يكون عقلي أقوى مني.

سأحارب عقلي وأنتصر عليه.

ماذا أفعل؟

أكتب، ثم أقرأ، ثم أشاهد مسلسلًا دراميًا، ثم أكتب، ثم أقرأ، ثم أنام، ثم أكتب، ثم أقرأ.

لكنه لا يصمت... لا يتوقف عن الحديث.

أفكاري متسارعة جدًا... لكنني أقوى منها.

قمت بتشغيل أغنية أحبها.

أغنية قديمة... ألحانها بطيئة.

يجب أن أجبر عقلي على أن يصبح أبطأ من اللحن.

سأركز مع الكلمات وأبني لها صورًا ذهنية.

بدأ محمد فوزي يغني:

"يا جميل ياللي هنا... ما بقينا لوحدنا... كلمني وأكلمك... ليه نتعب قلبنا... يا جميل يا جميل يا جميل ياللي هنا..."

إنه يغازل حبيبته.

ربما تقف في الجهة المقابلة له، أو في شرفة عالية.

ربما يكونان جيرانًا، ويرغب فقط في الحديث معها.

ثم يكمل:

"ده أنا طيب وابن حلال... مؤدب أوي وجميل... ولا زوج ولا عندي عيال... ولا حتى ورايا مصاريف."

صوت فوزي يضحك دون أن يضحك، وهو يعرض عليها محاسنه.

لكن فجأة... أسمع صوت عقلي يعلو على صوت فوزي.

لا أسمع ماذا يقول فوزي.

أُعيد المقطع مرة أخرى.

أنا هنا مع محمد فوزي وحبيبته وألحانه... لا مع عقلي ومخاوفه.

اهدأ، يا قلبي.

لا يوجد خطر.

يوجد فقط صوت فوزي، وهو ينشد حبيبته تلك.

****

(65) منزل إياد

بطريقة ما، استطاعت شيرين أن تترك زوجها وأطفالها وتأتي إلى إياد. لم تكن تعرف تحديدًا سبب قدومها إليه. ظل عقلها يصرخ:

"يجب أن تكوني الآن في المنزل ترعين أطفالك وتواسين زوجك المريض!"

لكن، رغم ذلك، ذهبت إليه.

استقبلها إياد بلهفة لم يكن يدركها قبل أن يراها.

تطلع إلى وجه شيرين كما ينظر الطفل إلى وجه أمه ليلتمس الأمان،

ثم ارتمى في حضنها رغم برودته، علّه يشعر بشيء من الطمأنينة.

أما شيرين، فكانت تهرب بعينيها من نظراته، تتجنب التقاء العيون.

بدأ إياد يُقبّل صدرها، فتركته دون استجابة، كأنها تمثال من شمع.

أكمل إياد رغم فتور شيرين الواضح.

وبعد أن انتهى، شعر بالوحدة أكثر من ذي قبل،

أما شيرين، فقدمت نفسها له كمن يؤدي واجبًا خاليًا من العاطفة.

شعرت داخليًا بالأسف.

لم يكن يمكنها التراجع، فهي الآن في منزله، لكنها لم توقفه، ولم تقدر أن تجاريه.

لقد تغيّرت مشاعرها تجاه إياد فجأة. تحول إعجابها به إلى اشمئزاز ونفور،

وشهوتها إلى عدوانٍ صامت. انتهى كل شيء بسرعة.

لم يستغرق الأمر سوى عشر دقائق.

أخرجت شيرين من حقيبتها علبة سجائر، أشعلت واحدة منها، فسألها إياد:

- **ماكنتش متوقع أنك بتدخني**
- **أنا ماكنتش بدخن بس فجأة حسيت عايزة حاجة انفخ فيها، ماقدرش اشرب في البيت والأولاد يشوفني**
- **كنت متأكد أن دي أول مرة تدخني فيها**
- **ليه يعني**
- **شيرين أنت طول الوقت بتحاولي تحافظي على صورة مثالية لنفسك .. ده واضح لما رفضت تطلقي بعد ما جوزك سابك، ووافقتي ترجعيله لما بقى**

محتاجلك، لكن أنت هنا بتبقي على حقيقيتك وبتسيبي الصورة المثالية اللي رسمها في خيالك دي

تجاهلت شيرين كلام إياد ولم تهتم بتحليله النفسي لها، أكملت شرب سيجارتها كأنها لم تسمع شيئاً وساد الصمت بينهم، وحتى يكسر إياد حاجز الصمت سألها

- **جوزك عامل إيه**

- **قولت لك أنه عنده مرضه صعب**

- **على فكرة الواحد لما بيختار يعيش مع حبيب مريض، ده بيخليه يتغير، هتتعلمي يعني إيه صبر لما تتحملي معاه مواقف صعبة وماتضغطيش عليه، وأنت بتحسي بكل لحظة صعبة بيمر بيها، مع الوقت ده هيديكي مرونة نفسية**

قطعت شيرين حديثه الذي شعرت أنه أقرب إلى محاضرة يميلها عليها لتقول

- **بس انا مابقتش أحب هاني**

- **بس اخترتِ تفضلي معاه أنا كمان ماكنتش بحب فرح لكن اختارت أفضل معاها لما تعبت**

سأمت شيرين من الدور التي شعرت أن إياد متقمصه أمامها فقالت لتجعله يرى حقيقة نفسه

- **عملت إيه في موضوع ابنك**

- **هعمل إية يعني.. الولد عنده حياته وأنا لو ظهرت دلوقت هبوظها له**

احتقرت شيرين إياد حين رأته يتكلم بمنتهى البساطة عن تخليه لابنه بل ويقدم لنفسه مبررات فقالت بحدة

- **حياته هو اللي هتبوظ ولا حياتك أنت .. على حد علمي أن مفيش أب في حياته عشان حياته تخرب لما تظهر فيها**

بدأ إياد يشعر بمدى نفور شيرين منه، لم يفهم لماذا تعاقبه على أمر لا يؤثر على حياتها. ما يجمعهما هو رغبتهما في المتعة، وأن يكونا على حقيقتهما مع أشخاص غرباء لا يمثلون شيئًا في حياتهم.

قرر ألا يناقشها، فهي تبدو عدائية معه في تلك الليلة.

كانت شيرين قد انتهت من سيجارتها، وشعرت أن الوقت تأخر، ويجب أن تذهب.

لم يمانع إياد مغادرتها بيته، فلم تكن في مزاج جيد على أي حال.

وحين فتح لها الباب، قابلت شيرين "سوزانا" لأول مرة، التي جاءت لزيارة إياد دون سابق إنذار.

تبادلت كلٌ منهما السلام مع الأخرى، ورغم أن لقائهما لم يستمر سوى بضع دقائق، إلا أن كل واحدة منهما تفحّصت الأخرى جيدًا.

وعند خروج شيرين من المنزل، ودّعتها سوزانا قائلة:

- **سلام يا طنط**

مع ابتسامة ماكرة على شفتي سوزانا، فهمت شيرين الرسالة.

حاولت سوزانا أن تُذكّرها بالفارق العمري بين فتاة في بداية عشريناتها وامرأة في نهاية الثلاثينات، لتُدرك شيرين أن المقارنة بينهما ليست في صالحها

بعد انصراف شيرين، ظلت سوزانا ترمق إياد بنظرات لم يفهمها في البداية.

وعلى غير عادتها، بقيت صامتة لدقائق، لم تفتح خلالها أي حديث، حتى قالت فجأة، دون مقدمات، وبلهجة حادة:

- **ماقولتليش ليه أنك كنت متهم بقتل مراتك**

صُدم إياد من طريقتها في فتح هذا الموضوع الحساس.

كان يعلم أن سوزانا، كغيرها من الفتيات، قامت ببحث طويل عنه قبل أن تتحدث معه. ورغم محاولاتهن لإخفاء هذه الحقيقة، إلا أن كل واحدة كانت تزلّ لسانها بمعلومة لم يخبرها بها.

وقد أدرك منذ البداية أن سوزانا تفعل الشيء نفسه، لكنه لم يتخيل أن تصل بهذه السرعة إلى الأخبار التي نُشرت منذ أعوام، عقب وفاة زوجته.

يبدو أنها ما زالت مستمرة في جمع المعلومات عنه حتى هذه اللحظة.

ثم قطعت سوزانا حبل أفكاره بقولها:

- **أنت قولتلي أنها كانت تعبانة وماتت بس ماقولتليش أنها اتقتلت**

لم يَرُق لإياد أسلوب سوزانا الهجومي معه، فهو غير مُلزَم بأن يحكي لها أي شيء يخصه.

ومع ذلك، قرر أن يُجاريها، فأجابها:

- **عشان هي ماتقلتش فعلاً، لو كنتِ تعبتِ نفسك شوية في البحث كنتِ عرفتي باقي الحكاية**

- **احكي لي أنت باقي الحكاية**

- **مع أن الموضوع مايخصكيش بس أنا هحكي مش عشانك بس عايز أحكي مش أكتر**

- **احكي**

- **فرح فعلاً كانت تعبانة واكتشفنا بعد جوازنا أنها عندها كانسر، بس أنا حكيت لك قبل كدة عن أسلوبها الصعب معايا وعصبيتها على أتفه الأشياء، كل يوم كنت بفكر أسيبها ولما عرفت بمرضها ماقدرتش أسيبها**

في الظرف ده وفضلت جمبها لغاية ما اتعافت، كان عندي أمل أنها تتغير بعد تجربة مرضها لكن ماتغيرتش، عشان كدة قررت أسيبها والمرة دي بجد

- وبعدين حصل أية

- لما عرفت انهارت فضلت تعيط وتترجني وتوعد أنها هتتغير لكن أنا كنت شبعت كلام ووعود وأدركت أنها مش هتقدر تتغير فعلاً، طلعت فوق البلكونة ووقفت على السور وهددتني لو سيبتها هتموت نفسها

- وأنت عملت إيه

- اتهزيت أوي وخوفت، وعدتها أننا هنكمل سوا بس تنزل

- وكنت هتكمل معاها فعلاً!!

- كنت هكمل لأني عارف تهديدها مش مرة واحدة بس، لو كنت سيبتها كانت هتعمل كدة في أي وقت تاني، ده اللي كانت كاتباه في الجواب

- جواب كانت كتبته ولاقيته لما ماتت

- وهي إزاي ماتت

- بعد ما قولت لها اني مش هسيبها، فرحت شفت ابتسامة في عينيها، لكن قبل ما تنزل أختل توازنها ووقعت وماتت .. جه البوليس واتحقق معايا بس طلعت براءة بعدين

- حسيت بإيه لما ماتت

- **هي نجحت في اللي كانت عايزاه، أنا فضلت كل يوم بفتكر نظرتها ليا قبل ما توقع، كانت فرحانة أن خطتها نجحت وأننا هنرجع نعيش سوا، واني هفضل فاكراها**

- **ينفع أشوف الجواب ده**

- **طلباتك كتير يا سوزانا لكن أنا هخليكِ تشوفيه مش عشان ارضي فضولك بس عشان أخلص من اللي شيلته جوايا لسنين**

****

(66) منزل شيرين

عادت شيرين إلى منزلها، لم يكن الوقت قد تأخّر كثيرًا، جمعت في ذهنها بعض الحجج والأعذار لتقولها لزوجها إذا سأل عن غيابها.

عند دخولها إلى البيت، وجدت أطفالها يشاهدون التلفاز، ولا أحد منهم إلى جوار والدهم.

ذهبت إلى غرفة هاني، كان يبكي من الألم. أخرجت حقنة المسكّن من حقيبتها، وأخبرته أنها تأخرت لأنها كانت تحاول الحصول عليها، ثم أعطته إياها وخرجت من الغرفة.

ذهبت إلى الحمّام وأغلقت الباب خلفها. كانت لا تزال تسمع صوت أنين هاني وهو يتألم، وصوت شجار أطفالها أمام التلفاز.

راودها شعور خانق بالذنب. لم يكن عليها أن تتركهم وتذهب إلى إياد.

أشعرها صوت أنات هاني بثقل الخيانة.

ولكي تخفف من شعورها بالذنب، رغبت في أن تؤذي نفسها جسديًا، علّ الألم الجسدي يغطي على ما بداخلها.

نظرت إلى الحائط، وفكّرت للحظة أن تضرب رأسها به حتى تسيل دماؤها.

جاءها صوت ابنتها من خلف الباب:

"ماما!"

لكنها لم تُجب.

نظرت إلى المرآة أمامها، وفكرت أن تخدش جسدها لتُنزف.

عاد صوت الابنة من جديد، ثم لحقه صوت الابن يناديها كي تحكم بينه وبين أخته.

ازدادت الأصوات من حولها: أنين هاني، شجار الأطفال، ضجيج التلفاز، خبر عاجل عن حادث قطار، كلمات إياد قبل أن تترك شقته، وجه سوزانا ونظراتها المحتقرة، وصوتها الداخلي الذي لا يتوقّف عن تأنيبها.

كل هذا يجب أن يصمت.

سقطت قطعة صغيرة من المرآة، التقطتها بيدها، وضغطت عليها بكفّيها حتى انجرحت، وسالت الدماء.

رمتها وهي تتأمل الجُرح، وشعرت للحظة أن حِملًا ثقيلًا انزاح عنها.

بدأت ابنتها تقرع الباب بعنف، لكنها لم تجبها.

عصبت يدها بقطعة شاش كانت موضوعة على أحد الرفوف.

هدأ ألمها الداخلي قليلًا.

خرجت من الحمام وصاحت في أطفالهما أن صراخهم جعلها تجرح نفسها، ثم تركتهم وذهبت لتطمئن على هاني.

كان تأثير المسكّن قد بدأ يظهر، وبدأ يهدأ.

غيّرت ملابسها وجاءت إليه، كان ساكنًا تمامًا، وعيناه ذابلتان كأنهما استسلمتا للقدر.

سألها من جديد:

- **كنتِ فين**

شعرت بالخوف. شيء ما في عينيه جعلها تشعر بأنه يعرف، يعرف أنها خانته.

لكنها أعادت نفس الإجابة بصوت منخفض:

-"كنت بجيب الحقنة".

طلب منها أن تقترب منه، وحين جلست إلى جانبه على الفراش، وضع رأسه على صدرها الذي كان يعلو ويهبط من التوتر، ثم قال لها بلهجة متوسّلة:

- **ماتبقيش تسيبني وحدي كتير**

****

(67) رسائل فرح

" إياد حبيبي

أعلم أنني كنتُ سببًا في كل ما تمرّ به الآن. كنتُ قاسية معك، أنانية، وكنتُ أجرحك بكلماتي وتصرفاتي. وعدتك أن أغيّر نفسي مرارًا، لكنني كنت أعود دائمًا إلى حماقاتي القديمة. فشلت في أن أكون الشخص الذي تستحقه.

أخبرتني أنك تشعر بأنني لا أحترمك، لكن ذلك لم يكن صحيحًا. ربما دلّلتني كثيرًا، لكنني كنتُ أكنّ لك احترامًا عميقًا في داخلي.

نوبات غضبي وجنوني لم تكن إلا تعبيرًا عن خوفي من أن تهجرني. فسّرتُ خوفي عليك وكأنه عداءٌ لك.

كنت أجرحك بالكلمات أحيانًا، فقط لأجعلك تتألم مثلي. كانت تلك طريقتي الغبية في إخبارك بأنني تعيسة وأحتاج مساعدتك.

كنت أصرخ عليك في النهار، ثم أكتم دموعي في المساء ندمًا. كنت أخبرك بأنني سأتركك فقط لتتمسك بي أكثر ولا تهجرني.

أعلم أنني جرحتك، لكن صدّقني، لم يكن ذلك بقصد. كنت كلما ازددتُ خوفًا، زاد جنوني، ثم أخاف أن تتركني بسبب هذا الجنون، فأعود إليك باكية، متذلّلة. أهينك تارة، وأهين نفسي تارة، لأنني كنت خائفة... مرتعدة من أن يزول حبك لي، من أن يخيم على حياتنا الروتين والملل، من أن تندم لأنك تزوجتني.

وهكذا كانت حياتي سلسلة متصلة من الخوف، لم أستطع فكّ نفسي منها.

ومع ذلك... كنت أحبك أكثر مما تتصور أن يحبك أحد.

رسالة فرح إلى أختها

علمتُ اليوم أن إياد يرغب في أن ننفصل. هذه المرة، هو جاد تمامًا.

حاولت أن أثنيه عن رغبته تلك، لكنه لم يتراجع.

ذهبت إليه اليوم وتناقشت معه بكل هدوء، أخبرته أنني لا أرغب في هذا الانفصال، وأنني مستعدة أن أغيّر من نفسي من أجله، لكنه أشاح بوجهه عني.

هذه هي المرة الأولى التي يشيح فيها وجهه عني...

ألا يعلم كم مرة جرحني؟ ومع ذلك، كنت أسامحه دائمًا.

لكنه لا يرغب في أن يسامحني مثلما فعلت أنا.

كان قاسيًا معي للغاية اليوم...

لكنني لن أستسلم.

رسالة فرح الثانية إلى أختها

" اليوم أرسلت له رسالة مكتوبة بخط يدي لا على الهاتف ربما إذا رأى حروفي المهتزة يشعر برعشة يدي ونبضات قلبي المضطربة، شرحت له مرة ثانية أو عاشرة أسباب عصبيتي، شرحت له خوفي العميق أن يتركني، اعترفت بأخطائي في حقه وبحبي له عله يفهم ما أمر به"

رسالة فرح الثالثة إلى أختها

أخبرني أنه لا فرق عنده، لقد اتخذ قراره بالانفصال عني ولا رجعة فيه.

لذا هددته.

أخبرته أنني إذا ذهبت إلى بيت أهلي، سأقول لهم إن سبب خلافنا الحقيقي هو عدم قدرته الجنسية، ولهذا قرر أن يُطلّقني بهذه السرعة.

هددته أنني سأشوّه سمعته حتى لا يتزوج من أخرى.

فعلت هذا فقط كي يخاف ولا يتركني، ويمنحني فرصة أخرى لأثبت له أن سعادته معي.

رسالة فرح الرابعة إلى أختها

"لا أرغب في الذهاب مجددًا إلى تلك المعالجة التي اقترحتِها عليّ، إنها سيئة جدًا، لا تسمعني ولا تفهمني.

أخبرتها، مثلما أخبرتك، أنني جرحت يدي ثم أرسلت الصورة لإياد لأهدده بأنني في المرة القادمة سأقطع شرياني، وأنني جادة تمامًا في هذا إن فكّر أن يتركني.

أخبرتها أنني لم أكن أنوي الانتحار حقًا، أعلم أن إياد لن يتخلى عني ولن يتركني أموت، وربما وقتها يمنحني فرصة أخرى."

رسالة فرح الخامسة إلى أختها

"كارما، أرجوكِ أن تفهميني، لا أحد يفهمني هنا، لكنني أود إخبارك، لا أستطيع أن أترك إياد يطلقني. لن يقبل بي أحد بعد ما قال عني من أكاذيب. سأعيش حياتي وحيدة بمفردي. لدي خطة أخيرة، يجب أن يفهم إياد أنني جادة في تهديدي له بقتل نفسي إن تركني. سأنتظره وأنا واقفة على سور شرفتي، وأرسل له صوري حتى يأتي وينقذني. إن إياد دائمًا ما يشعر بالذنب تجاه من حوله، سيأتي حتى لا يكون سببًا في موتي.

وإن متُّ حينها، سأظل حيّة في ذاكرته إلى الأبد، لن يقدر أن ينساني مهما عرف من نساء. سيعطيني الموت عمرًا فوق عمري.

ربما يكون موتي هو الوسيلة الوحيدة حتى تغفر لي أنت ووالداي حماقاتي.

ربما موتي يجعل إياد يلوم نفسه لأنه لم يعطني فرصة أخرى، وإن جاء وأنقذني، حتمًا سيغيّر معاملته لي، وأنا كذلك، وسنعيش في سعادة إلى الأبد.

أنا أعلم أنه يحبني، وأنا أيضًا."

انتهى إياد من قراءة الرسائل، ثم نظر إلى وجه سوزانا، الذي لم يظهر عليه أي تعاطف أو تأثّر من أي نوع عقب قراءة الرسائل، وقال:

- **أنت عارفة أنك شبه فرح**

رفعت سوزانا أحد حاجبيها وقالت

- **شبهها في إيه**

- **أنتوا الاتنين بتعملوا اللي انتوا عايزينه، فرح عرفت تعمل اللي هي عايزاه، ماتت بطريقة اللي تخليني أفتكرها باقي عمري**

- **عشان كدة ماتجوزتش تاني**

مال إياد برأسه قليلًا مفكرًا في ملاحظة سوزانا وقال

- **أول مرة آخذ بالي أن ده ممكن يكون سبب أني ماتجوزتش تاني**

ثم صمت قليلاً وقال وهو ينظر إلى عيني سوزانا

- **أنت عارفة .. بعد ما فرح ماتت عرفت أنها كانت حامل ومكنتش تعرف**

قالها إياد راغبًا في التخلص من جميع ما بداخله تجاه فرح، لكن سوزانا لم تتأثر كثيرًا بما قال، بل شعرت بالضجر من تلك القصة بأكملها. كانت عادتها أن تتحمس كثيرًا لمعرفة الأسرار، ثم تملّ مما عرفت. رغبت في تغيير الموضوع، فقالت:

- **أنا عايزة أرقص .. عندك مزيكا**

لم يكن إياد يتوقّع مثل هذا الرد على ما قاله قبل دقائق، لكنه أصبح يعرف أن سوزانا الآن لا يمكن لأحد أن يتوقّع ردود أفعالها. ووجد أن تلك فكرة جيدة، ربما تُخرجه من ذكرياته الحزينة. قام بتشغيل موسيقى تلائم رقصة شرقية، فلفّت سوزانا خصرها بقطعة قماش، وحاولت أن ترقص رقصًا شرقيًا. كانت تهتز مع الموسيقى مثل فراشة تتمايل. لم تنجح سوزانا في تأدية رقصة شرقية أصيلة، فبدت حركاتها أقرب إلى رقصة الباليه في ثوب شرقي، لكنها مع ذلك جعلت إياد ينسى حزنه وماضيه الأليم، ولا يفكر سوى في خصر سوزانا، ونهديها، ورشاقة خطواتها

(68) ياسمين

في اليوم التالي، وفي طريقي إلى العمل، أدركت فجأة أنني لا أسمع صوت العالم من حولي. انتبهت إلى أنني طوال الطريق كنت أسمع فقط صوت أفكاري.

صوت السيارات، والمارة، وزقزقة العصافير على الأشجار، ونباح كلاب الشوارع، وطفل صغير يبكي على صدر أمه، وفتاتان تتحدثان سويًّا، ووقع أقدام المارة على الطريق... أين ذهبت كل هذه الأصوات؟

بدا صوتها خافتًا جدًّا مقارنة بصوت الأفكار التي ينتجها عقلي دون انقطاع.

لذا، قررت أن أعود مرة أخرى إلى سماع صوت الحياة من حولي. قررت أن أركز على الأصوات الخارجية وأتبعها واحدة تلو الأخرى.

بدأت بصوت زقزقة العصافير على الأشجار. منحت كل تركيزي لهذا الصوت.

كيف كنت أعبر كل يوم دون أن أسمع تغريد العصافير بجانبي؟

رفعت عيني إلى السماء وتأملت زرقتها وبعضًا من سُحبها، وتذكرت حين كنت طفلة يصوّر لي خيالي من هذه السحب أشكالًا مختلفة.

عبرت طفلة صغيرة بصحبة والدتها الطريق. نظرت إليّ وابتسمت لي ابتسامة رقيقة.

ثم ركّزت على الطريق، أسماء المحلات، الملابس المعروضة، تعابير وجوه المارة.

اكتشفت أنني حين هدأ صوت عقلي، بدأت أسمع وأبصر الحياة من حولي.

****

(69) رانيا

لم تأتِ رانيا إلى العمل في هذا اليوم، إذ كانت بصحبة هبة منذ مساء الأمس، اليوم الذي اكتشف فيه الجميع أن حبيب هبة لم يكن سوى وهم في عقلها.

لم يتبقَّ سوى أن تقتنع هبة بنفسها بهذه الحقيقة.

تناولت هبة ورانيا طعام الإفطار في هدوء يسبق العاصفة. حاولت رانيا تأجيل هذه العاصفة، لكن لم يكن هناك مفر من إخبار هبة بالحقيقة، حتى تُقبل على العلاج.

بدأت رانيا بطرح مجموعة من الأسئلة بدت عفوية، حول الأماكن التي التقت فيها هبة بلؤي، وهل كان هناك مَن شاهدها بصحبته.

قدمت هبة مجموعة من الإجابات التي بدت منطقية في ظاهرها، لكنها كانت متهافتة وغير مترابطة.

واصلت رانيا طرح أسئلة أكثر دقة: أين رقم هاتفه؟ حسابه الشخصي على فيسبوك؟ لماذا لم يتحادثا عبر تطبيق الواتساب؟ هل يوجد شخص في هذه الأيام لا يستخدم التكنولوجيا؟

ومع ضغط رانيا المتزايد، عزمت هبة على إثبات أن لؤي شخص حقيقي، وأنها ليست مجنونة كما تحاول رانيا أن تُشعرها.

قررت أن تأخذها إلى الأماكن التي كانت تلتقيه فيها، ووافقت رانيا حتى تفهم ما الذي كان يحدث مع هبة خلال تلك الفترة.

أخذتها هبة إلى إحدى النواصي المهجورة، وأشارت إلى مكان ظنته كافيه عامًا.

تمشت قليلاً حتى رأت شجرة، وتخيّلت أن هناك كلمات محفورة عليها.

منعت رانيا دموعها من الانهمار حين رأت حالة هبة وقد وصلت إلى هذا الحد.

لقد كانت تأتي إلى هذا المكان المهجور وتتحدث مع نفسها، وربما اعتقد المارة أنها فتاة مختلة.

واجهت رانيا هبة بجميع هذه الحقائق، حتى انهارت هبة وهي تشير إلى أشياء لا يراها أحد سواها، وبدأت تسب وتلعن رانيا، مقتنعة بأنها تشكك في قواها العقلية.

أمام انهيار هبة، لم يكن أمام رانيا سوى أن تتماهى مع خيالاتها مجددًا.

وحين عادتا إلى منزل خالتها، قصّت رانيا ما حدث، واتفقتا على ضرورة عرض هبة على طبيب نفسي في أقرب فرصة، حتى وإن اضطررن لإجبارها على العلاج.

****

(70) المكتب

افتقدت وجود رانيا معنا في المكتب اليوم، فقد كانت لا تكفّ عن المزاح والضحك.

نظرت إلى سلمى، كان وجهها يبدو حزينًا وذهنها شاردًا، فتذكرت ما كانت تقوله رانيا يومًا: "لقد ابتلينا بشركة معظم العاملين بها من النساء".

حاولت فتح حوار معها، فأخبرتني أنها منهمكة فقط في العمل.

يا الله، على من تكذب؟ كنت أعلم أن ما يشغل بالها لا بد أن يكون له علاقة بزواجها.

سألتها:

- **بقيت عاملة إية دلوقت؟**

فردت باقتضاب:

- **بخير، نحمد الله.**

وظلت عيناها معلقتين بشاشة الحاسوب أمامها.

مرّت خمس دقائق فقط، ولا زال التعبير الجامد يكسو وجهها، ثم قالت فجأة، كمن يتخلص من عبء ثقيل على قلبه...

- **خلاص يا ياسمين .. أنا مش هوجع دماغي**
- **مش فاهمة**
- **الجواز يا ياسمين مش زي ما كنا متخيلين أننا نفضل نحب في بعض زي الأفلام، الجواز مؤسسة زي الشغل كدة وكل واحد بيقوم بدوره، أنا بس اللي كان عندي توقعات عالية من الجواز**
- **يعني إيه مؤسسة وكل واحد بيقوم بدوره طب والمشاعر**
- **المشاعر الوحيدة الحقيقية هي الأمومة**
- **يا سلام**
- **أنا دلوقت فهمت جملة قالتها شيرين الأصعب من الوحدة أنك تحسي بالوحدة وأنت متجوزة**
- **حاولي تاني يا سلمى .. أتكلمي مع ماجد وقوليله انت محتاجة إية**

- **لا أنا كدة كويسة وعايزة أقولك علاقتي بماجد اتحسنت وبطلنا نتخانق من وقت لما بطلت اقوله انا محتاجة منه إية في العلاقة**
- **يمكن تكونوا بطلتوا خناق بس بقيت حاسة بالوحدة**

صمتت سلمى، ولم ترغب في أن تجاريني في الحديث.

ربما ندمت على ما قالته لي، أو عَزّ عليها أن تشرح لي أكثر كم تشعر بالإهانة حين تطالبه بمشاعر لم يعد يملكها، حين يتهمها بأنها "زوجة نكدية"،

وحين ترى في عينيه أنه فقد شغفه بها،

وأن علاقتهما أصبحت مجرد أداء لواجب لا أكثر.

انتهى حديثي مع سلمى على هذا النحو، ثم انتبهنا إلى غياب شيرين.

وعرفنا من إنجي أن شيرين في المستشفى بصحبة زوجها،

فقد ساءت حالته الصحية جدًا

****

(71) منزل إياد

مرّ الوقت بين سوزانا وإياد دون أن يشعرا، بقي إياد يحاول كتابة شيء في روايته، أما سوزانا فكانت تشعر أن البيت بيتها، تتصرف وكأنها صاحبة المنزل. وأخيرًا، نامت على صوفة جلدية في الصالة.

في نهار اليوم التالي، فتحت أوراق إياد وبحثت عمّا كُتب، معتقدةً أن الكتابة عنها، بصفتها بطلة رواية إياد الجديدة.

وجدت مسودة أولية تتحدث فيها البطلة عن طفولتها وما تلاها من مراهقة:

---

*"وُلدت لأبوين ثريين، ورثت عن أمي جمالها وعن أبي ذكاءه. عشت طفولة مميزة، كانت جميع طلباتي تُلبّى بأدنى إشارة مني، إن لم يكن بسبب مركز أبي المرموق فبسبب وجهي البريء الجميل. إن تشاجرتُ مع أحد التلاميذ، كان المعلّمون يهرولون إليّ ليعرفوا إن حدث لي مكروه، إذ لم يكن واردًا لديهم أن أكون مخطئة في حق طفل آخر.

كانت أخطائي تنتهي بتنبيهات لطيفة، وأخطاء غيري من الأطفال تنتهي بتأديب شديد. كنت دائمًا مركز الاهتمام، وكبرت على هذه الحال.

كانت حياتي باردة ومملة، لم يعد هناك شيء قادر على إمتاعي، فقد ذُقت متع الحياة كلها في سن صغيرة، ولم يعد هناك ما يبهرني. أليست هذه مأساة؟

لذا وددت كسر هذا الروتين ببعض المقالب اللطيفة في أصدقائي والضحك عليهم.

خبّأت قطة صديقتي وجعلتها تبكي كثيرًا، ثم كسرت لعبة زميل لي، مزّقت فستان صديقتي الجديد، وهكذا... كي أتسلى. لكن لا ضير في هذا، إنه مجرد مزاح.

حين كبرت أكثر، أصبحتُ أحتاج إلى جرعة أكبر من التسلية. لم تعد الدراما على شاشات التلفزيون والسينما تكفيني، رغبت في شيء درامي أكثر، شيء حقيقي.

في أحد الأيام، خبّأت قرطًا باهظ الثمن، وأخبرت أمي أنه اختفى عقب تنظيف الخادمة للغرفة. جاءت الخادمة باكية، متوسّلة لأمي أن تصدق أنها لم تأخذ شيئًا. كان الوضع ممتعًا ومسليًا، أن أكون في قلب دراما حقيقية. لكنني لست شريرة، فقد أنقذت الخادمة وأخبرت أمي أنني وجدته لاحقًا.

وهكذا عرفت سبيلًا جديدًا للمتعة لم أكن أعرفه.

فيما بعد، اتّهمت السائق الخاص بأنه تحرّش بي. عاقبه والدي بشدة وهدده بالسجن، فبكى متذللاً، يتوسل أن يُصدق. تدخلت وأخبرتهم أنني كنت ثملة، وربما تخيلت ما حدث.

لم تُطرد الخادمة، ولم يُسجن السائق. فأنا لست شريرة، لكنني مريضة بالسأم والضجر. كنت فقط أمزح معهم، مزاحًا ثقيلًا بعض الشيء. أردت

لهم أن يختبروا روعة الأدرينالين، أن أضفي بعض الحيوية على حياتهم المملة.

في إحدى المرات، كتب لي زميل رسالة غرامية. خطرت لي فكرة رائعة: وضعت الرسالة في أحد الدفاتر التي كنا نُقدّمها للمعلمين. قرأت المعلمة الرسالة بصوت عالٍ، فضحك الجميع، واحمر وجه زميلي. لا بأس، فقد كنت أمزح.

أنا أحب الضحك، وأحب الإثارة.

وحين كبرت أكثر، أحبني شاب، كان يهيم بي، لكنني وجدته ضعيف الشخصية، فأردت مساعدته. تعمدت إهانته بكل الطرق. ليس لأني شريرة، بل لأني أردت أن أُخرجه من ضعفه.

وفي أحد المرات، أخبرني أنه يريد قطع العلاقة. تذللت له، ذرفت الدموع، فعاد إليّ لأنه يحبني. وحين عاد، جمعت أصدقاءنا، وأمامهم جميعًا قلت له إنني لا أريده. كنت فقط أود تلقينه درسًا.

أحبني كثيرون، لكني لم أتمكن من حب أحد. ليس لأني بلا قلب، بل لأنني أتلف للحب، لكن ما إن يحبني من أمامي، أشعر بالضجر والسأم.

أنا لست شريرة، فقط... مريضة بالملل والفراغ."

انتهت سوزانا من قراءة المسودة.

كان إياد قد استيقظ ووجدها تقرأ ما كُتب عنها. توقّع أن تغضب أو تثور، لكنها بقيت هادئة، واكتفت بابتسامة دون أن تقول شيئًا.

شعر إياد بالخوف من ابتسامتها تلك، فقد كان دائمًا يشعر بالخوف من سوزانا دون أن يعلم السبب.

****

(72) انجي

بعد العمل، كانت إنجي في منزلها وحيدة. خرج أولادها، ولا شيء لديها لتفعله. أخرجت هاتفها وفتحت تطبيق فيسبوك وجلست تتصفح أخبار أصدقائها وزملائها، حتى لفت انتباهها صورة لصديقة قديمة من أيام الدراسة. هي وإنجي في نفس العمر، لكن ظهرت صديقتها وكأنها أصغر. وجهها لا تحيط به التجاعيد مثل وجه إنجي، وتبدو عليها نضارة تفتقدها إنجي.

أحضرت إنجي مرآة وجلست تتأمل نفسها. لقد خطّ الزمن على وجهها خطوطًا كثيرة، ورسم عليه منحنيات لكل ذكرى مرت بها. لكنها تساءلت: ما سبب ظهور صديقتها بمظهر أكثر شبابًا منها؟

ترددت إنجي قليلًا، لكنها قررت التحدث مع صديقتها القديمة وسؤالها. بدأت حديثها بالسؤال عنها وعن صحتها، ثم سألتها عن سر شبابها الدائم، حتى استطاعت أن تعرف منها أنها أجرت بعض الإجراءات التجميلية، مثل حقن "الفيلر" لملء تجاعيد الوجه وإزالة الخطوط الدقيقة منه، واستعارت منها رقم طبيب التجميل حتى تقوم بزيارته.

نظرت إنجي إلى وجهها في المرآة وقالت في نفسها:

"توقف أيها العمر قليلًا، فأنا لم أتمكن بعد من استيعاب كل ما حملته الأيام في طياتها من فرح وألم. لم أسعد بتفاصيل الحياة الصغيرة، ولم أغمر نفسي بمتعة اللحظات التي أضعتها في صخب الأيام. فلتمنحني فرصة أخرى لالتقاط الأنفاس، لعلني أتمكن من العيش كما يجب، قبل أن تسلبني منك لحظاتي الأخيرة."

****

(73) المستشفى

لم تصحب شيرين معها ابنها الصغير يوسف، لكن تلا جاءت معها إلى المستشفى. في هذا الوقت، تذكرت تلا اليوم السابق لدخول والدها المشفى.

كان يومًا عاديًا، مثل سائر الأيام، حاولت فيه تلا أن تبعد نفسها عن والدها قدر ما استطاعت. كانت والدتها لا تزال خارج المنزل، وسمعت صوت والدها يناديها من غرفته ويطلب منها كوبًا من الماء، لكنها تجاهلته، ورفعت صوت التلفاز كي لا تسمع صوته.

كرر والدها النداء، لكنها لم تُجِب. وحين ملت من إلحاحه، نادت على يوسف وطلبت منه أن يحضر الماء لوالده، فقط حتى يصمت وترتاح من إزعاجه.

لم تكن تلا قد تجاوزت بعد غضبها من والدها، بعد أن رحل عن المنزل دون حتى كلمة وداع. شعرت أنه لا يستحق أن يتواجد بينهم أو أن يخدمه أحد. لذا، تعمدت أن تتجاهله، كأنه لم يعد موجودًا في المنزل.

أما يوسف، فلم تربطه مشاعر قوية بوالده، لكنه بدأ يخاف من وجه هذا الرجل الذي علم أنه والده؛ فقد أصبح وجهه مخيفًا، شديد النحافة، تظهر فيه العضلات بوضوح، وعيناه جاحظتان كأنه شبح.

أعطاه يوسف كوب الماء الذي طلبه كي يتخلص من ضجيجه، لكنه لم يجبه بشيء، فظن أنه نائم.

حتى جاءت شيرين، واكتشفت أن زوجها دخل في غيبوبة، نقلته على إثرها إلى المستشفى.

****

(74) منزل إياد

رجوعًا إلى إياد، كانت سوزانا لا تزال في منزله.

وبعد استرساله في الكتابة لساعات، سمع صوت "تَكريعة"، فالتفت خلفه ليرى أن مصدر الصوت هو سوزانا، التي كانت تقف أمام الثلاجة، وتحشو في فمها ما تجده صالحًا للأكل، ثم تشرب من عبوة المياه الغازية بطريقة عشوائية، تفتقر إلى أي ذوق في تناول الطعام.

نظر إليها إياد وقال لها:

- **آخر حاجة كنت أتوقعها إني أسمع الصوت ده منك، اللي يشوفك من بعيد لبسك ومظهرك مايقولش انك ممكن بتاكلي بالطريقة دي**

حاولت سوزانا أن تدافع عن نفسها، وقد انتفخ أحد خديها من الطعام، فتمتمت بكلمات غير واضحة بينما تلوك ما في فمها، وقالت:

- **أنتوا كدة بتتوقعوا أن البنت الحلوة عبارة عن تمثال شمع مش إنسانة وعندها معدة زيها زيك وبتطلع نفس الأصوات اللي بتطلعها**
- **هو أنت امتى بتلحقي تشتغلي يا سوزانا.. طب بابا وماما مش بيشتاقوا ليكي يسألوا عنك .. أصلك مقضية يومك كله عندي**

تجاهلت سوزانا أسئلة إياد غير الهامة لها وأكملت وهي تتأمل ثلاجته وقالت

- **أنا جعانة أوي وانت ماعندكش أكل، تيجي نطلب بيتزا، ماتتعودش أنى هطبخ لك كل يوم**

- **اللي أنت عايزاه أنا مش فارق معايا**

أغلقت سوزانا باب الثلاثة ثم استدارت ناحية إياد وهي ممسكة بأحد رواياته التي كانت تقرأها وقالت

- **أنت لية طول الوقت في رواياتك بتتكلم عن الأم ولا مرة جبت سيرة الأب، مع أني عارفة أن مامتك ماتت وأنت صغير والمفروض أنك عيشت مع باباك أكتر ومتأثر بيه**

كعادة سوزانا تفتح مواضيع حساسة ببساطة شديدة حاول إياد تغيير الموضوع

- **بس أنت قولتلي قبل كدة أنك مش بتحبي تقري ليه بقيتي تقري رواياتي**

أدركت سوزانا تهرب إياد فعادت لتسأله

- **هو باباك لسة عايش**

- **آه عايش**

- **بتروح تزوره**

- بروح بس إحنا علاقتنا مش زي أي أب وابنه اللي بيطلعوا في التلفزيون دول، أنت عارفة أنا بعامل كل الناس كويس ألا هو، دايما بلاقي نفسي عدواني معاه من غير ما اعرف السبب

- ليه

- مفيش .. مفيش سبب .. مفيش حاجة خالص، أنا دايماً بخلي أبطالي من غير أب لأن ماعنديش أي ذكريات تجمعني بيه ممكن أكتب عنها فبخلي الأب دايمًا مات وهو صغير

- بس أنت باباك مامتش وأنت صغير

- بس مات وهو عايش .. أنا بخاف من اليوم اللي هيموت فيه .. بخاف افتكر الوقت ده وأقول ياريت كنت قربت منه، عشان كدة بروح أزوره بس ببقى ميت من الملل والزهق، أنا مش بكرهه.. هو بالنسبة لي حد كنت بشوفه من وأنا صغير وكبرنا أنا وهو فأكيد بعزه لكن كراجل عجوز مسن مش كأب ليا.

صمت إياد عن الحديث، لم يتحدث من قبل عن علاقته بوالده مع أحد لكن سوزانا كعادتها تستطيع أن تستدرجه في الحديث لتعرف ما تود معرفته، نظر إليها وحاول ألا يبكي أمامها فابتسم لها وقال

- تحبي تاكلي اي نوع من البيتزا عشان نطلب اتنين

....

(75) هبه

كانت هبة تنام على سريرها في غرفتها بعد أن عادت من عيادة الطبيب النفسي، التي أُرغمت على زيارتها من قبل والدتها ورانيا. شخص الطبيب حالتها بمرض الفصام، ووصف لها عدة أدوية يجب أن تتناولها لمدة ستة أشهر.

كانت دموع هبة تسيل على خديها بصمت واستسلام. لم تستوعب بعد كل ما مرت به. لماذا يراها الجميع كمجنونة؟ هل هي حقاً مريضة؟ أين اختفى لؤي؟ كيف لفتى أحلامها أن يتحول لمجرد هلاوس سمعية وبصرية من إنتاج عقلها؟

وأثناء استغراقها في التفكير، وصل إلى مسامعها صوت والدتها من خارج الغرفة، وهي تتحدث إلى رانيا، سائِلةً إياها...

- **بس أنا بنتي طول عمرها عقلها يوزن بلد، دي دكتورة**
- **يا طنط الأمراض العقلية ممكن تصيب أي حد حتى لو دكتور، زيها زي الأمراض العضوية**
- **يعني أنا بنتي كدة اتجننت**
- **لا ماتجننتش، انا اتكلمت مع الدكتور، هي بس محتاجة تمشي على الأدوية فترة، وبعدين هتبدأ تستوعب أن لؤي ده مش موجود**

- **ليه أنا اللي بنتي يحصل فيها كدة**

قالتها وكادت أن تبكي، قامت رانيا واحتضنت خالتها وحاولت طمأنتها ستكون هبه بخير، في هذا الوقت نظرت هبه حولها في الغرفة فلم تصدق عيناها، لؤي هنا معها، أنها تراه هو حقيقي وليس شخصية وهمية كما يدعي الجميع، فكرت أن تصرخ وتنادي رانيا ووالدتها فيعرفوا أنه حقيقي لكن لؤي منعها من ذلك قائلاً:

- **"هبه، لا تقولي لهم شيئاً، لن يفهموا... سيأخذونك مني، سيظنون أنك جننتِ من جديد."**

نظرت إليه هبه بعينين واسعتين، تختلط فيهما الراحة بالخوف، حاولت أن تلمس يده، لكنها شعرت بها باردة... ليست دفئاً بشرياً حقيقياً، ولا برداً كاملاً كالأوهام، بل شيء بينهما أربكها. قالت له بصوت مرتجف:

- **"لكنهم قالوا إنك مش موجود... إنك مش حقيقي..."**

ابتسم لؤي ابتسامة حزينة وأجابها:

- **"أنا حقيقي فيكِ... في قلبك... في دماغك... وفي كل لحظة صدقتِ فيها حبك لي."**

صمتت للحظة، ثم همست:

-**"أنا مش مجنونة، صح؟"**

قال لها بثقة:

- **"أنتِ مش مجنونة... أنتِ الوحيدة اللي شايفة الحقيقة."**

أشارت هبه إلى الأدوية التي أحضرتها اليوم لها والدتها وقالت له

- **بيقولولي لو أخدت الأدوية دي، انت مش هاتبقى موجود ومش هشوفك**

- **خلاص يبقى متاخديهاش وأفضل جمبك**

فرمت هبه علبة الدواء من يديها واستمرت تحدق في الفراغ الذي أمامها، معتقدة أنه لؤي، حبيبها الخفي.

****

(76) رواية إياد

أصبحت سوزانا ملهمة إياد، شخصية استفزّت فيه الرغبة في الكتابة، وها هو أحد المقاطع من روايته عنها:

"وجدت سوزانا يديها موثقتين بسلاسل حديدية، يقودها رجل لم تتبيّن ملامحه في البداية. صعد بها إلى حلبة واسعة، تتعالى من حولها هتافات الجماهير، بينما يقبع في طرفها الآخر أسدان جائعان، يترقبان الحكم. أمامها منصة مرتفعة، جلس عليها قاضٍ بملامح جامدة، ويقف على الجانبين شهود ينتظرون لحظة الإدلاء بالحقيقة. نظرت إلى نفسها، فوجدت أنها ترتدي ملابس جارية تعود لعصور غابرة. أدركت أنها في

محكمة، وأنها المتهمة. أما الرجل الذي قدّمها مقيدة، فلم يكن سوى أول حبيب عرفته.

كان الشهود: السائق، الخادمة، أصدقاء المدرسة، وزملاء العمل. الدعوى أقامها حبيبها السابق.

دوّت الطبول إعلانًا لبدء المحاكمة. وقف الجميع احترامًا لدخول القاضي وهيئة المحكمة. عادت بنظرها نحو الأسدين خلفها، تتأمل أنيابهما النهمة، فالجوع يشع من أعينهما، ينتظران أن يتحولا إلى جلادين.

نُودي على لائحة الاتهام: ارتكبت الشرور بحق من حولها، استغلتهم، كسرت قلوبهم، سلبت منهم الحب والاحترام، ولم تَهب قلبها يومًا لأحد، بل احتفظت به لنفسها.

كان الحكم صادمًا: تُسلب منها إنسانيتها وتُسلَّم إلى الوحوش لتكون واحدة منهم، وتنسى أنها كانت بشرًا يومًا ما.

صرخت سوزانا، تستجدي القاضي أن يسمح لها بالكلام. أذن لها. فجثت على ركبتيها، وبدأت تدافع عن نفسها:

"لماذا تُحاكمونني؟ أنا ضحية هذا المجتمع. تحاكمونني أنتم، وتتغاضون عنهم! منذ طفولتي كنتُ أعلم أنني جميلة، وكنت أرى سطوة الجمال على الناس. تساءلت: لو لم أكن جميلة، كيف كانوا سيعاملونني؟ كنتُ من

عائلة ثرية، فحظيت بالحب والاحترام، بينما رأيت نفس الأشخاص يحتقرون الفقراء!

كبرتُ في عالم يقوم على ثنائية قاسية: قوي وضعيف. إن كنت تملك الجمال والمال والعلم، فأنتَ من الأقوياء. وإن كنت تفتقدهم، فأنت الفريسة. خفتُ أن أكون من الضعفاء، فكرهت كل ضعيف، خشيت أن أكون مكانه.

عاملت الفقراء بقسوة لأُثبت أنني لا أنتمي إليهم. كسرت القلوب خوفًا من أن يُكسر قلبي. كلما جرحتُ أحدهم، كنتُ أنتظر أن يصرخ بي، أن يُوقفني. لكنه كان يصمت، فأتمادى، لأنني إن لم أكن أنا الجلاد، سأصير الضحية.

الحياة علمتني أن العالم ينقسم إلى: جلاد وضحية، ظالم ومظلوم، مُغتصِب ومنتهَك، محطِّم ومُحطَّم. فاخترت أن أكون في جانب الأمان... جانب الشر.

كنت أرى الأشرار يُكرَّمون، والطيبين يُذلّون. فاخترت النجاح، اخترت الكرامة، ولو بثمن قسوتي. لم أكن شريرة... كنتُ خائفة. والقسوة كانت القناع الذي أُخفي به هشاشتي. كل كلمة جارحة، كل تصرف أحمق، كان جدارًا أحيط به نفسي حتى لا يُكسرني أحد."

وبينما كان إياد يكتب هذا الفصل، رنّ هاتفه. كانت سوزانا على الخط.

أجابها بحماس

- **مش هتصدقي .. كنت لسة بكتب عنك**
- **أنا مسافرة .. بكلمك وانا في المطار**

تفاجأ إياد من رد سوزانا، لا لأنها تجاهلت حديثه أو رمت إليه الخبر دون تمهيد—فهذا دأبها في الحديث—بل لأنه لم يعتد غيابها عنه.

كان يعلم في قرارة نفسه أن سوزانا، عاجلاً أو آجلاً، سيفتر فضولها نحوه.

فهي لم تحبه يومًا، بل أحبّت اللغز الذي شكّله لها.

وحين بدأ هذا اللغز في التلاشي، بدأ كل شيء آخر يتلاشى معه.

قال لها بهدوء:

- **هتتأخري**
- **مش عارفة هسافر مع ماما بلدها واقعد شوية هناك ويمكن أعمل معرض ليا برة**
- **عندك وقت تشوفي اللي كتبتوا عنك**
- **أوكي لسة عندي وقت قبل ما أخلص إجراءات السفر.. أبعت اللي كتبته ليا في رسالة**

ثم أرسل لها إياد ما كتبه وانتظر عشر دقائق ليعرف ردها الذي لم يكن متوقع

- **أنت متأكد أن أنا بطلة الرواية**

- **أنتِ شايفة إية**

- **أنا شايفة أنها فرح مش أنا**

وقبل أن يجيب أغلقت الهاتف متحججة أنها تأخرت على والدتها،

أغلق إياد الهاتف وظل يفكر في كلامها مَن حقًا تكون سوزانا.

****

(77) المستشفى

تدهورت حالة هاني، زوج شيرين.

كانت هي وهالة تعلمان أن النهاية باتت قريبة.

من المؤلم أن تراه يذبل أمامها، يتلاشى شيئًا فشيئًا كأن الحياة تنسحب من جسده بصمت.

جلست شيرين تتأمله، تتأمل كيف يمكن لإنسان أن ينطفئ على مهل، كشمعة تُستهلك بصبرٍ قاتل.

خرجت هالة من الغرفة لتُجري اتصالاً بزوجها تطمئن فيه على أطفالها، فخلا المكان إلا من شيرين وهاني.

رنّ هاتف شيرين. كان المتصل إياد.

شعر بالفراغ بعد سفر سوزانا، وراح يبحث عنها مجددًا.

تجاهلت المكالمة وأغلقت الهاتف في توتر.

نظرت بسرعة إلى وجه هاني لترى إن كان قد لاحظ شيئًا.

لم يتكلم، لكن نظراته اخترقتها كأنها كلمات بلا صوت.

ارتعدت.

شعرت بأن هاني يعرف.

وربما لا يعرف.

لكنّ قلبها يؤكد أنها مكشوفة أمامه، وأن لا شيء يمكن إخفاؤه بعد الآن.

اختنقت بغصة حادة في صدرها، ثم تصاعدت في رأسها الأصوات.

محكمة كاملة انعقدت داخل عقلها:

صوت قاضٍ يتهمها بنبرة قاسية:

"امرأة ساقطة، خائنة، نجسة".

وصوت محامٍ باهت يردّ:

"إنها ضحية... ضحية زوج جعلها تتسول الشعور بأنوثتها... لم تجد

حضنًا فبحثت عنه في مكان آخر".

لكن صوت القاضي كان أقوى، أعلى.

لم تُمنح فرصة للدفاع، لأن كل شيء بداخلها صار ضدها.

لم يقل هاني كلمة.

لكنه لم يكن بحاجة إلى ذلك.

هي من مثلت الدورين معًا: القاضي والمحامي، والجلاد أيضًا.

تصورت وجهه حين يعرف.

تخيلت ملامحه وهو يواجهها بالحقيقة.

ردّت على لومه المتخيَّل بمبررات واهية، لا تقتنع بها هي نفسها.

صرخت داخلها:

"ارحمني!"

لكن صوت الرحمة لم يصل.

خارج المحكمة، بدت شيرين كما يراها الجميع:

زوجة مخلصة، وفية، تسهر على راحة زوجها المريض.

لكن في أعماقها، كانت تحمل نظراتهم، أحكامهم، وكأنهم علموا بخيانتها.

كل يوم، كانت تحاكم نفسها، وتدين ذاتها بنفسها.

رنّ هاتف في الغرفة. لم يكن هاتفها، فقد أطفأته.

نظرت إلى هاتف هاني الملقى على الطاولة، رأت اسم "منى" يظهر على الشاشة.

لم ترد، فظهرت رسالة: فحواها «هل هاني بخير؟ حالته ساءت؟»

ارتجف وجهها بالغضب. شعرت بشيء يتمزق في صدرها.

سألها هاني بهدوء، وقد لاحظ انفعالها:

-"فيه إيه؟ مين بعتلك؟"

صرخت فيه:

- **عايز تعرف مين بيتكلم دي الست هانم عشيقتك عايزة تطمن على حبيبها**

"لم يُجِبْها هاني، وظل صامتًا منتظرًا أن تهدأ شيرين، لكنها استمرت في غضبها، وقالت له بانفعال."

- **عارف من وقت لما سيبتني وانا بسأل نفسي ليه سيبتني هو أنا وحشة بس عارف لو أنا وحشة فده لأنك كنت أسوء زوج وطلعت أسوء نسخة مني**

تمادى هاني في صمته، لم يعرف بماذا يمكن أن يجيب شيرين. أما هي، فكانت تصب عليه كرهها واحتقارها لنفسها، واستمرت تتحدث بلا توقف.

- **أنت زوج خاين وغشاش وأنا بكرهك بكرهك .. أنا مش عارفة أنت ازاي مستحمل نفسك ..إزاي قادر تبص على نفسك في المراية كل يوم .. أنت ماتستاهلش انك تكون في وسطنا ولا وسط ولادك**

اندفعت شيرين في غضبها إلى أقصى درجة حيث لم تكن قادرة على تمييز حالة زوجها النفسية والصحية فقالت

- **أنت مش المفروض تكون هنا .. أنت المفروض تكون تموت زي الكلب لوحدك**

ظهر شبح دمعة في عيني هاني، جعلت شيرين تبدأ في العودة إلى رشدها شيئًا فشيئًا. ومع ذلك، بقي هاني متماسكًا. لم تستطع شيرين أن تميز إن كان مستسلمًا أم أنه يشعر بسلام غامض رغم كل شيء. بحثت في عينيه عن نظرة اتهام فلم تجد، بل كانتا مفتوحتين كذراعين ممدودتين نحوها في تسامح غريب.

انفجرت شيرين في البكاء، لكن دموعها لم تكن مالحة فقط، بل كانت ساخنة، حارقة، وكأنها تغسل قلبًا أثقلته الخطيئة. انتبهت فجأة إلى نبرة صوتها المرتفعة، فالتفتت نحو الباب لترى إن كانت هالة قد سمعت شيئًا مما قالته، لكن هالة كانت قد ذهبت إلى آخر الممر تجري اتصالًا بزوجها.

لكن المفاجأة أن تلا، ابنة شيرين، كانت قد عادت من المدرسة ووقفت على الباب تنظر إلى والدتها بنظرات متسائلة. لم تعرف شيرين متى بالضبط وصلت ابنتها، وماذا سمعت، لكن كان من الواضح أنها لم تسمع الكثير، وإلا لكانت الأم قد شعرت بذلك

لم تحتمل شيرين الموقف، فاتجهت إلى الحمام لتبكي هناك.

وعندما عادت، سمعت صوت هالة ينتحب من داخل غرفة هاني،

اضطرب قلبها، لكنها كانت تعرف ما حدث... لقد مات هاني.

(78) إياد

كلام سوزانا جعل إياد يتذكّر فرح مجددًا. دفعه الحنين إلى البحث في الأوراق التي كتبتها له خلال الفترة التي عاشت فيها معه، قبل أن تهجره وتسبق رغبته في الانفصال. التقط ورقة وتأمل خطها لأول مرة. كانت حروفها صغيرة منمقة، لكن بدت مستعجلة، متمايلة بعض الشيء، كأن توترًا دفعها للكتابة على عجل. ربما سقطت دمعة على الورق ومحتها الأيام... من يدري

كانت الرسالة تعليقًا على شجار دار بينهما، طلب فيه إياد منها أن تتخلص من عصبيتها، خاصة أمام الضيوف. شرح لها كيف كان يمكنها التصرف بطريقة ألطف، معتقدًا أنه يساعدها، لكنها لم تحتمل النقد. انسحبت إلى المطبخ، وأحضرت سكينًا، ثم وضعته على رقبتها محاولةً إسكات صوته. وكتبت:

"شعرت أنك لا تراني، لا تشعر بي. لم أرد سوى أن تتوقف عن انتقادي. كل كلمة خرجت من فمك كانت كالسوط يجلدني، صدقني، لم أكن أبالغ. تمنيت لو رجمتني بالحجارة بدلًا من كلماتك. وضعت السكين على رقبتي وأغمضت عيني، كنت خائفة من الموت، وخائفة أكثر أن تظن أنني

أمثل. أردت فقط أن تصرخ باسمي، أن تنقذني، أن ترى ألمي. كنت أبحث عن صوتك يوقفني. أعلم كم كانت تلك الطريقة غبية، لكن عقلي لم يقترح سواها. وحين فتحت عيني، رأيت يديك ترتعشان من الهلع، فبكيت، طلبت منك أن تسامحني... لكنك غادرتني. وهذا أكثر ما كنت أخشاه.

لم تهددتك أمام أهلي بأنك تعاني من مشاكل جنسية لأنني شريرة، بل لأنني كنت أرجو أن يمنعك الخوف من تركي، علّني أحصل على فرصة أخيرة لإصلاح كل شيء.

في كل مرة هددتك فيها، كنت في الواقع أصرخ: "لا تتركني!" كان يجب أن تضمّني، فقط... وتهمس لي: لن أرحل، فأهدأ وأفكر بعقلٍ صافٍ من جديد."

وأثناء قراءته للرسالة، بدت له فرح جالسة أمامه، ترتدي فستانًا أبيض وأسود يعود لزمن الستينات، وقبعة صغيرة وقفازات سوداء. بدت كنجمة سينمائية في حفلة تنكرية، تمسك بيدها قناعًا نصف وجهي. نظر إياد حوله، ليتحوّل منزله فجأة إلى قاعة احتفال. الجميع يرقصون بأقنعة، ومع ذلك تعرّف عليهم. كل امرأة هناك كانت تمثل ذكرى من ماضيه، ترقص مع رجلٍ لا يعرفه.

في ركن بعيد، لمح امرأة حزينة ترتدي فستانًا أسود وقبعة... كانت شيرين.

ثم رأى ملك، لكنها لم ترقص، بل كانت تقف إلى جوار طفلٍ بلا ملامح... ابنه الذي لم يستطع إياد أن يتخيل وجهه، فتركه العقل مفرغًا من التفاصيل.

وأخيرًا، سوزانا... كانت واقفة بجوار فرح، وفجأة لاحظ الشبه بينهما، كيف لم ينتبه لهذا من قبل؟ عاد بنظره إلى فرح، ذات الملامح العذبة والصوت الناعم، الهيئة التي لا تعكس عواصفها الداخلية.

وقفت فرح فجأة، فتوقفت الموسيقى، وحدّق الجميع نحوها. بدأت تغني بصوتها الشجي أغنية "ماقدرش ماحبكش" لشادية، موجهة كلماتها نحو إياد. ابتسم، وتذكّر حين أخبرته ذات مرة أن الغناء يمنحها عمرًا إضافيًا.

لم يفهم وقتها، لكنه الآن فهم.

أفاق إياد من شروده القصير، عاد إلى مكتبه، وفتح دفتره، وبدأ يكتب... ربما ليضيف، كما قالت فرح، عمرًا فوق عمره.

****

(79) ياسمين

بينما كنت أشاهد التلفاز، رنّ هاتفي. كانت سلمى على الخط، وهذا يعني أن عليّ أن أتهيأ لسماع فصل جديد من معاناتها. ورغم كل شيء، لا

يمكنني أن أتخلى عن صديقتي حين تحتاج إليّ، فأجبت المكالمة. جاءني صوتها خافتًا جدًا، وعندما طلبت منها أن ترفعه قليلاً، أجابتني.

- **ماقدرش أعلي صوتي، أصل الحكومة برة قاعدة وأخاف تسمعني**

- **مين الحكومة**

- **قصدي حماتي .. جات تزورني النهاردة هي وحمايا وأنا مش طايقة نفسي**

كنت أعلم أن العلاقة بين سلمى وأهل زوجها ليست على ما يرام، وأن مزاجها يتقلب بشكل ملحوظ في أيام زياراتهم، حتى أكثر من تقلبه في الأيام السابقة للدورة الشهرية. لذلك، توقعت أن اتصالها بي سببه رغبتها في التنفيس عن توترها.

كانت تشعر أن كل تصرفاتها تحت المجهر، وتبذل جهدًا كبيرًا لتفادي تعليقات حماتها التي لا تنتهي — عن نظافة المنزل، أو طريقة اعتنائها بطفلها، أو مظهرها، أو حتى مستوى طبخها.

ورغم كل محاولاتها، كانت حماتها دائمًا تجد شيئًا لتنتقده، فتشعر سلمى وكأنها تلميذة خائبة لا تنجح أبدًا في الامتحان.

ومع الوقت، قررت أن تتعامل مع الأمر بطريقة جديدة: أن تعتاد هذه التعليقات، وأن ترسم ابتسامة مصطنعة كلما بدأت حماتها بإلقاء محاضرة، بل وتشكرها على "نصائحها" بدعوى أنها تستفيد من خبرة السنوات.

لكن حتى تتقن هذا التمثيل وتظل متماسكة، كانت بحاجة إلى متنفس حقيقي تفرغ فيه مشاعرها... وهذا المتنفس كنتُ أنا، طبعًا.

- **تعبت يا ياسمين تعبت، من وقت ما جيت من الشغل وأنا واقفة على رجلي في المطبخ، وطبعاً مانمتش الضهر لإني ماينفعش أنام وأسيبهم وكل ده وأنا شايلة الولد على إيدي، ولما اليوم خلص وفريد نام، وقلت أريح بقى، الاقي حمايا معلي صوت التليفزيون على الآخر، لما أطلع وأطلب أوطيه ابقى كأني بربيه ومتضايقة منه**
- **سلمى إهدي .. واحدة واحدة .. الناس لما بتكبر بترجع زي الأطفال**
- **مش كفاية إني سبيت التليفزيون ليهم وأنا هموت وأشوف المسلسل**

قد يبدو ما قالته سلمى تافهًا للوهلة الأولى، لكنني فهمت تمامًا ما تعنيه، لأنها شرحت لي ذلك من قبل.

حين قضت وقتًا طويلاً بجانب حماها وحماتها أثناء مرضهما، تحملت وحدها مسؤولية المنزل ورعايتهما، منهكة، لكنها مضطرة لرسم ابتسامة دائمة كلما استقبلت ضيوفًا جاءوا للزيارة، وكأنها لا تشعر بشيء.

لم تجد حينها وسيلة لتنفيس ما بداخلها سوى المسلسلات، فبدلًا من أن تبكي وتُسأل عن سبب حزنها بنظرات الشفقة أو اللوم، كانت تكتفي بمشاهدة امرأة على الشاشة تبكي وتغضب وتفرض سيطرتها على الأشياء من حولها. وكانت ترتاح وكأنها هي مَن قامت بكل هذا نيابة عنها.

لهذا فهمت جيدًا كم كان التلفاز متنفّسها الوحيد، وكم كانت تضحية أن تتركه لهم.

أنهت سلمى المكالمة لشدة إرهاقها ورغبتها في النوم، أما أنا، فهاجمتني فكرة مفاجئة:

ماذا لو ماتت أمي وجاء المعزون؟ من سيقف بجانبي؟ ليس لي إخوة أشاركهم الموقف أو أتكئ عليهم.

هذه الفكرة وحدها كانت كفيلة بأن يشتد خفقان قلبي، وكأنني أركض دون توقف. لم أعد قادرة على التنفس أو التركيز فيما يُعرض على الشاشة.

لابد أن أجد حلاً لهذه الأعراض الجسدية... هذا القلق المتسلل إلى جسدي في صورة وجع حقيقي.

****

(80) عزاء هاني

ذهبتُ مع إنجي وسلمى ورانيا لحضور عزاء هاني، زوج شيرين.

بدت شيرين غارقة في حزن قاتم، مكتئبة بشكل يفوق توقعاتنا جميعًا.

بهتنا من شدة الأسى الذي يعلو ملامحها؛ لم نكن نتصور أنها ستنهار بهذا الشكل على زوج كان قد هجرها وخان ثقتها.

في لحظة صمت، اقتربت رانيا مني وهمست:

- **هي معذبة نفسها كدة ليه.. المرحوم ماكنش يستاهل تعمل ده كله يعني**

فأشارت لها أن تصمت حتى لا تسمعها شيرين الجالسة بالقرب

منا، ثم تدخلت انجي في الحديث قائلة

- **هي شيرين كدة بنت أصول .. ست من نوع مابقاش موجود دلوقت، سامحت جوزها مع انه خاين وفضلت جمبه في مرضه ودلوقت هتموت من الزعل عليه**

أجابتها سلمى

- **أنا لو مكانها وعرفت أن ماجد بيكلم واحدة تانية بس هاكله بسناني أكل**

وبحركة لا إرادية، اندفعت رانيا إلى الخلف بمجرد سماعها جملة سلمى،

وكأنها تحاول الاحتماء من شيء خفي باغتها فجأة.

ثم سرعان ما تداركت رد فعلها، وعدّلت جلستها بهدوء، وعادت إلى

وضعها الطبيعي دون أن يلحظ أحد ارتباكها.

حاولت إخفاء توترها بابتسامة مصطنعة، وقالت بنبرة خافتة:

- **كان واضح أنها بتحبه أوي .. لو مكانتش بتحبه كان زمانها اتطلقت منه من زمان**

أما شيرين، فرغم صمتها، كانت قد سمعت جزءاً من حديثنا عنها. لم

تحتمل الجلوس معنا أكثر، فذهبت إلى المطبخ بحجة إعداد القهوة.

لاحظت أنها تحمل شيئاً ثقيلاً بداخلها، فقررت اللحاق بها، وأخبرت الآخرين أنني سأساعدها.

دخلت المطبخ فوجدتها تبكي. ما إن رأتني حتى ارتمت في حضني وانهارت. كانت علاقتنا قريبة بما يكفي لتسمح لنفسها بالانهيار أمامي.

همست لي بصوت مختنق، تغمره الدموع:

- **أنا حاسة إني السبب في موته ..**

لم تكمل جملتها لأنها بكت ثم حاولت أن تتماسك لتقول لي

- **قبل ما يموت سمعته كلام يسم البدن، لومته على كل حاجة عملها.. بعدها بدقيتين لما دخلت عليه لاقيته مات**

في البداية، رغبتُ في توبيخها على ما فعلته، بدا تصرّفها متهوراً ويفتقر للحكمة. لكن ندمها، الذي كان يتدفق من عينيها، أخرس كلماتي، فلم أجد في نفسي سوى الرغبة في مواساتها. ومع ذلك، لم أستطع أن أتجاهل أن هناك شيئاً تخفيه... شيئاً يجعل ندمها أعمق مما يبدو.

في تلك اللحظة دخلت رانيا إلى المطبخ، فاغتنمت الفرصة لتغيير مسار الحديث، سألتها عن هبه، فأجابت:

- **بقيت كويسة دلوقت .. في الأول كانت رافضة الدوا بس دلوقت انتظمت عليه**

ثم طلبتُ من رانيا أن تأخذ شيرين لتقف مع هالة، أخت زوجها، التي كانت تتابعها بنظرات قلقة، بينما تولّيتُ أنا إعداد القهوة. أثناء حملي للصينية، بدأت أتأمل وجوه الحاضرين: إنجي، رانيا، سلمى... وفجأة، تسللت إلى عقلي فكرة مفزعة:

"ربما هذه هي نفس الملابس التي سيرتديها أصدقاؤك حين يأتون لعزاء والدتك."

انتفضتُ من داخلي، وحدثت نفسي بصرامة:

"ياسمين، اصحي! ده عزاء هاني، مش عزاء ماما... فوقي!"

أخذت نفساً عميقاً في محاولة لطرد الفكرة. وبعد انتهاء العزاء، قررت أن الوقت قد حان لأتخذ خطوات فعلية للتعامل مع هذه الأفكار المفاجئة، وما يصاحبها من نوبات خوف وهلع

(81) ياسمين

لا زلت أبحث عن حلّ لنوبات الهلع التي تطاردني منذ مرض والدتي.

هذه المرة، قررت أن أعتاد الأعراض... أن أُدرّب جسدي على أن يفهم:

ما يشعر به لن يقتله.

ذهبتُ إلى إحدى الملاهي القريبة، ووقفت أمام لعبة السقوط الحر، ذلك البرج المعدني الشاهق الذي يصعد بك إلى أعلى نقطة، ثم يهوى بك كما لو كنت عقرب ساعة يسقط دون توقف.

اشتريت تذكرة. اجتاحني الخوف وأنا أراقب اللعبة، وصرخات الناس التي تتعالى من حولها. فكرت أن أهرب. لكنني أجبرت نفسي على الصعود.

بخطى مترددة قطعت طريقي إلى المقعد، وأنفاسي متقطعة.

قلت لنفسي:

"سيسقط بك هذا البرج، سيخبرك عقلك أنك ستموتين، لكنك لن تموتي.

ستعلو ضربات قلبك، ستشعرين بأنك تلفظين أنفاسك الأخيرة، لكنك ستبقين على قيد الحياة."

جلست على المقعد إلى جوار آخرين يقودهم الحماس، أحكمت قبضة يديّ على الأذرع، أخذت نفساً عميقاً... وانطلق البرج.

مع أول سقوط، أغمضت عيني، ثم فتحتهما من جديد. بدأت الأعراض الجسدية المعهودة: خفقان، رجفة، انقباض في الصدر. لكنني أجبرت نفسي على تذكّر كل السيناريوهات المرعبة التي يخبرني بها عقلي: موت أمي، وحدتي، رغبتي في الحديث معها ولا أجدها. صرخت. لا من الخوف، بل من الحزن.

صرخت وصرخت، كأنني أُفرغ داخلي. ثم... وصلنا إلى الأرض بسلام. شعرت بأن طاقة جديدة قد اجتاحت جسدي. الأدرينالين يفيض بداخلي، وكأن جسدي يكافئني لأنني نجوت. دوامة من الخوف ثم الانتصار.

تكررت الدورات، ومع كل جولة، كان هناك ألم، لكنه مصحوب بارتياح غريب. انتهت اللعبة، لكن لم ينتهِ أثرها.

كانت تلك التجربة درساً لجسدي:

كل فكرة سوداء يقولها لك عقلك... قد تكون مزعجة، جارحة، مخيفة... لكنها لا تقتلك.

****

(82) هبه

في غرفتها، جلست هبة نصف جلسة مستندة إلى فراشها، تقاوم ثقل النعاس الذي يثقل جفونها منذ أن بدأت الانتظام في تناول جرعات

الدواء. تلك الجرعات التي سرقت منها قدرتها على العمل، واضطرتها إلى طلب إجازة من العيادة. أمامها، كان شبح لؤي يجلس كعادته. كانت ترى هيئته بوضوح رغم يقينها الآن بأنه غير حقيقي، لكنه ما زال جزءًا من عالمها.

تناولت هاتفها بخفة واتجهت إلى محرك البحث، تبحث عن تفاصيل جديدة عن مرضها. أصبح هذا البحث طقسًا يوميًا بالنسبة لها، محاولةً سد فجوة الأسئلة التي لا تتوقف عن الظهور في ذهنها. عرفت مجددًا أن السبب الجذري لمرضها لا يزال لغزًا، لكن الدراسات ترجح أن الجينات تلعب دورًا كبيرًا. أدركت أن مرضها مزمن، ولن تشفى منه أبدًا. ستظل مضطرة إلى تناول الدواء طوال حياتها، وسترافقها الهلوسات دائمًا. الدواء فقط سيمنحها القدرة على الفصل بين الواقع والوهم.

ومع ذلك، سؤال واحد ظل يطاردها: ما الذي يحدد طبيعة الهلوسات لدى كل مريض؟ لماذا هي بالتحديد هلوست بشخص مثل لؤي، فارس أحلام مثالي يحبها ويقدرها؟ هل لأن عقلها، المليء بالاحتياجات العاطفية، خلق لها صورة رجل يملأ هذا الفراغ؟ ربما كان هذا أفضل من الذين هلوست عقولهم بكونهم مطاردين من المخابرات، أو أن هناك عصابة تسعى لقتلهم، أو أنهم أنبياء مرسلون. هلوستها كانت أقل قسوة،

لقد جعلتها تقع في الحب فقط. ابتسم شبح لؤي الذي يجلس أمامها، فبادلته الابتسام، وخطر لها فجأة: ربما عقل كل مريض يصمم له وهمًا يعكس احتياجاته الحقيقية. من يشعر بالنقص يصدق أنه نبي، ومن يطلب الاهتمام يرى نفسه مطاردًا، ومن يعاني الوحدة، مثلها، يُبتلى بهلوسة الحب.

استعادت هبة شريط حياتها كاملاً. عرفت أن والدها كان شابًا ثريًا لكنه سيئ السمعة، غارقًا في ملذاته وإدمانه. قرر جدها أن الحل الوحيد لإصلاحه هو الزواج. هكذا تم اختيار والدتها لتكون العروس المثالية. لم تقابله أمها قبل الزواج سوى يوم العرس، وكانت ترى في ذلك فرصة للهرب من شبح العنوسة. وهكذا جاءت هبه إلى العالم نتيجة اتحاد خوف والدتها من العنوسة ووالدها من بطش جدها لكن الزواج لم يكن حلاً لأي منهما. توفي جدها بعد أسبوع من الزواج، وبعد شهر حملت أمها بها، ليتركها الأب ويطلقها، رافضًا مسؤوليتها.

لم تر هبة وجه أبيها قط. علمت لاحقًا أنه تزوج وأنجب أبناءً لم تشعر يومًا أنهم إخوتها، كما لم تشعر يومًا أن أباهم كان أباها. أما والدتها، فقد أظهرت شجاعة كبيرة، أكملت دراستها وحصلت على ليسانس الحقوق

وأصبحت محامية ناجحة. ومع ذلك، ظلت وصمة "المرأة بلا رجل" تلاحقها.

تذكرت هبة كيف كانت أمها تُستغل وتُعامل بازدراء أثناء محاولتها شراء شقتهم، وكيف حاول الجميع استغلال وضعها كامرأة وحيدة. حتى حين وقفت في وجه اعتداء لفظي من حارس العقار، نصحوها بالتنازل حفاظًا على سمعتها ومستقبل ابنتها. حينها، أدركت هبة درسًا قاسيًا: في هذا المجتمع، على المرأة أن تكون ضعيفة ليطمئن الرجل، حتى إن كان طيبًا. حتى أمها بدأت تطلب منها الخضوع لقواعد العالم الظالم. كان صوت والدتها يتردد في عقلها: لا ترفعي صوتك، لا تضحكي بصوت عالٍ، لا تمشي بثقة. يجب أن تنكمشي على نفسك، لأن العالم لن يغفر خطاياكِ. تعلمت هبة كيف يتهمها الجميع، لا لشيء إلا لأنها ابنة امرأة لا يحميها رجل. لكن هبة قررت التمرد. تمردت على كل شيء، حتى على القواعد التي فرضتها أمها والمجتمع. أصبحت حرة.

نظرت إلى لؤي، الذي اقترب منها، وابتسم قائلاً:

-حتى أنا تمردتِ عليّ.

ابتسمت لهبة لهلوساتها الصوتية، وقالت بهدوء:

ربما كنت بحاجة إلى رجل، لكن يبدو أن الرجل الوحيد الذي أحببته لم يوجد يومًا سوى في عقلي المضطرب.

****

(83) رانيا

في الفترة الأخيرة، ورغم انشغال رانيا بمرض هبة، إلا أنها لاحظت غياب نادر المفاجئ عن حياتها. لم تفهم لماذا ظهر، ولا لماذا اختفى. صمت هاتفها بات يزعجها، وكأنه يعلن انتهاء الرسائل من حبيب مُحتمل.

أغضبها تصرفه؛ شعرت وكأنها تُعامل كدجاجة محفوظة في الثلاجة، تنتظر من يُقرر طهيها لاحقًا!

وحين وصلتها رسالة جديدة منه يسأل فيها عن حالها، ترددت قبل أن تجيب. لم تسأله عن سبب اختفائه، لا لأنها لا تريد، بل لأنها لا تريد أن تُظهر له كم تأثرت. وهو بدوره لم يقدّم أي تبرير، وكأن شيئًا لم يكن.

كانت شخصية نادر تتكشف تدريجيًا أمام رانيا. بدا ثقيلاً في حديثه، بارد الظل، بعكسها هي — مرحة، خفيفة الدم، تُحب المزاح والضحك. لكنها تساءلت: هل ثقل الظل سبب كافٍ لرفض شخص؟

إن كانت تفكر فيه كعريس محتمل، فثقل الظل يُصبح ثانويًا أمام مزايا مهمة: لا يشرب، لا يطارد النساء، وله وظيفة مستقرة. تلك "الحصانة العُرفية" التي تمنحها الفتيات سريعًا للرجال المقبولين للزواج.

لهذا حاولت أن تبتلع نكاته الثقيلة في آخر مكالمة بينهما، تضحك رغم أن روحها لا تتحرك. وعاتبت نفسها في صمت: "أهذا هو الشخص الذي كنتِ تتمنين محادثته من خمسة عشر عامًا؟!"

ثم فاجأها نادر بعرض لقاء — دعوة مُغلّفة لتجديد "الود القديم". تهللت، وسرحت: "هل هو موعد غرامي؟ Date كما يقول الأجانب؟"

وافقت دون تردد. وبعد قليل، لمّحت لأمها من خلف باب غرفتها بعودة نادر إلى حياتها. حدثتها عنه، عن أهله الذين كانوا جيرانًا قدامى.

ابتسمت الأم. لم تقل شيئًا، لكنها سألت عن مهنته، وحياته، وسيرته... وقرأت رانيا في عينيها ما لم يُقال.

فكرت: ربما أُسعدها بهذا اللقاء...

أمي التي ترى فيّ مشروعها الفاشل.

أمي التي، مهما فعلتُ، لا ترى نجاحًا إلا إن اقترن بزواج.

أمي التي تجعلني أشعر أنني فشلت في الحياة... فقط لأنني لم أتزوج.

قالت رانيا لنفسها:

"لا بأس، سأقابل نادر، حتى لو تطلب الأمر استئصال المرارة لاحقًا بسبب نكاته. يكفيني أنه قد ينزع عني وصمة الفشل في عيونها... وربما في عيوني أنا أيضًا

(84) إياد

حاول إياد خلال الأيام الماضية الاتصال بسوزانا، وأرسل لها عدة رسائل، لكنها لم تفتحها حتى. تنهد وهو يقول في نفسه:

"من الطبيعي أن تختفي سوزانا فجأة من حياتي، فقد كنت أعلم أنها مُصابة بداء الملل... ذلك المرض الصامت الذي لا يُشفَى."

كان يرى أن المملين مثل السحب التي تُفاجئ سماءً صافية؛ تعكر صفوها ثم تختفي دون إنذار. تتقلب مشاعرهم كأمواج بحر هائج، يقتربون حين يثقلهم الفراغ، باحثين عن لحظة مبهجة أو وجه جديد، ثم يبتعدون سريعًا عندما يخفت الشغف، وكأنهم عصافير تنقض على فراشة ملونة فقط لتعود إلى قفصها بعد أن تزول المتعة.

هكذا كانت سوزانا؛ تقترب منه كمن يهرب من رتابته، ثم تختفي عندما تعود إلى رتابتها من جديد.

كان إياد يدرك، كما تدرك هي، أن العلاقة التي بلا تجديد لا تعيش، وأن الشغف يحتاج إلى وقود لا يملكه هو. لذا، لم يكن اختفاؤها مفاجئًا له.

وفيما لا يزال يفكر، رآها — لا، لم تكن سوزانا، بل فرح.

كانت تقبل عليه من باب شقته ببطن منتفخة، كأنها في شهرها الخامس أو السادس من الحمل، تحمل مجموعة من الأكياس وتبتسم بسعادة غامرة. سألها

- **بتعملِ إية.. وإية الحاجات دي**

- **دي حاجات جبتها لبيبي .. جبت هدوم ولبس ولعب وكمان كتب عن تربية.. أنا عايزة أكون أم كويسة، عايزة أكون إنسانة كويسة علشانه هو.. أنا مبسوطة أوي وأنا شايلة جوايا حياة جديدة**

أجابته فرح، تتحدث بسرعة كبيرة، وكأن الكلمات تتدافع من فمها من شدة الحماس، حتى تقطعت أنفاسها. ثم دخلت إلى غرفة النوم، ووضعت الأكياس التي كانت تحملها بعناية.

لحق بها إياد بخطوات مترددة نحو الغرفة المعتادة... لكنه توقف عند العتبة مذهولًا.

الغرفة لم تعد كما كانت. تحولت إلى غرفة أطفال.

سرير صغير في المنتصف، وجدران مزيّنة برسومات كرتونية زاهية الألوان، كأنها جزء من عالم خيالي لا يمت بصلة للواقع الذي يعرفه.

ظل إياد واقفًا، وعيناه تجولان في الغرفة كمن يبحث عن تفسير منطقي، بينما التفتت إليه فرح بابتسامة واسعة، وقالت بهدوء:

- **أنت كمان لازم تتغير عشان ابننا.. لازم تبطل سهر وتبطل شرب**
- **أنت موتي يا فرح وابننا كمان مات جواكي .. موتي بقى من جوايا، اطلعي برة عقلي بقى**

صرخ إياد محدثًا نفسه، كأن الصوت العالي وحده يملك القدرة على طرد أشباح عقله. وبالفعل، تبدد شبح فرح من الغرفة، وعادت الجدران إلى ألوانها الباهتة، الخالية من أي رسومات أو طفولة، خالية من الحياة.

خرج إلى صالة منزله. هناك، سمع ضحكات طفولية متقطعة وصوت كرة تصطدم بالأثاث. التفت، فرأى ابنه من ملك، يركض ويضحك بحرية وسط الصالة. نادته والدته من الداخل بصوت حازم، تحذّره من كسر زجاج المكتبة. ثم جاءت بالطعام الشهي، فجلس الطفل على السفرة بعد أن هدأ.

نظر إياد إلى المكتبة... سليمة. لم تُكسر. وحين أعاد النظر، لم يجد الطفل، ولا ملك، ولا السفرة، فقط صمت الغرفة ووحدته المعتادة.

جلس على الأريكة، يحدث نفسه:

ما بالي اليوم؟ لماذا تطاردني صور الأبناء؟

هو بالفعل أب، له ابن من ملك... فلماذا يهرب من هذا الدور؟ لماذا لا يرفع الهاتف ويتصل بها؟

أأنا ظمآن وأرفض أن أمدّ يدي للماء؟ أم أني أدمنت الجفاف؟

أمسك هاتفه وبحث عن حساب ملك، علّه يرى وجه ابنه، لكنه وجد نفسه محظورًا.

تجمد قلبه.

ملك وضعت أمامه خيارًا لا ثالث له:

إما أن يختار الأبوة كاملة،

أو ينسحب منها تمامًا.

وفجأة، سمع صوتًا يغني من خلفه.

استدار، فوجد سوزانا تغني له.

لكن، ألم تكن سوزانا هي من ترسم عادة؟

ثم رأى فرح ترسم لوحة! اختلطت الأدوار في رأسه.

وضع يديه على رأسه بشدة.

أفيق! هذا يكفي.

ثم رأى طفلاً صغيرًا يجري في الأفق، خلفه امرأة تلاحقه...

لكن الطفل لم يكن ابنه هذه المرة. كان هو.

والمرأة كانت والدته.

رآها تحتضنه، وتغمره بدفء غائب منذ سنوات طويلة.

ضحكت سوزانا من بعيد، وقالت:

"لقد كبرت بما فيه الكفاية لتتجاوز وفاة والدتك."

ردّ دون أن ينظر إلى طيفها:

"قد أكون شارفت الأربعين، لكني ما زلت أحتاج حضن أمي...

الإنسان لا يكف عن احتياجه لأمه مهما شاخ."

قاطع هذا الشرود شعور مفاجئ بالبرد.

تلفت حوله. الشتاء كان قد استقر، لكنه شعر ببرودة مختلفة...

برد داخلي، برد حزنٍ قديم لم يغادر قلبه منذ رحيل أمه.

ثم تذكر شيرين.

كان ثمة رابط خفي بين والدته وشيرين، رابط لا يستطيع تسميته،

لكنه كان كافيًا ليجعله يتصل بها.

في ذلك الوقت، كانت شيرين تجلس بصحبة هالة، بعد رحيل المعزين.

رأت اسم إياد على الهاتف، فاضطربت.

تسللت خارج الغرفة لترد، وبصوت حاولت أن تجعله خافتًا، خرجت منها

صرخة مكتومة، وقالت:

– عايز إيه؟

قالتها شيرين بنبرة حاولت أن تكون هادئة، لكنها خرجت كصرخة مكتومة.

رغب إياد أن يقول لها: "أشعر بالبرد... ذلك البرد الذي يُذكّرني بوحدتي منذ وفاة أمي، البرد الذي يجعلني أحتاج إلى عناقٍ دائم، إلى حضن لا يسأل ولا يُحاسب".

لكنه لم يستطع أن يُفصح عن كل هذا، فاختصر مشاعره كلها في كلمة واحدة:

– جعان.

ازداد غضب شيرين وقالت له بعصبية

- **أنت بتقول إيه .. انت بتكلمني دلوقت عشان تقولي أنك جعان.. أعملك إية**

ثم أغلقت الهاتف وذهبت إلى صالة منزلها حتى لا تشعر هالة بشيء، لم تفهم شيرين أن الجوع الذي يقصده إياد هو الجوع للاحتواء الذي كان يشعر به معها.

****

(85) شيرين

أربكت مكالمة إياد شيرين، وأدخلتها في حالة غير طبيعية، شعرت أنها بحاجة إلى البقاء بمفردها. كانت الساعة قد قاربت منتصف الليل،

وقد نام الأطفال ومعهم عمتهم هالة، فتسللت من المنزل بينما الجميع نيام، وتوجهت إلى منزل عائلتها.

كان البيت خالياً؛ فقد توفي والداها منذ سنوات، وهاجر أخوها الوحيد إلى كندا. بقيت شيرين وحدها، وهو ما كانت تريده، لتكون على حقيقتها.

أضاءت أنوار المنزل، وبدأت الذكريات تلاحقها: طفولتها، شبابها، خطبتها من هاني، زواجهما، إنجابهما، وفاة والديها، هجرة أخيها، هجران هاني، ثم عودته، ثم خيانته.

كل شيء عاد دفعة واحدة. تذكّرت عيني هاني قبل وفاته، لم تستطع إخراج نظراته الأخيرة من عقلها. أحسّت بحرقة في صدرها، بثقل يخنقها. وبينما تمشي، واجهت مرآة قديمة. نظرت إلى وجهها، كأنها تراه لأول مرة. من هذه؟ وجهها بدا غريبًا، كأنه ليس لها.

انطلقت الأصوات داخل عقلها: "أنتِ خائنة"، "نجسة"، "عشيقة"، ثم صوت إياد يناديها حبيبته، ونظرات هاني المتوسلة، وكلمات الناس في العزاء وهي تثني على إخلاصها، ثم صوت آخر يتهمها: "أنتِ قتلتيه".

سقطت على الأرض، وبدأت تصرخ ثم تنتحب، ولتهدأ هذا الضجيج الداخلي، انتزعت قطعة من المرآة، جرحت يدها، ثم نظرت إلى صدرها

الذي قبّله إياد وغرست فيه الشظية. دفعتها بقوة داخل جلدها، وبدأ الدم يسيل على صدرها وبطنها، وتلطخت ملابسها.

كان مشهد الدم كافيًا لتهدئتها. صدرها يعلو ويهبط، والدموع تنساب. رغم التجمّد، لم تشعر ببرودة الأرض تحتها.

نظرت أمامها، فرأت شخصياتها كلها مفككة: شيرين الموظفة الوقورة، الأم الحنونة أحيانًا، القاسية أحيانًا، الزوجة المخلصة، نورا العشيقة التي تبحث عن المتعة وترمم ما تبقى من أنوثتها. لم تعد تعرف من تكون. من أنتِ يا شيرين؟ من أنتِ؟

ظلّت متكورة على نفسها لساعات، حتى بدأت تستعيد وعيها. شعرت بالبرد، وتذكرت أنها يجب أن تعود قبل أن يستيقظ الأطفال أو هالة.

نظرت إلى ملابسها الملطخة بالدماء، فغسلت الجرح قدر المستطاع، وذهبت إلى غرفتها، أخرجت قطعة من ثياب الجامعة، وارتدتها. خرجت من البيت، وكان الصباح قد بزغ.

(86) ياسمين

في السادسة صباحاً، أيقظني صوت هاتفي. كانت شيرين. أخبرتني أنها واقفة أمام باب منزلي. للمرة الثانية تفاجئني بزيارة في مثل هذا الوقت من الصباح.

خرجت لاستقبالها بعين نصف مفتوحة. من هيئتها، أدركت أن هناك ما يُقلق: ملابس قديمة، غير مرتبة، بقع دم أعلى صدرها، وجهها شاحب.

قلت في نفسي: "استر يا رب".

غسلت وجهي، وأحضرت كوبين من القهوة. جلست شيرين، وعدّلت من وضعها لتجعل عينيها في عيني، كأنها تتهيأ لقول شيء ثقيل.

جمعت شجاعتها، ثم قالت

-فاكرة إياد اللي حكيت لك عنه؟

إياد؟... من هذا؟

ثم تذكرت، حين جاءتني شيرين في زيارة صباحية سابقة، ذكرت لي هذا الاسم. حاولت استرجاع التفاصيل... نعم، كانت قد قالت إن هناك شخصاً تعرفت عليه عبر الإنترنت. لكنها لم تخبرني حينها إلى أي مدى تطورت العلاقة. يبدو أن الأمر لم يكن مهماً بالنسبة لي وقتها حتى إنني نسيت اسمه تمامًا.

تُرى... هل تجاوزت العلاقة بينهما مجرد رسائل متبادلة؟

فسألتها:

- **هو انت لسة بتكلمي اللي اسمه إياد ده**
- **هو بيكلمني .. بعت لي الصبح مسدج**

أجابتني، وكانت رأسها مطأطأة كأنها مراهقة تعترف لوالدتها بعلاقة حب جمعتها بزميل لها. كيف وصلت شيرين إلى هذه الحالة؟

قدمت لي الهاتف لأرى الرسالة، لكنني سحبت الهاتف منها، رغبت في إنهاء هذه الحكاية السخيفة. لكن شيرين صرخت بي

- **هتعملي إية**
- **هعمله بلوك .. وهمسح كل أرقامه، إحنا مش فاضيين للعب العيال ده**

سحبت شيرين الهاتف من يدي وقالت

- **لا .. أنا رسايله هي اللي بتحسسني إني عايشة**

رميتها بنظرات غاضبة لكني حاولت تمالك نفسي وتفهم حالتها وسألتها مباشرةً

- **طب أنت عايزة مني إيه وجيت لي ليه**
- **أنا خايفة يكون هاني عرف .. أنا حاسة أنه عرف حاجة، نظراته ليا في أيامه الأخيرة مكانتش طبيعية**

قالت جملتها الأخيرة وهي تتلعثم في الكلام، بنفس أداء المراهقة التي تعترف لوالدتها، فسألتها:

- **هو قالك حاجة**

- **لا**

- **يبقى ماعرفش حاجة وكل دي تهيؤات منك**

بدت وكأنها تحاول قول شيء لكنها لم تستطع، فبدأت تبكي. كان بكاؤها متقطعًا، تقطعه محاولات يائسة للكلام، لكنها لم تكتمل إلى كلمات مفهومة، بل خرجت على هيئة أصوات غير واضحة. نظرتُ إلى صدرها مرة أخرى، فرأيت بقع الدم الصغيرة عليه، عندها تأكدت أن شيرين ليست في حالة طبيعية.

وأمام انهيارها النفسي، لم يسعني سوى أن أضمها وأربّت على كتفيها، لكنني لم أستطع أن أُبارك ما فعلَت. بقيتُ معلّقة بين نارين؛ فحالتها لا تحتمل النُصح الآن. انتظرت أن تهدأ، لكنها قضت ما يقارب النصف ساعة لا تفعل شيئًا سوى البكاء والنحيب بصوت عالٍ، حتى خشيت أن تسمعها والدتي. لم أتمكن من قول أي شيء.

وحين هدأت تمامًا ومسحت دموعها، همّت بالكلام، لكنها اكتفت بأن أخبرتني أنها يجب أن تعود إلى منزلها قبل أن يستيقظ أطفالها. احتضنتها مرة أخرى، ثم ذهبت، وتركتني عالقة في قلقي عليها.

****

(87) منزل شيرين

عادت شيرين أخيرًا إلى منزلها، لتجد هالة جالسة في صالون البيت تنتظرها بوجهٍ ممتقع وبادي الاستياء. لم تفهم هالة ما الذي يدفع شيرين إلى الخروج من المنزل ليلًا، خاصة بعد انتهاء عزاء أخيها. وقفت شيرين أمامها، فحدّقت فيها هالة مطولًا؛ وجهها شاحب، وشعرها غير مهندم، وملابسها قديمة لا تناسب مقاسها الآن، كما أن ألوانها لا تليق بأرملة

نظرت هالة إليها بنظرة حادة، ثم قالت:

- **ماكنتش فاكرة أنك مش هتلبسي أسود على اخويا**

نظرت شيرين إلى ملابسها وهي تكتشف ألوانها حيث ارتدت الملابس على عجلة دون أن تفكر في اختيار لون يناسب حالة الحداد، استطردت هالة قائلة

- **مساكين الولاد دول .. ملهمش حظ لا في أب ولا في أم.. فرقتي أية عن هاني لما تنزلي من بيتك في نص الليل، وانا اللي كنت فاكراكي عاقلة**

لم تكن شيرين في حالة تجعلها تحتمل تأنيب ضمير من أحد

فانفجرت غاضبة

- **أنت دلوقتي جاية تفكري في ولاد أخوكي .. هو أنت كنت تعرفي حاجة عنهم لما أخوكي مشي وسابنا .. فكرت تسألي عن أحوالنا ولا أزاي عايشين .. زي ما عيشنا واخوكي مش موجود .. هنعيش دلوقت .. وأنت كنت جاية تحضري عزا اخوكي واهو خلص خلاص فاتفضلي بقى من غير ما طرود .. ارجعي لبيتك وجوزك**

- **مسكين هاني كلنا ظلمناه لما ساب البيت وطفش .. بس كان له حق يطفش وهو متجوز واحدة زيك.. عموماً أنا ماشية .. كنت مستنياكي عشان اديكي الفلاشة دي اللي سابها هاني معايا أمانة ليكي انت والأولاد**

- **فيها إيه الفلاشة دي**

- **فيها كلام كان عايز يقولوا ليكي خلاني أسجله له واسيبهولك .. لو كان عندك وقت تقعدي معاه وماكنتيش بتخرجي وتسبيه كنتي عرفتي كان عايز يقولك اية**

قالت هالة ما قالته بغضب، إذ شعرت أن كرامتها أُهينت على يد شيرين. ثم خرجت من المنزل، وقد عقدت العزم ألا تعود إليه مرة أخرى.

جلست شيرين تنظر إلى الفلاشة التي تركها هاني، دون أن تملك الجرأة لتكتشف ما تحتويه. التفتت يمينًا فرأت أطفالها وقد أطلّوا برؤوسهم من غرفهم، يتنصتون إلى الحوار الذي دار بينها وبين عمتهم. صرخت فيهم بعصبية، فعادوا إلى غرفهم مسرعين.

أما هي، فبقيت غارقة في التفكير، ثم أرسلت رسالة إلى إياد تقول فيها إنها ترغب في مقابلته الآن.

****

(88) المكتب

بعدما غادرت شيرين منزلي ذهبت إلى المكتب، جاءت سلمى إلى المكتب وهي مبتهجة ومرتاحة وقالت لي

- **صباح الحرية والروقان**
- **طالما رايقة كدة .. يبقى أهل جوزك روحوا**
- **لقد خلقنا الله أحراراً ولن نستعبد بعد اليوم**

قالتها ثم ضحكت وبعدها جاءت رانيا وقد غيرت تسريحة شعرها وصففته على هيئة حلقات دائرية وكانت تبدو هي الأخرى سعيدة أكثر من المعتاد، يبدو أنه يوم مميز للجميع، ثم بدأنا نعمل وأثناء ذلك قاطعتنا سلمى قائلة

- **هو النهاردة الزمالك هيلعب**

لم تكن معلوماتي عن مباريات كرة القدم قوية لكنني يبدو أنني سمعت أحدًا يقول شيئًا من هذا القبيل فقلت

- **باين آه .. بس من امتى وأنت مهتمة بالكورة**
- **لو النهاردة الزمالك خسر .. ماجد هيتعكنن أوي**

قالتها جملتها الأخيرة بلهجة شامتة وكأنها تنتظر أن يتعكر صفو مزاج زوجها بفارغ الانتظار فقلت لها

- **وأنت ليكي في الكورة**
- **أنا ليا في أي حاجة تعكنن على ماجد**
- **سلمى .. أنت واخدة بالك انك بتتكلمي عن جوزك مش عدوك**

زفرت سلمى بعمق دون أن تُجيبني. لم أفهم يومًا طبيعة العلاقة بين المتزوجين؛ فمنذ شهرين فقط كانت تبكي وهي تحدثني لأن ماجد كُسر ذراعه، واليوم أراها وكأنها تنتظر أن يحدث له ما يضايقه!

أما رانيا، فلم تُشاركنا الحديث، إذ كان عقلها منشغلًا بالتفكير في فستان يناسب موعدها المرتقب مع نادر. خطر في بالها هبة، فذوقها في اختيار الفساتين راقٍ، لذا قررت زيارتها قبل الموعد المحدد.

****

(89) منزل إياد

كانت شيرين على عجلة حتى وصلت إلى بيت إياد، يقودها في داخلها شيئًا لا تستطيع تحديده، لكن الوقت الذي اختارته لم يكن يناسب إياد حتى أنها لم تتمهل لتسأله إن كان يناسبه أم لا، صُدم إياد عند استلام رسالتها وصُدم مرة أخرى حين وجدها أمام منزله.

نظر إياد إلى عيني شيرين بهما شيئاً مختلف اليوم عن المرات السابقة، كسرت الصمت بينهما قائلة

- **مش هتعزيني**

ارتبك إياد قبل أن يُجيب

- **البقية في حياتك ... هو جوزك مات**

ابتسمت شيرين ابتسامة لم يفهم مغزاها وقالت

- **ايوة .. يعني خلاص**

- **خلاص إية**

- **خلاص مابقتش ست متجوزة**

- **وده معناه إية**

- **نقدر نتجور**

كقنبلةٍ انفجرت في وجه إياد كانت كلمات شيرين تصدح في أذنيه. هو وشيرين لم يفكرا يومًا في الزواج، فكيف يكون موت زوجها الآن هو العائق الوحيد؟ هل رغبت فجأة في الزواج منه؟ ولماذا بعد وفاة زوجها مباشرة؟ ما بها اليوم؟

- **شيرين .. أنا مش هقدر أتجوز**

بنظرات انتصار وشماتة قالت

- **طبعاً مش هتقدر .. لإنك جبان ومش عايز تشيل أي مسؤولية، حتى ابنك اتخليت عنه، أنت اخرك واحدة زي سوزانا تعرف يومين وبعدين ترميك لما تزهق منك**

لم تكن شيرين جادة في طلب الزواج، بل أرادت فقط أن تضع إياد أمام مرآته، أو هكذا خُيّل لها. والآن، شعرت بحرية داخلية لم تعرفها منذ زمن، وكأنها نالت شيئًا ما، قبل أن تخبر إياد بقرارها.

- **مفيش داعي نعرف بعض تاني ونضيع وقت بعض اكتر من كدة، أنا مش هاجي هنا تاني وهعملك بلوك في كل حتة وانت كمان أعمل زي**

قبل أن تنطق شيرين بكلماتها الأخيرة لإياد، تلك التي أنهت بها علاقتهما، كان قد قرأها في عينيها. والآن فقط فهم ما الذي رآه فيهما حين دخلت عليه—ذلك الثبات الهادئ، الاستقرار الصامت، الذي لا يصاحبه رجعة.

لم تُعطه شيرين فرصة ليرد أو حتى ليودّعها، انصرفت في هدوء بعد زيارة لم تكتمل ربع ساعة.

وما إن أُغلق الباب خلفها، حتى أحاطت ذراع نسائية رقبة إياد وقبّلته.

كانت واحدة من بائعات الهوى اللواتي اعتاد استئجارهن ليتغلب على شعوره بالبرد والوحدة.

كانت قد اختبأت في غرفة نومه حتى تنصرف ضيفته المفاجئة.

استسلم إياد لحضنها، دون مقاومة. لم يعُد منذ زمن يحارب من أجل أحد أو شيء.

انغمس في حضنها، بينما صرخ داخله: "أريد حضن أمي."

****

(90) المكتب

قبل نهاية يوم العمل، أخبرتني إنجي أنها قد تأخذ الغد إجازة.

وحين سألتها عن السبب، قالت بحماسة كبيرة إنها ستزور طبيب التجميل.

أدهشني فرط حماسها لإزالة علامات التقدم في السن من وجهها.

لكن في داخلي، شعرت بشيء يشبه الفقد.

سأفتقد ملامح إنجي التي اعتدت عليها، تلك التي نشأت بيني وبينها رابطة عاطفية صامتة.

فسألتها

- **انجي .. أنت متأكدة من قرارك ده**
- **قرار إية يا ياسمين .. ماتكبريش الموضوع .. كل الستات بتعمل كدة دلوقت**
- **ولية كلهم بيعملوا كدة .. العادي أن سنين عمرنا تبان على وشنا.. وبعدين أنت مش بتشوفي الممثلات اللي تعابير وشهم بتقف لما بيعملوا الحاجات دي**
- **لية الستات بيعملوا كدة دي حاجة مش هتفهميها غير لما تكبري شوية.. وبعدين مانا دايما بصبغ شعري ومحدش قالي عايزة السن مايبانش عليكي .. وبعدين يا سيتي آه أنا عاوزة السن مايبانش عليا.. مش عايزة أبص في المراية وأشوف إني كبرت وان السنين جريت .. ياسمين أنا ماعشتش حياتي .. أنا لما بحاول أفتكر ذكرياتي مش بلاقي حاجة، أنا اتجوزت صغيرة وخلفت صغيرة واتطلقت صغيرة، وكنت بشتغل أكتر من 12 ساعة في اليوم .. كنت دايماً خايفة .. خايفة على ولادي خايفة من**

ميعاد دفع الفواتير .. خايفة امشي من شغلي في أي وقت .. هعيش ازاي وانا خايفة انا سنين حياتي ضاعت وانا مستنية حياتي بكره تبقى احسن عشان أعيش ولما جه بكره لاقيت إني كبرت، كبرت قبل ما أعيش

وبعد انفجارها العاطفي، صمتت دقيقة وطأطأت رأسها نحو الأرض، ثم قالت بنبرة أقل حدة من حديثها السابق

- **فوق ده كله دورتي الشهرية بتتلخبط .. وشكلي خلاص هدخل في سن اليأس**
- **انجي .. انت كدة محتاجة تروحي لدكتور أمراض نسا مش دكتور تجميل**
- **مش عايزة أروح .. مش هقدر أستحمل إني اسمع اني كبرت**
- **مش لازم يكون سن يأس مبكر .. ممكن مشكلة هرمونية .. ثم أنت عارفة محدش دلوقت بيقول كلمة سن يأس اكتشفوا أن التسمية دي ليها علاقة بنظرة العالم للست على أن أهميتها في قدرتها على الإنجاب .. لكن دلوقت العالم بقى شايف ان سن الأربعين ده سن نضوج المرأة**

ابتسمت انجي ساخرة من حديثي ومن محاولتي في رفع معنوياتها ثم قالت بنبرة صوت مطفأة

- **أنا لازم امشي دلوقت .. وانت هاتبقي مكاني بكره**

ابتسمت لها بدوري مودعة إياها بعد ما فهمت أن محاولات انجي في التحكم في مظهرها الخارجي ما هي إلا حيلة لإقناع نفسها أنها لم تكبر بعد.

****

(91) منزل ياسمين

عدت إلى منزلي بعد انتهاء يوم العمل، سمعت أصوات في الشقة وضحكات متقطعة في البداية اعتقدت أن والدتي تتحدث مع الممرضة الخاصة بها لكنها لم تكن الممرضة بل كانت شيرين.

عادت مرة أخرى لزيارتي في اليوم نفسه وهي بنفس الملابس التي رأيتها بها في الصباح لكن حالتها النفسية تغيرت، ظلت تحيك مع أحاديث وقصص عن موضوعات وشخوص مختلفة بشهية مفتوحة للحديث وكأنها عادت تواً إلى الحياة، حتى استأذنت والدتي وتركتنا بمفردنا وهي تهمس لي " صاحبتك رايقة أوي ولا كأن جوزها لسة ميت"، نظرت إلى شيرين محاولة فك لغزها متسائلة

- **في إية يا شيرين**
- **أنا لسة جاية من عند إياد .. وقطعت علاقتي بيه تماماً**

قالتها بحماس كبير وفرحة في عينيها

- **أنت هتجنيني يا شيرين .. لسة الصبح كنتِ بتقولي ليا أن رسايله هي اللي بتحسسك أنك عايشة ودلوقت جاية تقوليلي أنك قطعتي علاقتك بيه**

- **أنا لما جيت لك الصبح، جيت عشان تقوليلي لا اقطعي علاقتك بيه، كان نفسي تزعقلي وتقوليلي اللي بعمله غلط، لكن أنت ماعملتيش كدة، أنت بس حضنتيني**

ثم توقفت شيرين عن الكلام برهة وكأنها تعلق على ما حدث قالت

- **أنا مش عارفة أنا ازاي قدرت اعمل كدة فجأة .. أنا حتى ماكنتش مرتبة لحاجة**

- **مش مهم ازاي عملتي كدة .. المهم أنك خلاص هتفوقي لنفسك**

قلت جملتي الأخيرة وأنا اربت على ساقيها تشجيعا لها وأكملت

- **أنت دلوقت كل اللي مفروض تفكري فيه هو ولادك يا شيرين**

نظرت إلى الأرض وهي خجلة وقالت

- **أنا سايبة الولاد من بدري .. لازم ألحق أرجع البيت .. أنا فعلاً كنت مقصرة معاهم أوي الفترة اللي فاتت .. هما ملهمش غيري بعد ما هاني مات**

قالت كلامها وهي تستعد للرحيل لكني رأيت شيرين القديمة وهي تعود إلى نفسها وتخرج من الفوهة التي وضعت نفسها بها.

****

(92) منزل هبه

شعرت هبه بضربات خفيفة على جسدها وهي نائمة، مع صوت رانيا تدعوها للاستيقاظ قبل أن تحاول فتح عينيها، هبط عليها بعض من ملابس رانيا فوق رانيا فوق رأسها، حين فتحت عينيها أخيراً، رأت رانيا أمامها وهي تخرج جميع ما في خزينة غرفتها، باحثة عن تنورة ما تود ارتدائها اليوم في موعدها، ثم انهالت رانيا عليها بمجموعة من التساؤلات عن رأيها في شعرها وإلى أي مدى تتناسق ملابسها معاً، وهل تبدو جميلة بما تكفي أم بالغت في وضع زينتها، وسألتها هل تستطيع أن تستعير منها إحدى تنانيرها، أجابت هبه على جميع أسئلتها بالإيجاب، ثم فركت عينيها وحاولت أن تبصر جيداً، حتى استطاعت أخيراً أن تنهض من فراشها، بدأت في مساعدة رانيا في هندام ملابسها من الخلف وقالت

- **مفيش داعي لكل اللي عاملاه ده وانت لسة مش متأكدة إذا كان معجب بيكي ولا لا**

زفرت رانيا في ضيق وقالت

- **ولية هيطلب مني نتقابل إذا كان مش معجب بيا، وبعدين هو انت لسة قارشة ملحة الرجالة**

- **آه لسة عندي.. إية اللي حصل يخليني أغير رأيي فيهم، الرجل الوحيد اللي حبيته ومجرحنيش طلع موجود في عقلي بس**

استدارت رانيا إلى الإمام حتى تهندم لها هبه ملابسها من الأمام وهي تقول لهبه مترددة

- **على فكرةِ قبل ما اجي، لاقيت ماجد جوز سلمى باعت لي رسالة بيعتذر لي فيها على البلوك اللي عامله .. وقالي أنه كان متعصب وقتها**

قالتها رانيا بتردد وهي خائفة من رد فعل هبه التي سألتها فوراً

- **وانت عملتِ إية**
- **مردتش عليه**

أجابتها رانيا سريعًا كمن يدافع عن نفسه، ثم جلست حتى تضع لها هبه المكياج على وجهها ثم سألتها

- **هو أنت مبسوطة بإعجاب ماجد بيكي ..**
- **أية اللي بتقولي ده .. ده جوز صاحبتي**
- **ماهو يمكن لأنه جوز صاحبتك .. حاسة إنه فضل لك عليها**
- **أنت دايمًا كدة يا هبه.. مابتعرفيش تاخدي أي حاجة ببساطة.. هو بس صعبان عليا**

نظرت هبه إلى عينيها وهي تضع لها الكحل وقالت

- **مايصعكبش عليكي راجل يا حبيبتي .. فوقي يا رانيا .. إحنا بنات يعني نعرف من نظرة إذا كان الراجل اللي قدامنا مهتم بينا زيادة ولا عادي**
- **طالما إحنا بنات وبنعرف نجيب آخر الرجالة .. ليه مش مصدقاني لما بقولك نادر معجب بيا**

تركت هبه قلم الكحل من يديها وأحضرت قلم حمرة وبدأت تضعه على شفاه رانيا وهي تقول لها

- **لإن لما واحدة يبقى نفسها ترتبط أوي .. الرادر بتاعها بيبوظ ويبدأ يتهيأ لها حاجات**

انتهت هبة من تجميل رانيا، ثم أمسكت بحقيبتها وهمّت بالرحيل، غير أن هبة شدّدت عليها قبل انصرافها أن تأخذ كلامها بعين الاعتبار.

وبعد أن غادرت رانيا، استرجعت هبة شريط ذكرياتها مع الرجال؛ الذكريات التي دفعتها لرفع شعار: "لا تعاطف مع رجل، أيًّا كان".

جوزيف... كيف تنسى أول من غدر بها؟

أول صفعة من الحياة، رسمت داخل قلبها أولى تجاعيد الخذلان التي لا تُمحى.

كان زميلها في الجامعة، تلك المرحلة التي خرجت فيها من تحت جناح والدتها، تظن أنها قادرة على التأثير والتغيير بأفكارها حول المساواة الجندرية.

كان جوزيف شابًا نحيل الجسد، أبيض البشرة، قصير القامة، وصوته ناعم إلى حد ما، ما جعله مثارًا لسخرية زملائه من الشباب، فقد بدا في أعينهم أقرب للفتيات منه للرجال.

رأته هبة ضحية لمعايير المجتمع الجندرية، فاقتربت منه رأفة، وتوطدت علاقتهما حتى صارا صديقين.

روى لها يومًا عن "جانيت"، الفتاة التي أحبته بجنون وراحت تطارده في كل مكان، ثم اكتشف أنها "ليست فتاة جيدة".

كان لجوزيف تحفظات كثيرة تجاه الفتيات، وقد أدى هذا إلى كثير من الجدالات بينه وبين هبة، خاصة حين صار يتدخل في طريقتها في الكلام، وضحكتها، وملابسها.

قررت قطع علاقتها به، لكنه عاد وطلب منها الغفران، واعدًا ألا يتدخل مجددًا في ما لا يعنيه.

لاحقًا، علمت أنه يسيء الحديث عنها، يشيع أنها كانت تلاحقه وتتلاعب به.

تذكّرت حينها حكايته مع جانيت، وفهمت؛ هو يظن أن كل فتاة تلاحقه وتحاول الإيقاع به.

واجهته بما علمت، واحتد النقاش بينهما، حتى أصبحت مشاجرتهما حديث الكلية بأكملها.

ظنت أن الأمر انتهى عند هذا الحد، إلى أن بدأت تصلها رسائل تهديد من صديقه أشرف، على حسابها الشخصي، يتوعدها بـ"فضيحة" لأنها ضايقت صديقه.

انتشرت الأقاويل بين الطلبة عن محاولات هبة للإيقاع بجوزيف، ولم يكن أحد قادرًا على فهم دوافعها أو تصديق أفكارها.

حتى صديقاتها تقرّبن منها بدافع الفضول، لا بدافع الصداقة، بحثًا عن مادة للثرثرة.

في تلك اللحظة، فهمت هبة أسباب خوف والدتها من هذا المجتمع، وقيوده الكثيرة عليها.

وللمرة الأولى شعرت أنها بحاجة إلى رجل، رجل يحميها.

ذهبت إلى والدها، بعد سنوات من الهجران، متخيلة مشهدًا دراميًا من اللقاء، فيه يضمها، يبكي، ويطلب منها المغفرة على تركه لها ولوالدتها.

لكن اللقاء كان جافًا، خاليًا من كل مشاعر الأبوة أو الندم، لم يمنحها سوى نصائح باردة عن "الحدود بين الجنسين"، ولم يهتم لحمايتها.

ومنذ تلك اللحظة، توفي والدها داخل قلبها، قبل أن يموت فعليًا بعامين.

ولمّا مات، لم تجد دمعة تبكيها عليه.

أما جوزيف وصديقه أشرف، فقد عرفت لاحقًا أنهما كانا على علاقة حب سرية، وهو ما يفسر عدائية أشرف الشديدة تجاهها؛ كان يخشى أن تسرق منه حبيبه.

وانتهت القصة بانتهاء سنوات الدراسة، ولم يبقَ لهبة من الأصدقاء سوى رانيا.

ومن حينها، تعلّمت أن تخشى الرجل الوغد الواضح مرة، وأن تخشى الجبان الضعيف ألف مرة.

****

(93) ياسمين

حلّ المساء، ولا أعرف لماذا يصير الحزن أعمق فيه.

ربما هو هدوء المساء، الذي يفتح أبواب الذاكرة والمخاوف معًا.

اطمأننت على صحة والدتي، وتبادلنا الحديث عن تفاصيل يومي، ثم فجأة خطرت لي فكرة:

"يجب أن أعتاد من الآن ألا أشاركها بكل شيء... حتى إذا رحلت، لا يؤلمني غيابها كما يؤلمني الآن وجودها."

ثم شعرت بالذنب من هذه الفكرة.

باتت مشاعري ثقيلة جدًا كلما كنت بجانبها، فادّعيت أنني أريد النوم، وتركتها بعدما تناولت أدويتها وغفت.

أغلقت باب غرفتي وتناولت هاتفي، أبحث عن أي شيء يشتّت هذا الثقل.

العالم يغلي، كما يغلي قلبي.

تابعت مقاطع مؤلمة، وبكيت على الضحايا، وعلى من فقدوا أمهاتهم.

ثم انغمست أكثر، أفتش في مقاطع تحليلية تحاول تفسير ما يحدث.

أغرق رأسي بالمعلومات، وأحاول أن أُلهي خوفي الخاص بخوف أوسع، بعذابات البشرية كلها.

فجأة اهتز الهاتف بين يدي... اتصال من سلمى.

لا شك أنها تريد أن تشتكي.

لم أكن مستعدة لسيناريوهاتها التراجيدية المعتادة، لكن لمَ لا؟

ربما تكون شكواها وسيلة أخرى للهروب من أفكاري.

أجبتها، وبدأت تحكي ما حدث بينها وبين زوجها ماجد، ثم قالت بنفاد صبر...

- **خرج وسابني أتفلق كالعادة**
- **ودي أكتر حاجة بتعصبك كالعادة**

ثم رق صوتها وقالت

- **بس عارفة المرة دي أنا اللي نكدت عليه، قولت له كلام يسم البدن**
- **امممم**

تنهدت بملل من حديث سلمى لكني تركتها تكمل حديثها

- **أنا مش عارفة مالي، بقالي فترة كل ماشوفه بحس إني عايزة أضايقه، بقعد أفكره بالمصاريف والأقساط اللي عليه عشان عارفة إن ده بيضايقه، جوايا رغبة كبيرة إني أنكد عليه واشوفه متعكنن لغاية ما نتخانق**
- **حلو وشكلك خليته يتعكنن لغاية ما سابك لك البيت ومشي .. يعني حققت هدفك أهو**

وبصوت يشوبه الندم قالت

- **ماهو بعد ما الاقيه متضايق بيصعب عليا أوي، وأفتكر إن وراه هم ما يتلم وأنا والدنيا جايين عليه، بيصعب عليا أوي**
- **غريب الحب مين فاهمه**

انزعجت سلمى من لهجتي الساخرة وقالت

- **على فكرة يا ياسمين انت باردة اوي بجد، وأنا غلطانة إني بكلمك**

- **خلاص ماتكلمنيش تاني بسيطة**

- **مش هكلمك تاني**

قالتها بانزعاج، ثم أغلقت الهاتف.

لكنني كنت أعلم أنها ستكلمني مجددًا عند أول أزمة تقابلها.

أتذكر مرة تشاجرت فيها مع ماجد، لأنه كان يرى أنها تُدخلني في تفاصيل حياتهما الزوجية.

مسكين... لم يكن يعلم أن كل مرة تعود فيها سلمى لتعتذر وتُصالحه، كانت بعد أن أشرتُ عليها بذلك.

****

الطريقة الخامسة (استبدال الشعور)

ظلت سلمى منزعجة بعد مكالمتنا، لكنها لم تهتم كثيرًا بردة فعلي، فلم يشغلها سوى ماجد.

لم تكن قادرة على تحديد مشاعرها، أو لماذا تغضب منه بهذا الشكل.

ما لم تدركه سلمى أنها صارت تتمسك بالغضب، لأنه الشعور الوحيد الذي ما زال يربطها به.

بعد أن خمدت بينهما اللهفة، وبرَد الشوق، صار الغضب هو الخيط الأخير الذي يجمعهما.

كانت تخشى أن تفقد حتى هذا السخط، لأنه إن اختفى، فلن يبقى شيء.

حينها، يصبح الغضب من زوجها أهون من الفراغ الكامل... أهون من شعور الوحدة الذي سيبتلعها إن انفصلا شعوريًا تمامًا.

****

(94) رانيا

في هذه الأثناء، كانت رانيا تجلس بصحبة نادر في أحد المطاعم التي اختارها. أعجبتها فخامة المكان ورُقيّه، بدا كل شيء جميلًا ومثاليًا تمامًا كما كانت تحلم. المكان ملائم للمناسبة، وهي تبدو كالأميرات بفستانها وزينتها، لكن شيئًا واحدًا لم يكن متناغمًا مع الأجواء... نادر نفسه.

كانت هذه المرة الأولى التي تجتمع فيها رانيا مع نادر وجهًا لوجه منذ خمس عشرة سنة. اختار مطعمًا فخمًا بأسعار مرتفعة، كي لا يفوّت فرصة واحدة لاستعراض ما يملكه من مال. أخبرها بتكلفة كل شيء دفعه، من ثمن الحجز إلى فاتورة كل ما طلبته، ثم انتقل ليخبرها

بثمن سيارته ونوعها. لم يكتفِ بذلك، بل حاول التدليل على مدى ثقافته، فأخبرها بسعر آخر كتاب قرأه. وهكذا، اكتشفت رانيا أن نادر يربط قيمة كل شيء بما يُدفع فيه من مال، وكأن قراءة كتاب باهظ الثمن ستفيده أكثر من قراءة كتاب زهيد السعر.

ورغم ذلك، حاولت رانيا إقناع نفسها بأن هذه مجرد عيوب بسيطة يمكن التعايش معها. الأهم أنه ليس عاطلًا عن العمل، وليس مدمنًا، ومن عائلة محترمة. حاولت أيضًا أن تجاريه في نكاته السخيفة التي يكررها كل خمس دقائق.

سحبت رانيا نفسًا عميقًا وقالت في سرّها:

"إنه ثقيل الظل جدًا... لكن لا يهم، ربما سأعتاد نكاته لاحقًا."

وكلما تكلّم، حاولت هضم ما يقول بشرب الكثير من الماء والعصير، بينما ترسم ابتسامات مصطنعة، وهي تعاتب نفسها: "أليس هذا اللزج هو من أعجبتِ به وأنتِ بكامل قواكِ العقلية منذ خمس عشرة سنة ووددتِ محادثته؟ ها قد تحققت أمنيتك الآن."

انتهى اليوم أخيرًا، وعلى الرغم من اكتشاف رانيا مدى سخافة نادر، إلا أنها كانت سعيدة. فبالرغم من كل شيء، يكفي أنها

استشعرت إعجاب رجل بها. حتى وإن كان هذا الرجل مُحدَث نعمة وثقيلًا على القلب... لكنه رجلٌ معجبٌ بها، وهذا يكفي.

وقبل أن تنام تفحصت رانيا هاتفها جيداً لعلها تجد رسالة من نادر لكنها وجدت رسالة من ماجد بها طلب أن تسامحه وتقبل طلب الإضافة منه لكنها حذفت الطلب وتجاهلت رسالته ونامت.

....

(96) المكتب

في اليوم التالي، وأثناء العمل، بدأنا كعادتنا في تبادل الأحاديث عن أخبارنا.

وكانت إنجي محور الحديث بعد الإجراءات التجميلية التي خضعت لها.

كنت أشعر أن كل ما تمر به إنجي ليس سوى محاولة للهروب من أزمة منتصف العمر التي تسكنها.

لكن ما لفت انتباهنا أكثر هو حال شيرين.

رغم ملامح الحداد الظاهرة على مظهرها، إلا أن شيئًا بداخلها بدا وكأنه عاد للحياة.

لقد اعتدنا لسنوات على نسخة باهتة منها، لكن بعد أن وضعت حدًا لعلاقتها مع إياد، استعادت شيرين شعورها بأنها تتحكم في حياتها من جديد.

لم تعد تغيب عن الواقع في شرودها المعتاد، بل بدت أكثر حضورًا من ذي قبل.

شاركتنا الحديث، ضحكت، واهتمت بتفاصيل صغيرة كانت قد هجرتها.

على العكس مني... وكأن روحها القديمة خرجت منها وسكنتني.

لم أستطع الانخراط في أي حديث.

كان رأسي يعج بالأفكار، وصوت عقلي يعلو على كل الأصوات من حولي.

تحول إلى راديو يبث نشرات أخبار سيئة عن كل ما هو قادم، دون زر لإسكاته أو حتى خفض الصوت.

أما سلمى، فقد عادت مرة أخرى تفكر في طريقة لاستعادة زوجها.

تتأرجح يوميًا بين اليأس من زواجها، والرغبة في إصلاحه.

في كل مرة، تقول لنفسها إنها ستحاول للمرة الأخيرة، ثم تعود محمّلة بخيبة جديدة لا يمكن إخفاؤها.

وأخيرًا، رانيا.

ظلت تتفقد هاتفها بين الحين والآخر، علّ نادر أرسل رسالة، لكنها لم تجد سوى رسائل من هبة.

ورغم ذلك، لم تفقد الأمل.

فهو لا يزال يضع علامات إعجاب وقلوبًا على منشوراتها، وهذا وحده كان يكفي ليقنعها أنه ما زال يفكر بها.

****

(97) هبه

في محاولة من هبة للعودة إلى حياتها الطبيعية، قررت قطع إجازتها والعودة إلى العمل.

تحدّت آثار الدواء الجانبية، وعلى رأسها الرغبة الشديدة في النوم طوال اليوم، خاصة بعدما شعرت بتحسّن ملحوظ في حالتها المزاجية.

حتى خيالات لؤي التي كانت تحاصرها بدأت تتضاءل، فرغم أنه ظهر لها ثلاث مرات اليوم، بينها مرتان أثناء فحصها لمرضاها، إلا أنها استطاعت تجاهله دون أن يلاحظ أحد من زملائها أو المرضى شيئًا.

وبعد انتهاء العمل، توجهت هبة إلى طبيبها النفسي لمتابعة حالتها.

في الطريق، لاحظت تغيّر الطقس... الحرارة بدأت ترتفع والصيف على الأبواب.

شاهدت المتسولين يجلسون تحت أشعة الشمس الحارقة، فاستوقفتها الفكرة:

لماذا لا تشتري لهم مثلجات لتلطيف هذا الحر؟

دخلت محلًا واشترت كمية كبيرة، ووزعتها على كل متسول صادفته في طريقها.

وقبل أن تصل إلى العيادة، فكرت أن فريق العيادة قد يسعد هو الآخر ببعض المثلجات، خاصة في هذا الجو الحار.

فاشترت للجميع، حتى للطبيب نفسه.

عندما وصلت، روت لطبيبها ما فعلته وهي تضحك وتلقي النكات حتى في غير موضعها، ملابسها كانت أكثر صخبًا من المعتاد، وروحها مفرطة الحماس.

أصغى الطبيب لها باهتمام، لكنه بدأ يلاحظ علامات جعلته يتساءل في صمت:

هل ما تمر به هبة الآن مجرد تحسّن طبيعي؟

أم أنها في بداية نوبة جديدة من نوبات الهوس؟

****

(98) إياد

استيقظ إياد في اليوم التالي بألم شديد في رأسه، نتيجة تقطع النوم في الأيام الأخيرة.

حاول مقاومة رغبته في البقاء في الفراش والتحديق في هاتفه بلا هدف، ودفع نفسه للنهوض والقيام بشيء مفيد. فكّر أن يعود إلى روايته الجديدة، لكنه لم يستطع كتابة فقرة واحدة؛ كل مرة كانت يداه تصلان إلى الهاتف، كأنه ينتظر رسالة لن تأتي.

من ينتظر؟ شيرين؟ أم سوزانا؟

سوزانا تملأ ذهنه الآن، لكنه لا يعرف عنها شيئًا. تصفح حساباتها على مواقع التواصل، فوجدها جميعًا مغلقة. لم يفهم لماذا...

هل رغبت في الاختفاء؟

أم أنها لم تكن موجودة من الأساس؟

خطرت له فكرة غريبة:

ماذا لو كانت سوزانا مجرد خيال خلقه عقله ليتغلب على وحدته؟

رغم أن الفكرة غير منطقية، إلا أنها استحوذت على تفكيره تمامًا.

خرج لشراء بعض حاجياته، لكن بدلاً من الذهاب إلى السوق، وجد نفسه يتجه إلى مرسم سوزانا، ليتأكد من وجودها.

حين وصل، كان المكان كما يتذكره تمامًا، لكن أبوابه مغلقة.

اطمأن داخليًا أنها كانت موجودة بالفعل، وأنه لم يتوهم تلك الليلة التي قضاها هناك.

لكن ما لم يفهمه... كيف انتهى به الطريق إلى بيت والده؟

نزل من منزله وهو ينوي رؤية سوزانا، وها هو يقف الآن أمام منزل والده.

فتح الأب الباب، نظر إلى ابنه الذي لا يزوره إلا مرة كل أسبوعين، لنصف ساعة على الأكثر، وسأله بصوته المعتاد الجاف:

- **عاش مين شافك.. أخيرًا افتكرت أن لك أب**

- **كنت معدي من مكان قريب من هنا .. وقولت أجيب الأكل ونتغدا سوا**

لم يجد إياد حجة سوى تلك التي قالها لوالده، بعدما جاءه حاملًا بعض المشتريات. لم تكن زيارة والده من الأمور المحببة إلى قلبه، لكنه وجد نفسه أمام باب منزله دون قصد، وكأن قدميه قادتهما هناك.

بدأ في إعداد الطعام له ولوالده. سنوات الوحدة علمته الطهي، لكنه لم يكن يهوى سوى الوجبات السريعة، لنفاد صبره.

كان أحد أحلام مراهقته أن يصبح ممثلًا، وها هو الآن، في كل لقاء يجمعه بوالده، يختبر قدراته التمثيلية. لكنه لا يؤدي سوى دور واحد: الابن البار.

الابن المحب لأبيه المسن... الساخر دائمًا.

لم تتغير شخصية والده منذ صغره. لقد تفنّن في استخدام كل الأساليب التي تزرع في ابنه الشعور بالذنب، وتُشعره دومًا بأنه فاشل.

ربما لم يضربه يومًا، لكنه لم يمنحه يومًا شعور الرضا.

احتمل إياد ذلك في طفولته وشبابه، لانشغال والده الدائم بالعمل وغيابه المستمر.

ذكرياته عنه قليلة، لكنها محمّلة بالذنب.

الآن، وقد كبر الأب وفرغت حياته من المسؤوليات، لم يعد له سوى إياد.

ولم يعرف طريقة للتواصل معه سوى اللوم والعتاب.

ربما كانت هذه طريقته في التعبير عن وحدته، حين بدأ يشعر بأن العمر يُسرق منه، وربما إياد كان يدرك ذلك، وهذا ما جعله يتمسّك بدوره كممثل جيد.

ربما أيضًا، يحاول إياد أن يُخفي شعوره العميق بالذنب تجاه والده.

ذلك الشعور الذي يتسلل إليه كلما فكّر:

"ماذا لو كانت أمي هي من عاشت كل هذا العمر، وأبي هو من مات صغيرًا؟"

كم مرة راوده السؤال...

وكم مرة كتم الجواب، كي لا يشعر بالمزيد من الذنب.

لكنه اكتشف أن التمثيل مرهق.

مرهق جدًّا.

فكل مرة يلعب هذا الدور، يعود مستنزفًا حتى النخاع.

حاول والده فتح حوار معه... لكن على طريقته المعتادة،

فبدأ بتهكمه المعتاد على مهنته وسأله:

- **أنا حاولت أقرا الكلام اللي بتكتبه .. اللي قولتلي إنه عجب ناس كتير .. بس بصراحة كلام صايص ومالوش معنى**

- **عمومًا ده مش رأيك لوحدك**

- **أوعى تكون زعلت مني**

- **هزعل لية.. أنا كل يوم الصبح بصحى أقرأ مقالات بتقول نفس كلامك ده .. بس في ناس بتحب تشتري اللي بكتبه**

كان إياد يجيب تساؤلات والده وهو يضع الطعام على السفرة ويشير إلى والده بالجلوس معه، راسمًا على وجهه ابتسامة مصطنعة، وتقدم والده ناحية الطعام وهو يكمل حديثه

- **أكيد الناس اللي بتشتري دي دماغها مهوية.. يلا رزق الهبل على المجانين**

ثم ضحك والده، وضحك إياد معه، ضحكة خفيفة حاول بها مجاراته لا أكثر.

استرق النظر إلى هاتفه، يتحقق من الوقت... كم تبقّى؟ متى يمكنه أن يستأذن دون أن يبدو قاسيًا أو يُشعر والده بالخذلان؟

تناول الطعام بصمت، وأفكاره تزدحم:

"غدًا قد يموت أبي...

وسأشتاق إلى هذه اللحظات، تلك التي أقضيها الآن وأنا أعدّ الثواني كي تنتهي."

وهكذا بقي إياد محمّلاً بمشاعر متضاربة، مزيج من الذنب والرغبة في الفرار، جعلت زيارة والده عبئًا نفسيًا ثقيلًا، لا يعرف كيف يتخفف منه.

ظل ينظر إلى هاتفه من حين لآخر حتى قطعت نظرته صوت والده، وقد نهَره قائلًا بنبرة ضيق:

- **ما تسيب الزفت اللي في إيدك ده واحكي معايا**
- **معلش بس في مشاكل في الشغل بحاول أخلصها**
- **حاول ماتتأخرش عليا في الزيارة الجاية**

من متطلبات الممثل الجيد القدرة على الارتجال في اللحظات المناسبة، ولهذا قرر إياد أن يسأل والده عن ذكريات الماضي، فبدأ الأب يسهب في الحديث عن أمجاد الزمن الجميل. تركه إياد يتحدث، فقد وجد أن تمثيل دور المستمع الصامت أسهل من تمثيل دور المتكلم.

انتهيا من تناول الطعام، ثم أعد إياد الشاي وشاركه مع والده قبل أن يستعد للمغادرة. طلب منه والده أن يبقى لمشاهدة مباراة كرة قدم مسجلة، لكنه اعتذر بلطف لعدم اهتمامه بكرة القدم.

وعند خروجه، وقف والده عند الباب، وقال برجاء:

أجابه إياد بفتور

- **حاضر**

- **ويمكن مايبقاش في زيارة جاية، مش عايز أموت لوحدي**

سمع إياد هذه الجملة وهو خارج لكنه بعدها التفت إلى والده، ونظر إلى عينيه التي على الرغم من جمود ملامحه إلا أنهما كانتا تتوسلان إليه، فقال إياد حاضر لكن بلهجة واعده ألا تتركه وحيدًا

(99) شيرين

عادت شيرين إلى منزلها في نهاية اليوم، وحين هدأت اضطراباتها الداخلية، بدأت تكتشف العالم من حولها من جديد. رجعت تمارس أمومتها مع أطفالها، لكنها لاحظت انزواء تِلا عنها. في البداية، لم تهتم كثيرًا، ربما فكرت أنها ما زالت حزينة على والدها، لكنها شعرت لاحقًا بتشابه تصرفات تِلا معها بعد وفاة أبيها، ومع تصرفاتها مع والدها بعد عودته. كانت تتجنبها، تتهرب منها بنفس الطريقة.

فجأة، تذكرت شيرين ما قالته داخل المستشفى، مجرد الذكرى جعلت أطرافها ترتعش. ماذا يحدث معها؟ ثم خطر ببالها أمر الفلاشة التي أخذتها من هدى، كانت موضوعة على المكتب أمامها، لكنها لم تمتلك الجرأة الكافية لفتحها. ومع ذلك، كيف ستعرف ما بها إن لم تفعل؟ استجمعت ما تبقى من شجاعتها وشغّلت الفلاشة. وجدت بعض الفيديوهات بأسماء أطفالها، يبدو أن هاني كان يسجلها لهم. ثم عثرت على ملف يحمل اسمها، كتبه هاني لها. تساءلت: لماذا لم يترك لها فيديو مثل الأطفال؟ فتحت الملف، وبدأت تقرأ ما فيه..

شيرين، أو شيري كما كنت أحب تدليلك بهذا الاسم، لا أعرف لماذا أكتب لكِ. لم أستطع مواجهتك، فقررت أن أكتب لكِ، تمامًا كما كنت أفعل قديمًا حين كنت أرسل لكِ رسائل غرامية. أشعر بالوحدة كثيرًا مؤخرًا، حتى وأنا معكِ ومع الأولاد، أشعر أني وحيد. كنت أعتقد أنه حين أعود إليكم سأجد الدفء والأمان قبل أن أرحل، لكني لا أجد سوى البرودة."

تخيلت شيرين أن هاني ربما كان يبكي وهو يكتب هذه الكلمات. مَن يدري كم ذرف من الدموع دون أن ينتبه له أحد؟ ثم أكملت القراءة:

"إنني أقضي الكثير من الوقت بمفردي، رغم أنكِ تهتمين بي وتقومين على خدمتي، لكني لا أشعر بوجودك. لا تظني أني أكتب هذا لألومك، لا، صدقيني، لا أرغب في أي عتاب لكِ. أنا فقط أكتب لأنني أريد التخلص من الوقت. هذا الوقت، الذي كنت أشعر أني أملك القليل منه، أصبح الآن عبئًا ثقيلًا. لكني لا ألومك، أنا أكتب فقط لأخبرك أني سامحتك..."

حين قرأت شيرين هذا المقطع، انتفض قلبها وزادت ضرباته. على ماذا يسامحها هاني؟ هل علم بعلاقتها بإياد؟ كيف؟ ومتى؟ وإن لم يكن يقصد علاقتها بإياد، فلماذا يخبرها أنه سامحها؟

تابعت القراءة، لتجد أن هاني قد انتقل إلى موضوع آخر...

"أنا لستُ هاني الذي كنتِ تعرفينه يا شيرين، ذاك الذي يملأه الغرور دون سبب، ويثير الصخب في الحياة دون معنى. حين مرضت، اكتشفت مرضي الحقيقي؛ فالغرور أيضًا مرضٌ خبيث، يشبه السرطان، لا يسبب ألمًا أو وجعًا للمصاب به حتى يجتاحه تمامًا، فلا يعود يسيطر على نفسه. كنتُ الولد الوحيد لأمي، دللتني كثيرًا، وأشعرتني أني أهم شخص في الحياة، وهكذا صدّقتُ كذبها علي. كبرتُ وأنا أظن أني أملك كل شيء: الثروة، والذكاء، والوسامة. هل تذكرين حين أضعتُ أموالي؟ كان غروري يصور لي أن شخصًا مثلي لا يمكن أن يُخدع. وهكذا، كنت أظن أني أمتلك الحياة بأكملها، وحين تزوجنا شعرتُ أني أمتلكك وامتلكت أطفالي أيضاً. لذا، مللتُ سريعًا، وقررتُ أن أنطلق في مغامرة مجهولة مع شخصية متهورة مثل منى. كنتُ أود أن أتلهم الحياة، لم يكفني ما أخذتُ منها، وددتُ الحصول على المزيد والمزيد.

وحين عرفتُ بمرضي، واجهتُ لأول مرة حقيقة أن حياتي لم تكن ملكاً لي كما اعتقدت دائمًا. لكني، ويا لغروري، عدتُ إليكِ معتقدًا أنكِ وأطفالي لا تزالوا ملكي. كنتُ أظن، من فرط غروري، أن حياتكما ستتوقف حين أخبركِ بمرضي، وأن أولادي سيرتمون تحت قدميّ. لكني، يومًا بعد يوم، أدركت أن الإنسان لا يملك في هذه الحياة أي شيء؛ لا

صحة، ولا ثروة، ولا زوجة، ولا أولاد. لقد تمرد جسدي عليّ، وعصاني، ناسيًا كم كنتُ أهتم به في السابق. ثم تخليتِ عني أنتِ والأولاد. لم أكن في حياتكما أكثر من شخص تشفقون عليه، كضيفٍ غريبٍ يعيش بينكم. حينها، أدركتُ مدى ضعفي.

غريبٌ هو الإنسان... يعيش معتقدًا أنه شبيهُ الآلهة على الأرض، حتى يصطدم بحقيقته: أنه أضعف من سرابٍ يتلاشى مع النسيم، وأوهن من أثرِ خطوةٍ في مهب الريح. هكذا علمتُ مَن أنا. في البداية، غضبتُ منكِ ومن الأولاد غضبًا شديدًا، كنتُ ما زلتُ أعاني من فرط استحقاقي. لكني أدركتُ فيما بعد أنه لا أحد ينشد الغفران من الآخرين ولا يغفر لهم، فالغفران كعملةٍ ذات وجهين؛ من لا يستطيع أن يغفر لنفسه يعجز عن منح الغفران للآخرين، ومن لا يملك العفو للآخرين لن يجد السبيل لمسامحة ذاته. لذا، فأنا أقول لكِ إني قد غفرتُ لكِ يا شيرين... أنتِ والأولاد."

انتهت شيرين من قراءة كلمات هاني وقد سالت دموعها. تنهدت وهي تفكر في كلماته... لقد سامحها هاني، وكان غفرانه لها بمثابة شيكٍ على بياض لجميع خطاياها. ألا يجعلها ذلك تسامح نفسها؟ وتسامح هاني أيضًا؟ لقد أدركت أنها لن تستطيع مسامحة هاني دون أن تغفر

لنفسها أولًا، والعكس صحيح. فالغفران ميزان ذو كفتين، لا يستقيم إن أثقلت إحداهما وتركت الأخرى خاوية، ربما لذلك كانت قاسية على هاني في آخر أيامه وهي تعلم أنه كان في أمس الحاجة للدعم والمواساة، ربما كانت قسوتها على جميع مَن حولها نتيجة قسوتها على نفسها

لذا، قررت أن تغفر لنفسها، ولهاني... وحتى لإياد.

****

(100) ياسمين

دقات قلبي مرتفعة جدًا، وبالكاد أتنفس. ظلت الطفلة التي أمامي تبكي بحرقة، تلومني على فقدان والدتها. حاولتُ أن أهرب منها بكل الطرق، لكني لم أستطع. كانت نظرات المارة من حولي تتهمني جميعها، لم يفهم أحد. الطفلة ما زالت ترى والدتها كشبح يظهر أمامها، تعتقد أنها لم تتركها، تراها تقف بجانبي. ركضتُ مسرعة، محاوِلةً الابتعاد عن صراخ الطفلة، لكن صياحها ازداد. كيف لي أن أخبرها أن والدتها قد توفيت، وأن ما تراه ليس سوى شبح أمها الراحلة؟ شعرتُ بالاختناق... حتى استيقظتُ أخيرًا، وضربات قلبي تتسارع، أنفاسي متقطعة، وحلقي جاف. حلم. لقد كان حلمًا... بل كابوسًا.

حين أفقت، كان أول ما فعلته هو فتح هاتفي والبحث عن تفسير لهذا الحلم. توصلتُ إلى أن خوفي اللاوعي من فقدان أمي قد تجسَّد في فقدان هذه الطفلة لوالدتها، وأن محاولاتي للهروب منها لم تكن سوى محاولات للهروب من نفسي. والآن، بعد أن عرفتُ تفسير كابوسي، لم أفعل شيئًا سوى الاستمرار في الهروب. تصفحتُ الأخبار في هاتفي، وساعات مضت وأنا أوزِّع انتباهي على أخبار العالم المشتعلة، حتى أهرب من النار التي تتأجج داخلي.

****

الطريقة السادسة (الهروب)

لستُ في حاجة إلى شرحها، فهي طريقة تلقائية نستخدمها جميعًا بالفطرة. أحوِّل نظري عن خراب قلبي ودماره إلى خراب العالم من حولي، أنظر من خلال تلسكوب إلى أحزان العالم على أمل أن يصغر ألمي في عيني. أتشاجر مع أناس لا أعرفهم على مواقع التواصل الاجتماعي حول توافه الأمور، أغضب وأثور من الحياة والناس، ومن تردِّي مستوى الفن والذوق العام، وانحدار مستوى الكرة الوطنية، وانتشار الفساد والمحسوبية، ومشاكل البيئة، والأوبئة، والحروب... وهكذا يصبح خراب العالم ملاذي الوحيد من خوفي من الوحدة والفقدان.

****

(101) منزل هبه

كانت عينا هبة حمراوين من أثر دموع تكتمها، بينما رددت رانيا خلفها قائلة:

- **بايولار؟**

لكن هبة لم تتفاعل، فواصلت رانيا متسائلة:

- **يعني الدكتور اتأكد إن عندك *Bipolar*؟**

حركت هبة شفتيها بالكاد، وأجابت بصوت هامس:

- **حاولت رانيا أن تسترجع تصرفات هبة معها، ربما لاحظت تغيّر مزاجها من فرحٍ وحماس إلى حزنٍ وانزعاج، لكنها لم تتخيل أبدًا أن تكون هذه أعراض اضطراب نفسي.**

بحثت عن كلمات تخفف بها عن صديقتها، فقالت:

- **أنت عارفة أنا كنت اسمع معظم المبدعين كان عندهم اضطرابات زي كدة؟ عندك صلاح جاهين مثلًا.**

نظرت هبة إلى الأرض بعينين خاويتين من التأثر، وردّت بنفس نبرة صوتها الهادئة:

- **ويا ترى كان عنده فصام كمان؟**

حاولت رانيا أن تبدو حكيمة، فقالت:

- **أيا كان يا هبة، المهم إنك عرفتي مرضك، وكده هتقدري تتعالجي بدل ما يفضل مأثرعلى حياتك، وتعيشي حياة طبيعية.**

رفعت هبة نظرها إلى رانيا، وقالت بسخرية:

- **هي إيه الحياة الطبيعية دي يا رانيا؟ مانا كنت فاكرة إن عندي حياة طبيعية زيك، بس طلع إني بشوف ناس مش موجودة، بسمع حوارات ماحصلتش، حتى فرحتي وحزني طلعوا مش ضمن الحياة الطبيعية! أنا كنت فاكرا نفسي شبه كل الناس، بفرح وأحزن وأغضب زيهم، بس طلع كل ده حاجة اسمها نوبة هوس ونوبة اكتئاب! دلوقتي لو اتضايقت من حاجة، الناس هتقول دي نوبة الحزن، ولو اتعصبت هيقولوا: معلش، أصلها *Bipolar*!**

حاولت رانيا أن تهدئها، فردّت سريعًا:

- **مين دول اللي هيقولوا؟ مش لازم حد يعرف بمرضك!، دلوقت مفيش حاجة اهم منك ومن علاجك**

لكن هبة أغمضت عينيها فجأة واندفعت في بكاء هستيري.

شعرت رانيا أنها ربما دخلت فعلًا في نوبة اكتئاب، فقد كانت مرحة قبل أيام. ثم أدركت أنها تفكر بنفس الطريقة التي خشيت هبة أن يفكر بها الآخرون. اقتربت منها واحتضنتها في محاولة لمواساتها، لكن

هبة لم تكن تبكي خوفًا من حكم الآخرين، بل لأنها لم تعد تعرف من تكون. صارت مشاعرها تُصنَّف ضمن أعراض مرضها، فلم تعد تميّز أين ينتهي الاضطراب وأين تبدأ شخصيتها الحقيقية. تساءلت: هل يمكن أن يأتي يوم وتنتحر فيه كما قرأت عن هذا المرض أثناء بحثها على الإنترنت؟ هل ستتمرد عليها أفكارها ولن يردعها سوى جرعات الدواء؟ هكذا أصبحت تفكر هبة منذ أن عرفت بمرضها الثاني.

****

(102) سلمى

كعادة النساء منذ القدم، حين يحاولن إصلاح رجالهن، لجأت سلمى إلى فنون الإغواء التي توارثتها النساء عبر الأجيال كسلاح للبقاء. والآن، ها هي تستخدم أسلحة الأنوثة في محاولة لاستعادة زوجها وإنقاذ حياتها الزوجية. وكما تعلمت كل النساء في مثل هذه المواقف، انتقت ملابس تُبرز جمالها، ووضعت قليلًا من الحمرة على شفتيها وخديها، ثم جلست تنتظر عودة ماجد. مضت بينهما أيام من العواصف والخلافات، وشعرت سلمى كامرأة تخشى على بيتها، بالحاجة إلى الاقتراب مجددًا من زوجها. عندما عاد ماجد، وجدها في انتظاره، متزينة بملابس تزيدها فتنة، تحيط نفسها بهالة من الرقة والنعومة. لكنها سرعان ما أدركت أن الإغواء وحده

لم يكن كافيًا كما ظننت. فقد ظلت كلماتها السابقة عالقة في ذهنه، ومع تواتر الشجارات بينهما، أصبح ماجد يربط وجودها بالمشكلات والضيق والانزعاج. قرأت سلمى ذلك في ملامحه، وفي بروده تجاهها، فاقتربت منه قائلة..

- **أنا عارفة اني بقالي فترة بضغط عليك وبضايقك بكلامي.. بس أنا عايزاك تعرف إن خناقي معاك معناه إني لسة مهتمة، أنت عارف إيه الأسوأ من إني أتخانق معاك، إني أبطل اهتم.. إني مابقاش موجودة خالص**

فرك ماجد عينيه وتنفس بعمق. لطالما احترف الهروب طيلة حياته، لطالما تجنب المواجهات، لكنه في كل مرة يجد سلمى تستدرجه إلى ذات النقطة، ليجد نفسه محاصرًا بعشرات الأسئلة التي تنتظر إجابة. ربما كان عليه أن يتقن فن التمثيل والارتجال بدلًا من فن الهروب، حتى يتمكن من التعامل مع سلمى. والآن، لم يكن أمامه سوى خيارين: إما أن يخبرها بحقيقة مشاعره، لكنه لم يكن مستعدًا لتحمل وقع كلماته عليها وعلى حياتهما، أو أن يجاريها في هذه التمثيلية التي تظن أنها قد تصلح علاقتهما. لكنه لم يجد في نفسه القدرة على التظاهر بالابتسام أو مداعبتها وكأن شيئًا لم يكن، لذا لجأ

إلى وسيلته المعتادة—الهروب. تحجج برغبته في النوم، ربما يمكنهما الحديث غدًا.

لكن سلمى، بفطرتها الأنثوية، شعرت بتخليه عنها. انهارت أحلامها أمام عينيها، وأدركت أنها تخسر ماجد. لم تتركه ينام، بل أمسكت بيديه، ترجوه برقة صادقة هذه المرة، أن يتحدث، أن يقول أي شيء يمكن أن يساعدها. لديها رغبة حقيقية في التغيير، فقط لو يخبرها بما يزعجه. أمام توسلاتها، انهارت الجدران العازلة التي شيّدها حول مشاعره. نظر إليها وهي تبكي... من تكون هذه المرأة الجاثية أمامه؟ صوتها صوت حبيبته القديمة، ملامحها تشبه امرأة اعتاد عليها، جسدها يحمل ذاكرة إغواء قديم. لكنها لم تعد هي.

أصبحت أمًا لطفله، تحمل صندوق ذكرياته، مما جعل التخلي عنها أمرًا صعبًا. لكنه أيضًا لم يعد كما كان. هل تغيرت هي، أم أنه هو من تغير؟

جثا على ركبتيه ليقترب منها، مسح دموعها، وتهدج صوته وهو يقول بنبرة يظهر فيها كذبه

- **أنا مبسوط .. أنا مش عايز حاجة**

- **رغم أنك قدامي وجمبي لكن حاسة انك بعيد أوي .. نايم جمبي بس كإن في بينا مسافات .. انت مابقتش تحبني**

- **بحبك بس .. أنا مضغوط .. الشغل**

حاول ماجد أن يحيك بعض الأكاذيب لكنه لم يعرف وجد سلمى تسأله بعينيها أن يقول الحقيقة، تنهد وحاول

- **سلمى إحنا حياتنا مش زي مانت فاكرة، مش انك تلبسي قميص نوم وتحطي ماكياج دي حاجة هتحل مشاكلنا، يمكن دي حاجة كانت ممكن تنفع زمان لكن دلوقت، أنا مخنوقة يا سلمى، لما بدخل البيت بتخنق**

واستجمع شجاعته أكثر ليكمل ويقول

- **لما بشوفك بتخنق، حتى ابني .. أوقات بحس إني مش بحبه، أوقات بفكر إني اتسرعت في الجواز والخلفة، أنا من جوايا عارف إنك زوجة كويسة، عشان كدة مش بلومك .. أنا حتى مكسوف من نفسي وأنا بقول كدة .. بس ده اللي جوايا**

لم يفهم ماجد من أين جاءته تلك الشجاعة ليقول كل ذلك. شعر بثقل ينزاح عن صدره، لكنه في المقابل رأى الصدمة ترتسم على وجه سلمى. صمتت، وكأن عقلها يحاول استيعاب ما سمعته للتو. توقعت أن يشكو من شجاراتهما المستمرة، أو أن يعاتبها على شيء قالته،

لكنها لم تتخيل أبدًا أن يسمعها تعترف بأنه لا يحبها... بل إنه حتى لا يحب طفلهما.

وبينما كانت تحاول استيعاب وقع كلماته، ألقى قنبلة أخرى في وجهها وقال...

- **تفتكري ممكن الطلاق يكون حل**

في أحلك كوابيس سلمى لم تفكر أن يصل الأمر إلى الطلاق مطلقاً فتحركت شفتيها همساً متوسلة

- **لا لا**

بدأت دموع ماجد تتساقط، لم يفهم كيف خرجت منه تلك الكلمات القاسية.

هل في لحظة طيش سيخسر زوجته وابنه؟ الجميع يمرون بمشاكل في زواجهم، لكن لا أحد يترك أسرته لمجرد أنه غير سعيد. شعر برغبة يائسة في استعادة كلماته، في محو كل ما قاله قبل لحظات، في حماية بيته من الانهيار، في عدم التخلي عن المرأة التي شاركته مشواره.

نظر إلى وجه سلمى، رأى فيه حزنًا وصدمة لم يرهما من قبل. لم يستطع الاحتمال، فمد يديه ليحتضنها، كأنه يحاول لملمة ما تحطم بينهما. لكنها بدأت تبكي بحرقة، بين شهقاتها خرج صوتها مرتجفًا، قائلة.

- **بس أنا مش عايزاك تسيبني**

- **ولا أنا مش عايز أسيبك مش هقدر أصلاً**
- **إحنا هنصلح علاقتنا .. في حاجات كتير نقدر نعملها**

وهكذا، وجد ماجد وسلمى نفسيهما في دائرة من الطمأنينة المتبادلة، رغم هشاشتها. لم ترغب سلمى في تصديق ما سمعته، ولم يرغب ماجد في مواجهة تبعات كلماته. كانت الحقيقة قاسية، لكن مواجهتها أصعب.

ورغم أن السعادة لم تكن حاضرة بينهما، إلا أنهما أدركا، ولو بصمت، أن كلًا منهما يحتاج إلى الآخر بطريقة ما، ربما لا تشبه الحب الذي حلمت به سلمى، ولا الراحة التي تمناها ماجد، لكنها كانت رابطة لا يمكن لأي منهما إنكارها.

****

(103) إنجي

في نهاية اليوم، وجدت إنجي نفسها تطالع وجهها في المرآة. بدا أصغر كما أرادت، لكنه أصبح غريبًا عليها، لم تعتد عليه بعد. ورغم سعادتها الكبيرة بالتغيير، فإن ردود أفعال أولادها أزعجتها. لم تجد فيهم الحماس أو الفرح الذي كانت تتوقعه. ابنها في البداية سخر مما فعلته بوجهها، ثم تصرف كأن شيئًا لم يكن. أما ابنتها، فعلقت قائلة إنه لا داعي

لهذه الإجراءات، فوالدتها لم تكن بحاجة إليها. ثم انهالا عليها بطلباتهما الخاصة، وكأن شيئًا لم يتغير.

شعرت إنجي أن لا أحد يهتم بها حقًا. بدا كل ما يحدث لها بالنسبة لأولادها مجرد حدث ثانوي في حياتهم، التي تدور فقط حول أنفسهم واحتياجاتهم. نظرت إلى المرآة الصغيرة في غرفتها، تأملت وجهها مجددًا، ثم جسدها كله. مهما فعلت، لن يتغير سوى الطبقة الخارجية. إنها تكبر، وجسدها لم يعد يطيعها كما كان. الحياة تتسرب من بين يديها، لكنها ليست مستعدة بعد لأن تكون تلك المرأة المسنة، وليست جاهزة بعد لتوديع الحياة.

لكن... أليست هذه الحياة التي لطالما رفضتها قديمًا؟ أليست الحياة التي تمنت مغادرتها؟ ها هو الموت يقترب، وقد بدأت خلايا جسدها في التراجع، وبدأ الوهن يتسلل إليها استعدادًا للرحيل الكبير. انقضى العمر... ولم تعش حقًا. والآن، ها هي وحيدة، لا أحد يهتم بها حقًا.

وأثناء استغراقها في أفكارها، فتح ابنها الباب وهو يقول بلهجة آمرة:

- **عايز أكل**

لم ينتبه للحزن الواضح على وجهها، عيناه لم تفارقا هاتفه وهو يحادث صديقه. انفجرت إنجي قائلة:

- أنا تعبانة ومش قادرة أقوم .. الأكل عندك جوة

لم يُعر كلماتها اهتمامًا، وأعاد طلبه بجفاء. شعرت إنجي بأن لا أحد يهتم بها، حتى أولادها الذين أفنت عمرها من أجلهم. نكّست رأسها مستسلمة، وأعدت له الطعام، ثم نامت وهي تشعر أنها لم تعد موجودة حقًا... لم تعد سوى خيال إنسان يلبي طلبات الآخرين.

....

ربما تظن أن الأرواح الوحيدة تستطيع أن تبدد وحدتها حين تتعانق، لكن الحقيقة المُرّة أن الوحدة لا تتقاسم مع أحد. نحن وحيدون معًا، كلٌ أسير مخاوفه الدفينة، كلٌ عالق في احتياجاته التي لا صوت لها. قد نلمح الألم في عيني الآخر، قد نشعر بوجعه يتسلل إلينا، لكننا لا نحيا وحدته معه. فالوحدة وجع سري، لا يطاله إلا صاحبه.

أقرب الأمثلة ماجد وسلمى، ظلا قرب بعضهما خوفًا من الغياب، ومع ذلك كانت الوحدة تغلف كلاً منهما بطبقة خفية، كأنها وشاح من الحرير، ينطبق على الجسد، ينساب فوق ملامحه، لكنه يظل غريبًا عنه، لا يذوب فيه ولا يحتويه.

****

(104) رانيا

استيقظت رانيا في اليوم التالي على رسالة من نادر نصها يقول " بجد يا بخته، اللي أنتِ من نصيبه يا رانيا.. بصراحة أنا نفسي نكون سوا دايما" ابتسمت رانيا جداً بعد قراءتها للرسالة، وأخبرت هبه أن نادر أخيراً نطق بها، إنه يريدها في حياته، شاهدت هبه رسالتها لكنها لم تُجب عليها، فقد كانت تعاني من خمول شديد، ثم أخبرتها رانيا أنها قادمة إليها لتطمئن عليها، وربما تقضي يوم العطلة معها، وفي الطريق لمنزل هبه،

شعرت رانيا بسعادة غامرة، بدأت تنظر إلى حياتها ونفسها وتتأمل فساتين الزفاف الموضوعة أمامها وتتخيل حياتها الزوجية مع نادر.

****

(105) ياسمين

أما أنا فأثناء ذلك كنت أتفحص هاتفي حتى رأيت إعلان عن مسابقة تمثيل لدور جديد في مسرحية، وجدت نفسي أتحلى بجميع المواصفات الجسدية والعمرية المطلوبة للدور، وكان المطلوب تحضير مشهد وتمثيله، لم أعرف مَن أين جاءتني الشجاعة لملأ استمارة وانتظار تحديد الموعد، التمثيل إنه حلمي منذ الطفولة، بدا يلوح لي في الأفق من جديد، ولكن كان ما يمنعني دائماً هو رفض والدتي، ولكني في لحظة شجاعة نادرة، قررت التقديم وتحقيق حلم طفولتي، ولكن ما هو المشهد الذي سأدويه، فكرت كثيراً، هل أمثل مشهد من أحد الأفلام التي أحبها أم أستغل كوني كاتبة وأكتب مشهد خصيصاً لي، حسمت أمري وجلست أمام شاشة حاسوبي وبدأت أكتب المشهد.

****

(106) شيرين

أما شيرين، فقد كانت العطلة فرصة ثمينة لقضاء بعض الوقت مع أطفالها. كانوا قد مرّوا بفترة عصيبة منذ وفاة والدهم، وأصبحت شيرين منذ ذلك الحين أكثر انتباهاً لما يفعله أطفالها. يبدو أن يوسف يحمل عبئاً يفوق سنه، إذ لم يعرف أباً في البيت، ولم يرَ من والده سوى صورة رجل مريض عاجز، ثم رحيله المفاجئ.

أما تلا، فقد بدأت تتهرّب من التواجد مع والدتها، تلوذ بالصمت معظم الوقت، ولا تتحدث معها إلا في الضروريات. وإن أرادت الكلام أو المزاح، فلا تفعل ذلك إلا مع أخيها الأصغر، الذي أصبحت متعلقة به بشدة.

حاولت شيرين استيعابها، فاصطحبتهما معاً في نزهة إلى مدينة الملاهي. انصبّ حماس تلا ولعبها على أخيها، فيما كانت تتجاهل تماماً تعليقات والدتها على الألعاب، وكأنها لم تسمع شيئاً.

وعند عودتهم إلى المنزل، قررت تلا أن تأخذ صحن طعامها وتأكل بعيداً عن والدتها. شعرت شيرين بالضيق، لكنها تماسكت. وبعد الطعام، دخلت غرفة ابنتها التي كانت وحدها، وحاولت التحدث معها برقة، ثم اقتربت لتعانقها، لكن تلا ابتعدت عنها، فشعرت شيرين وكأن قلبها يتمزق. لم تكن تتخيل أن رفض ابنتها لحضنها قد يكون بهذا القدر من الإيلام.

وفي نهاية اليوم، وقفت شيرين أمام الحوض تغسل الأطباق، بينما تستعيد كل المواقف التي صدّتها فيها تلا منذ وفاة والدها. تساءلت في ألم: كيف لم تربط بين تلك التصرفات ومحاولات الهروب المستمرة؟ شعرت بحرقة في عينيها من دموع حاولت حبسها.

في تلك اللحظة، دخلت تلا إلى المطبخ تحمل كأس ماء. حاولت شيرين فتح حوار بسيط، وسألتها عن دراستها، لكن ردود تلا كانت مقتضبة، ولم تنظر إلى عيني والدتها، مما زاد من توتر شيرين، خاصة عندما تذكرت أن تلا كانت تعامل والدها بنفس هذه الطريقة في أيامه الأخيرة.

فكرت شيرين في إغرائها، فأخبرتها أنها تنوي شراء الهاتف الذي طالما رغبت فيه في عيد ميلادها الشهر المقبل. لمعت عينا تلا للحظة، ثم انطفأتا سريعاً ولم تُجب.

هنا، فقدت شيرين أعصابها وصرخت قائلة:

_ إنتِ ليه بتعملي فيّا كده؟ على فكرة، مش أنا اللي قلتلك تعاملي أبوكي وحش لغاية ما مات!

قالت ذلك معتقدة أن ابنتها تشعر بالذنب. احمرّت عينا تلا، لكنها ظلت صامتة، فأكملت شيرين:

_ تحبي ربنا ياخدني أنا كمان، عشان تزعلي عليّا وتتعدلي معايا؟

قالتها بصوت مبحوحٍ من شدّته، لكنها فجأة لاحظت أن ابنتها تبكي بشدة، ويداها ترتعشان من شدة الخوف. ورغم دموعها، لم يكن هناك سوى أنين مكتوم يخرج منها، عندها، أدركت شيرين تأثير كلماتها، وحاولت احتضان تلا لتهدئتها، لكنها وجدت جسدها متجمداً وأصابعها ترتجف. بقيت بجانبها حتى هدأت، لكنها رفضت مع ذلك أن تحضن والدتها.

بعد أن هدأت، دخلت تلا إلى غرفتها، ودخلت شيرين إلى الحمام، تنظر إلى وجهها في المرآة وتهمس:

_ غبية... غبية... كان المفروض تحتويها... إنتِ أمها يا غبية!

شعرت شيرين وقتها بأنها آذت ابنتها بشدة، وانهارت تبكي بصمت داخل الحمام حتى لا يراها أحد. وكما حدث مع تلا، تجمّد جسدها وارتعشت أصابعها هي الأخرى.

****

(107) منزل هبه

حين دخلت رانيا إلى غرفة هبه وجدتها نائمة كعادتها منذ بدأت تناول الدواء، أيقظتها كي تجلسا سوياً، اتكأت هبه بنصف عين وبدأت تعيد عليها رانيا نص رسالة نادر، فقالت هبه

- **يعني هي حتة الرسالة دي تستاهل كل الأزعرينة اللي عاملها دي وتصحيني من النوم عشانها، إية يعني نفسي نكون سوا دايماً دي**

- **تفتكري أنت لما واحد يقول لواحدة عايز نكون سوا على طول ده معناه إيه**

لم تجيبها هبه فقط رمقتها بنظرة استهزاء وهي تلوي شفتيها، ثم لاحظت رانيا أن هبه تشيح بنظراتها إلى جهة اليمين وكأنها ترى شيئاً فصاحت بها رانيا لتلفت انتباها

- **هبه !!!**

أعادها صوت رانيا من شرودها وقالت بعدم اهتمام

- **فيه إيه .. لؤي كان بيكلمني**

فابتسمت رانيا ابتسامة صفراء ثم التفت ناحية الفراغ الذي على الجانب الأيمن من فراش هبه وقالت ساخرة وهي تمد يديها بالسلام

- **أهلاً لؤي .. عامل إيه يا راجل مبتسألش**

فجذبتها هبه من كتفيها ووجهتها ناحية الجانب الأقصى من يمين فراشها لأنها كانت متوجهة ناحية الوسطى من الجانب الأيمن وهي تصحح لها

- **لؤي هنا .. مش هناك**

اعتذرت رانيا عن عدم تحديد الجهة الصحيحة التي يقف فيها لؤي ثم جلست مع هبه لتتحادثا في مسألة رسالة نادر وإلى أي مدى يمكن أن يكون جاد في رغبته من الارتباط بها، بدت رانيا متحمسة جداً، رسم سيناريوهات عن حياتهما سوياً أما هبه فلم تكن على نفس الدرجة من الحماسة، ربما لإنها في الفترة الأخيرة لم تعد تشعر بأي حماس من أي نوع تجاه أي شيء في الحياة.

****

(108) إياد

فتح إياد الباب، ولم يكن يتوقع أن يكون الزائر والده. حيث لم يعتاد على أن زيارة والده له، بل لم يكن معتاداً على أن خروج والده من منزله. كانت تلك الزيارة الأولى لشقة ابنه. شعر إياد بسحابة سوداء تتراكم على قلبه، ولم يعرف سبب هذا الشعور، لكنه لم يكن غريباً عليه، فقد شعر به سابقاً.

بدا وجه والده صافياً وبشوشاً، وابتسامة غريبة على وجهه. استقبله إياد بالترحاب، وحاول أن يخفي ملامح الصدمة من وجهه، واصطنع

ابتسامة ترحيب بدلاً منها. سأل إياد والده عما يريد أن يشرب، فجاوب سريعاً:

_ شاي طبعاً.

دخل إياد ليعد الشاي لوالده في المطبخ، بينما جلس والده أمام شاشة التلفاز يبحث عن الأخبار. لم يكن إياد يحب صوت التلفاز المرتفع، لكن والده لا يستطيع أن يسمع إلا بهذه الطريقة. لم يكتفِ والده بمجرد الاستماع إلى مذيع الأخبار، بل كان يعلق على كل خبر بصوت مرتفع، يأسف على حال الحياة.

جاء إياد بالشاي الذي طلبه والده، وبعد أول رشفة، عاب في صانعه. وكالعادة، والده لا يعجبه أي شيء يفعله، حتى لو كان كوب شاي. ومع ذلك، تناول منه واستمر في الشرب. ثم بدأ يتحدث عن زوجته الأولى، أم إياد، ثم زوجته الثانية التي تزوجها بعد وفاة والدة إياد، وبدأ يقارن بينهما في كل شيء، حتى وصل إلى المقارنة بينهما جنسياً. هنا شعر إياد ببعض الحرج أثناء سماع كلام أبيه، لكنه لم يقاطعه. ثم بدأ صوت أبيه يلين وهو يذكر موت كل منهما وبقاءه وحيداً.

ثم تحدث عن إياد، لكنه تحدث عنه بصيغة الغائب وكأن إياد ليس هو من يسمعه. أخبره أنه يحبه، وأنه فخور به، رغم جحود ابنه غير المبرر تجاهه وبروده نحوه. لم يعرف إياد بماذا يجيبه. هل يخبره أنه هو السبب في هذا البرود بينهما؟ كان سيشعر بأنه ظالم لو قال إن والده كان قاسياً معه. لإنه يعلم أن والده طيب القلب، لكنه لم يكن قريباً منه ولم يشعر بدفء حضنه يوماً.

ظل والده يتحدث عن ذكريات مع أشخاص مضوا، وإياد يستمع بصمت. حتى طلب منه والده أن يتركه ينام قليلاً، فسمح له إياد أن يدخل غرفته لينام في سريره.

وبعد ساعة ونصف، بدأ يشعر إياد بتلك السحابة السوداء التي كانت تظلل قلبه تزداد، ودقات قلبه تتسارع. كل شيء يبدو طبيعياً، ولا داعي للقلق. لماذا إذاً يشعر بالخنقة والخوف؟ يعلم أنه مرّ بنفس الحالة من قبل مع فرح. أخبره قلبه قبل أن يخبره الواقع بما حدث. شم رائحة الوداع في كلام والده، لم يكن حتى بحاجة إلى الذهاب ليحاول إيقاظ والده، كان يعلم أنه سيظل نائم دائماً، لقد جاءه لأنه خاف من الموت وحيداً.

وها قد مات في سرير ابنه، وبجانبه، وضع إياد رأسه على قلب والده وبكى، وشعر أنه قد حقق آخر أمنيات والده، لقد كان بجواره في وقت موته.

****

(109) رانيا

رفضت هبه اقتراح رانيا بالخروج في العطلة، فقد كانت تعاني من خمولٍ أثرَ الدواء، لذا بقيت هي ورانيا في المنزل. وأثناء عبث رانيا بهاتفها، توقفت فجأة، لم تتحرك، جمدت في مكانها. نظرت لها هبه بدهشة، متسائلة:

_ رانيا، رانيا.. مالك؟

لم تجب رانيا، بل ظلت على حالتها. أعادت هبه السؤال، لكنها أيضاً لم تجب. زاد قلق هبه عليها، فأخذت منها الهاتف، فوجدت صورة لرجل وامرأة في حفل خطبتهما. سألتها:

_ مين دول يا رانيا؟

وبصوت بالكاد يُسمع، أجابت:

_ ده نادر.

مرت ثوانٍ من الصمت الثقيل، قطعتها رانيا قائلة:

_ هو إزاي خطب؟ هبه، أنا وريتك الرسالة اللي بعتها النهارده...

قالتها رانيا بصوت نصف باكٍ، لا تزال عليه آثار الصدمة.

ضحكت هبه ضحكةً ساخرة خرجت منها رغمًا عنها:

_ يا بنتي، مانا ياما قولتلك، ولا مرة قال إنه معجب بيكي صراحة.

أجابت رانيا كمن يدافع عن نفسه بعصبية:

_ بس قالي: "نفسي نكون سوا دايمًا."

_ هتفضلي مغفلة دايمًا.. تاني مقلب تشربيه بنفس الطريقة؟

انفلتت أعصاب رانيا وصاحت في هبه:

_ هبه، ارحميني، أنا متضايقة دلوقتي!

قالتها وشبح دموع لاح في عينيها. شعرت أن هبه لا تفهم مشاعرها، فغادرت المنزل في الحال.

حين وصلت منزلها، نادتها والدتها، لكنها لم تجب. كانت الأم ترغب في أن تساعدها بشيء، لكنها لم تُجِب أيضاً. في تلك اللحظة، شعرت رانيا أنها انفصلت عن العالم من حولها. دخلت والدتها إلى غرفتها، وصاحت بها، وأتهمتها بأنها ابنة مهملة، لكن رانيا لم تجب

أيضاً. لاحظت الأم أن ابنتها تمر بشيء ما. حاولت فتح حديث معها، لكنها لم تستجب لمحاولاتها، فانصرفت على أن تعود لاحقًا.

انكبت رانيا على نفسها، الدموع تلمع في عينيها لكنها لا تسيل. سمعت صوت هاتفها يرن، كانت هبه تتصل بها، لكنها لم تشعر برغبة في محادثتها. كانت تعرف أن هبه ستقلل مما تشعر به، وستخبرها أنه لم يكن بينهما شيء يستحق كل هذا الحزن.

فجأة، تذكرت رانيا فادي. تذكرت وجعًا قديمًا يشبه هذا الألم ولكن أشد. علاقة حب دامت ثلاث سنوات، وانتهت بنفس الطريقة. لماذا يحدث هذا معها دائمًا؟ هل هي مغفلة كما قالت لها هبه؟ ربما.

قوست جسدها وتكورت حول نفسها مثل الجنين الذي يخشى الحياة. في مثل هذا الوقت سابقًا، كانت تشعر بصخرة فوق قلبها، وألمٍ يصرخِ من ساقها يمنعها من الحركة. لم يتأذَّ جسدها فعليًا، لكن ألم قلبها كان يوهنها كمن عاد من حربٍ خاسرة.

كانت أمها تناديها فلا تستطيع القيام، وكانت تطفئ الأنوار وتتكفئ على جسدها في الظلام، ثماني ساعات متواصلة. ظلت هكذا تشعر وكأنها تلقت ضربة قوية على رأسها. كان جسدها يتذكر الألم مثل قلبها وعقلها؛ حين تألمت، تألمت بجميعها.

أثناء ذلك، ارتفع صوت رنين هاتفها مجددًا، فقررت أن تجيب حتى تكف هبه عن الاتصال بها وتتركها وشأنها.

كانت هبه في هذه اللحظة قلقة حقًا عليها، وشعرت بتأنيب الضمير تجاه ردة فعلها الباردة. لم تكن تعلم أن رانيا كانت مهتمة بهذا القدر.

حين أجابت رانيا، سألتها هبه:

_ بتعيطي؟

_ لا.. بس نفسي أعيط، كأن الدموع محبوسة جوايا ومش راضية تطلع.

_ صدقيني، مايستاهلش دمعة واحدة من عينكِ.

ثم صمتت ثوانٍ، وتهدج صوت رانيا وقالت:

_ كنت لسه بفتكر لما من سبع سنين فادي عمل فيا كدة...

فأجابت هبه بعصبية:

_ إيه اللي فكرك بالواطي ده؟ أنت روحتي المطعم اللي شغال فيه؟

نفت رانيا وصوتها يتقطع من بكاء غير مكتمل:

_ لا.. مروحتش.

أشفقت عليها هبه، وطلبت منها أن تنام قليلاً وغدًا ستأتي لزيارتها، لكن رانيا أجابتها:

_ أنا مش هرتاح غير لما أتكلم معاه وأفهم منه.

_ لا، أوعي يا رانيا يا حبيبتي.. ماتقلليش من كرامتك.

قالت رانيا بإصرار:

_ عايزة أفهم.

_ طيب نامي دلوقت بس، وبكره نتكلم.

ثم أغلقت هبه الهاتف معها، لأنها شعرت أنها لا تستطيع مواصلة الكلام. ولأنها تذكرت فادي، أول شاب أعجبت به.

لم يدخلا معًا في علاقة حقيقية، لكنها كانت متأكدة من إعجابه بها. ومع مرور الوقت، شعرت أن فادي يتراجع. لم يكن قادرًا على مجاراتها في شجاعتها وقوتها، كان أمام هذه الشجاعة يدرك مدى جبنه، وأمام هذه القوة يشعر بضعفه. فانسحب بهدوء إلى رانيا، واختار ابنة خالتها دون أن يراعي قوة العلاقة بينهما.

كانت رانيا نموذجًا خاضعًا، تخشى أن تتركها يد حبيبها، لذا أعجب بها فادي. تحملت هبه بجلد رؤية تفاصيل هذه العلاقة عن قرب، حتى خان فادي رانيا، مثلما خان إعجابه بها. لم يكن يملك الشجاعة

الأدبية لإنهاء العلاقة بشرف، فتركها معلقة وارتبط بغيرها. وهكذا شعرت هبه أن فادي خانها مرتين. تأكدت من فكرتها: أن تخشى الرجل الوضيع الواضح مرة، وتخشى الرجل الضعيف الجبان مثل فادي وجوزيف ألف مرة.

****

(110) شيرين

في المساء، لم تستطع شيرين النوم. كان يومًا شاقًا عليها. فكّرت أن تحدثني. كنت حينها أراجع مشهدًا كتبته، بدا لي سخيفًا ومبتذلًا. فكّرت في إعادة كتابته من جديد، لكن شيرين قطعت حبل أفكاري حين اتصلت بي. في البداية ظلّت صامتة، لم تتكلم. لم أفهم ما بها، لكني سمعت شهقات خافتة على الطرف الآخر... كانت تبكي بصمت. وبعد لحظات، جمعت قواها وقالت بصوت أقرب إلى الهمس:

_ تلا... تلا...

فهمت أن الأمر يخص ابنتها، ويبدو أن الوضع صعب، فسألتها:

_ مالها تلا؟ في حاجة حصلت؟

ردّت بصوت مرتجف:

_ فاكرة لما قلتلك وقت العزاء، عن الكلام اللي قلته لهاني قبل ما يموت؟ وقتها تلا دخلت وإحنا بنحكي... أنا مش عارفة هي سمعت إيه...

ثم انقطع صوتها، وسمعت فقط بكاءها. حاولت أن تتمالك نفسها لتكمل:

_ بقت غريبة من ساعة ما أبوها مات. بتتجنب الكلام معايا، وبتتجاهلني كإني مش موجودة.

_ طيب، اهدي يا شيرين... اهدي.

_ انتي مش فاهمة... هي كانت بتعمل كده مع هاني. وأنا وقتها كنت عارفة إن اللي بتعمله بيأذيه، كنت عارفة بعقلي. بس دلوقتي... أنا حاسة اللي هاني كان حاسس بيه. أنا وقتها ماكنتش عارفة هو قد إيه بيتعذب...

ظلّت تحكي وتبكي، وتركتها تقول كل ما ترغب في قوله. لم أقدّم لها نصائح، كنت أعلم أنها لا تحتاج سوى إلى أن تتكلم، مثلها مثل أي متألم.

وحين هدأت، أنهت المكالمة. ثم ذهبت وأحضرت صور "تلا" وهي طفلة. كانت شيرين تحتضنها في الصورة؛ ذلك الحضن الذي حرمتها منه "تلا" الآن.

تساءلت شيرين: كيف لهؤلاء الصغار، الذين كانوا يخشون العالم خارج أحضاننا، وتتعلّق أيديهم الصغيرة بأيدينا طلبًا للأمان، أن يكبروا

حتى تضيق صدورهم عنّا؟ كيف يفلتون تلك اليد التي كانت يومًا مصدر الطمأنينة؟

تلك الصغيرة التي كانت تبكي في الماضي كي أحملها، كبرت الآن... وأعطتني ظهرها.

....

(111) المكتب

عدنا إلى المكتب بعد انتهاء العطلة. كنت أفكر في المشهد التمثيلي الذي سأقدمه، بينما بدت رانيا حزينة ومنكمشة على نفسها بعد أن كانت في غاية الحماس قبل العطلة. وشيرين كان وجهها غائم وحزين، أما سلمى فكان كلامها قليل كعادتها.

ثم قطعتُ الحديث وقلت:

_ عيد ميلاد إنجي قرب، وعايزين نحتفل بيها.

أجابتني سلمى:

_ أنتم عارفين، أنا مابعرفش أعمل مفاجآت، بس أنا معاكم في أي حاجة.

بينما كنت أنا وسلمى نتحدث، كانت رانيا غارقة في شيء ما، ولم تبدِ أي اهتمام بما نقول. كانت تبارك لنادر، الذي رد عليها وكأن شيئًا لم يكن. قررت أن تتحدث معه، وهذه المرة فضلت أن تواجهه، والمفاجأة أنه وافق على أن يتحدثا سويا.

أما شيرين، فقد قرأت خبر وفاة والد إياد على إحدى المواقع الإلكترونية، لكنها فضلت أن تتجاهل ما قرأت وتكمل حياتها كأنها لم تعرف إياد يوماً. خلال ذلك، اتفقتُ مع سلمى أن نحضر الكعك

والحلويات ونذهب إلى منزل إنجي يوم ميلادها للاحتفال معها. وعرضنا على رانيا وشيرين أن يشاركننا يومها، فوافقتا.

****

(112) إياد

بعد انتهاء عزاء والد إياد، عاد إلى بيته، وحين فتح هاتفه وجد عددًا من رسائل التعزية الكثيرة، وكذلك بعض المنشورات على صفحته لتعزيته من أصدقاء لم يستطيعوا الحضور. لم يهتم بأي منهم. بَقِي وحيدًا داخل المنزل، لم يرغب في إنارة الضوء، ظل جالسًا في إضاءة خافتة، وأرخى جسده على الأريكة، محاولًا أن يرخي كتفيه كأنه يزيح حملًا ثقيلًا عنهما.

تزاحمت الذكريات في عقله، وعرضت عليه صورًا وأصواتًا لوالده، ثم تداخلت معها صورة فرح، ثم والدته، وهكذا ظل يلف عقله. ثم انتبه إلى أنه لم يأكل شيئًا طيلة اليوم، فنهض ليُعد بعض الطعام، لا ليشبع جوعه، بل حتى لا تخور قواه. وكعادته، لم يكن يتذكر أن يُحضِر ما يحتاج من مكونات لصنع ما يرغب من طعام، فذهب خارج المطبخ لكنه نسي أن يُغلق الغاز الطبيعي. تذكر شيرين، ورغب في محادثتها في هذا الوقت تحديدًا. وبالرغم من علمه أنها لن تجيبه، اتصل بها، وبالفعل لم

تجب. إن شيرين "أم"، وكل أم تذهب ولا تعود، هذا ما قاله لنفسه، وفهم حينها لماذا كان هناك رابط خفي بين شيرين وأمه. أثناء هذا كله، تسرب الغاز داخل الشقة. في البداية، لم يلاحظ إياد لانغماسه داخل ذكرياته، ثم بدأ ينتبه لوجوده. لكن في لحظة ما، قرر ألا يفعل شيئًا، وظل جالسًا على الأريكة بصمت، غارقًا في ظلامه.

وبعد مرور نصف ساعة، جاءته رسالة: "افتح.. أنا قدام باب شقتك."

لم يُصدّق عيناه... لقد عادت سوزانا

سحب أقدامه بالرغم من الدوار الذي يشعر به، لكنه استطاع فتح الباب لها.

وحين رآها، اختل توازنه وسقط بين أحضانها من أثر الدوخة التي يشعر بها. شمت سوزانا على الفور رائحة الغاز، ذهبت سريعًا لتهوية الشقة وفتح نوافذها، تاركة إياد مُلقى على الأريكة، حتى عادت وهي تحتضنه وتصرخ:

– أنت مجنون.. كنت عايز تموت! كنت هتتخنق أو الشقة هتولع!

وبعد عدة دقائق تنفّس فيهم إياد، أدرك ماذا كان مزمعًا أن يفعل بنفسه، فذهب إلى سوزانا وارتمى برأسه على صدرها وبكى كأنه الطفل الذي كانه حين توفيت والدته، قائلًا:

– الوحدة كانت هتقتلني.. اتزاحمت عليا شياطين عقلي من غير ما ترحمني.. لاقيت نفسي غرقان جوا دوامة من الأفكار.. كنت لوحدي.

ساعدته سوزانا أن ينهض ويعتدل في جلسته، أمالت رأسه إلى الخلف حتى يستطيع التنفس جيدًا، وقالت:

– أنت بس مكتئب عشان موت والدك.

– عرفتي إزاي؟

– عرفت من خبر مكتوب عنك.

بعد مرور نصف ساعة أخرى، شعر إياد بتحسن ملحوظ، وقد تسرب الغاز من الشقة. صنعت له سوزانا كوبًا من القهوة، ثم قال لها وهو أكثر هدوءًا واتزانًا:

– أنتِ كنتِ فين كل المدة دي؟ حتى قفلتي كل السوشيال بتاعك لدرجة إني فكرت إنك كنتِ خيال في دماغي، لولا إني روحت وشفت المرسم بتاعك مقفول، وافتكرت إني بِتّ فيه ليلة كاملة.

قاطعته سوزانا بسؤال مباغت:

– اشتقت ليا؟

– كان نفسي يبقى عندي الحق أقولك: ماتختفيش كل ده وتسيبيني.

ابتسمت سوزانا، لكن هذه المرة كانت ابتسامتها مختلفة عن كل مرة ابتسمت أو ضحكت فيها، كانت ابتسامة هادئة وصافية حقًا. ثم أكملت قائلة:

– شكلك هتشتاقلي كتير. أنا هسافر رحلة أطول، ومش هفتح سوشيال غير كل فين وفين.. أو يمكن ما فتحش أصلًا.

– ليه؟ هتروحي فين؟ وأصلًا كنتِ فين؟

– كنت باخد دورات تمريض.

رفع إياد أحد حاجبيه من شدة دهشته، وقال:

– تمريض إيه؟ مالك ومال الكلام ده!

– لما سافرت فرنسا، قررت أعمل حاجة جديدة. اتطوعت مع هيئة أطباء بلا حدود، اللي بتساعد المصابين في الأماكن اللي فيها حروب وبكره هسافر معاهم. هنروح اليمن، وبعدين سوريا، ويمكن نطلع بعدين على غزة نساعد المصابين هناك.

ضحك إياد ساخرًا منها، وقال:

– أنتِ فاكرة إنك تقدري تستحملي الحياة في الأماكن دي؟! ثم ليه أصلًا تروحي هناك؟! مانتِ عندك كل حاجة هنا، واحدة زيك مش ناقصها حاجة. ليه تعملي في نفسك كده؟! ثم إنتِ يا سوزانا عيشتي حياتك كلها مترفّه.. مستحيل تستحملي الحياة في الحرب. دي حرب مش لعبة جديدة تتسلي بيها.

ابتسمت سوزانا برقة، وقالت:

– ناقصني إيه هنا؟ أنا ناقصني كل حاجة هنا. أنت عارف، أنا دايمًا أسمع عن السعادة، لكن ولا مرة قدرت أعرف معناها. ومن شهرين بس عرفت يعني إيه سعادة، كأني اكتشفت إني طول حياتي ماكنتش بشرب ميّة، وبعدين اكتشفت إن في ميّة حقيقية، وإني قضيت حياتي وأنا بشرب عصاير. أنا لاقيت سعادتي هناك وهكمل. أنا جيت بس عشان أوعدك.. لإنك صديقي.

ابتسم إياد حين قالت "صديقي"، لأن علاقتهما لم يكن لها شكل محدد، فاختارت لفظ "صداقة" لأنه لفظ واسع فضفاض يمكن أن يضم تحته أي نوع من العلاقات. وعلى الرغم من عدم إيمانه بقدرة سوزانا على عيش تلك الحياة الجديدة التي اختارتها لنفسها، إلا أنه رأى في عينيها نظرة مختلفة عمّا كان يراها من قبل، كأن حاجزًا زجاجيًا كان دايمًا يحول بين نظرتها للأشياء قد انكسر، وظهرت نظرة جديدة مليئة بالحياة والصدق.

ثم أتت ووضعت قبلة أخوية على خده، فابتسم إياد مرة أخرى لسلوكها، ثم تركها ترحل. وقبل أن تخطو من عتبة الباب نظرت له وقالت بخفة:

– معلش بقى هبوّظلك الرواية اللي بتكتبها عني.

– إنتِ دمّرتيها كلها.

قالها وهو يبتسم وينظر إلى سوزانا وهي تخرج من المنزل نهائيًا:

– هو أنا مش هشوفك تاني؟

خرجت الجملة منه رغماً عنه، بصوت أقرب إلى الرجاء منه إلى السؤال. ابتسمت سوزانا ابتسامة هادئة، وقالت ما لم يتوقعه إياد:

– هقابلك في الجنة.

ثم ذهبت واختفت من أمام ناظريه لكنه ظل يسمع وقع أقدامها يبتعد عنه، لم يفهم جوابها، وظل يُكمل محادثة خيالية معها في ذهنه:

– مسكينة يا سوزانا.. هل تعتقدي إني بدونك أنهار؟ لستُ ابن العشرين الواهم الذي يظن أنه يموت من الحب. لقد أحببتُ فتاة ثلاث سنوات متواصلة، اعتقدتُ إني سأحبها للموت، والآن لا أذكرها. كان قلبي كلما رآها تزداد سرعة دقاته، والآن لا يتحرك لي ساكنًا إن رأيتها.

– مسكين أنت.. تظن أن الحياة تدور حواليك، لقد خرجتُ من دنياك إلى دُنياي، من السجن إلى الحرية، إلى الشمس التي تشرق كل يوم، ولن أعود.

– أجبيني يا سوزانا، هل كنتِ حقيقية أم أنا خيالي نسجك لتنقذيني من وحدتي؟

– لن تحبسني في عقلك مثل باقي شخصياتك الروائية، سأتحكم في وجودي، حتى وإن فكرتَ فيّ ذهنًا.

– إنه ذهني أنا يا سوزانا، أنا هنا صاحب السلطة المطلقة، وأنتِ صورة في عقلي، أستدعيها متى شئت.

– ...

– سوزانا.. لماذا لا تُجيبين؟

– ...

– أين أنتِ؟ أين صوتك الذي في عقلي؟ لماذا اختفى؟ هل أخذتِ خيالك معكِ؟

– ...

– سوزانا.. هل كنتِ يومًا حقًا هنا؟ هل أنتِ حقيقية؟

"سوزانا... سوزانا..."

تزامن نداء إياد مع تضاءل صوت خطوات سوزانا ثم اختفاءه

ظل إياد يحاول استكمال حوار خيالي معها، لكنه لم يستطع، فقد رحلت بجسدها وروحها وذكراها إلى عالم اختارته هي بنفسها.

****

(113) شيرين

سمعت شيرين صوت ارتطام قوي من الخارج أثناء إعدادها لطعام العشاء. خرجت مسرعة، لتجد أن يوسف، ولدها، قد كسر زجاج حوض السمك الموجود بالمنزل، صرخت تلا

- **تلا الغبي ده رمى الكورة على حوض السمك، كسره!**

اندفع يوسف نحو شقيقته ليضربها، فحاولت شيرين منعه قائلة

- **أنت اللي غلطت يا يوسف!**

لكن طفلها التفت إليها محاولاً شدّ شعرها، فأمسكت بيديه، إلا أنه عضّها. فسحبت يدها بسرعة، مدركة أن حالة يوسف العصبية قد أصبحت مقلقة للغاية. حاولت تهدئتهما معًا، ثم أخبرت تلا بأنها ستحضر حوض جديد للأسماك، لكن تلا ظلّت غاضبة، عادت شيرين إلى المطبخ لتكمل إعداد العشاء، بينما تساءلت في نفسها عن سبب عصبية أطفالها إلى هذا الحد. لم يكن يوسف عنيفًا كذلك من قبل.

قطع حبل أفكارها صوت هاتفها يرن. ظهر اسم إياد على الشاشة. اضطربت دقات قلبها بمجرد أن رأت اسمه، لكنها فكرت: إن ضعفت الآن، فلن تتمكن أبدًا من الهرب من هذه العلاقة. لم تُجب، ولم يعاود هو الاتصال.

دون أن تشعر، رأت تلا واقفة أمامها في المطبخ لتحدثها. أثار ذلك دهشة شيرين ما الذي دفع ابنتها لكسر حاجز التجاهل والصمت بينهما منذ وفاة والداها، حتى قالت تلا ورأسها منخفض وصوتها مملوء بالخزي:

- **بكرة عايزينك في المدرسة**

لم تفهم شيرين سبب استدعائها إلى مدرسة تلا، لكن بدا أن هناك مصيبة ما تنتظرها.

****

(114) رانيا

في أثناء ذلك، كانت رانيا في انتظار مجيء نادر في أحد الأماكن العامة. لم تكن قد جهزت ما تود قوله تحديدًا، وشعرت بالإحراج وتذكرت كلام هبة، لكن الوقت قد فات على أن تغادر المكان، فقد حضر نادر. كان مبتسمًا وسعيدًا، يحمل في إصبعه خاتم خطبته، وتصرف كأن شيئًا لم يكن. سأل رانيا عمّا تود أن تشرب، وأخبرها أنه في عجلة من أمره لأنه على موعد مع خطيبته بعد قليل.

بعد هذه المقدمة التي أربكت رانيا، لم يسعها سوى أن تقدم له مباركة على خطبته وقالت على استحياء:

_ بس أنا إتفاجأت..

_ إية اللي فاجئك؟

استجمعت رانيا شجاعتها وقالت وهي تشير إلى رسالته لها في هاتفها:

_ أنت ليه بعت لي الرسالة دي، طالما كنت ناوي تخطب غيري؟ أنا افتكرت إنك معجب بيا.

رغم صعوبة اعترافاتها، لكنها اختارت أن تكون صادقة للنهاية.

ارتبك نادر من جرّاء صراحتها الشديدة، لكنه تمالك نفسه وقال:

_ بصراحة أنا فعلاً كنت معجب بيكِ، بس أنا كنت محتار.

نظرًا لصدق رانيا، فقد جاء جواب نادر بنفس القدر من الصدق. هذا القدر الجارح من الصراحة، رغم بساطة الجملة. لاحظت رانيا صمت نادر وارتباكه، فشجعته على أن يُكمل:

_ وإيه اللي حصل؟

_ رانيا، خلينا نكون واضحين.

_ يعني مثلاً كان في حياتك واحدة تانية وكنت بتفاضل بينا؟

_ بصي، بصراحة، لا. أنتوا كنتوا تلاتة.

خرجت من رانيا ابتسامة ساخرة رغماً عنها، وحين لاحظ ذلك نادر قال:

_ أنا راجل عملي، وعايز ألاقي اللي تناسبني بسرعة لإني حاسس إني كبرت. وبعدين، أنتِ ليه بتعاتبيني؟ اليوم اللي اتقابلنا فيه، كان واضح إني مش عاجبك. تفتكري أنا ماخدتش بالي إن طريقة كلامي ولبسي ماحبيتهمش؟ ومع ذلك، أنتِ كنتِ مكملة لإنك عملية زيي. محدش فينا أحسن من حد.

ابتسمت رانيا في هدوء وقالت:

_ على الأقل أنا مش بتعامل مع الناس كإني بشتري شوية جزم برصّصهم جنب بعض، وأفضل أقيس في كل جزمة شوية عشان أشوف اللي هتيجي على مقاسي وألبسها.

ثم قامت وتركته، وفي داخلها رغبة شديدة في البكاء، لم تعرف سببها.

لذا، اتصلت بهبة، شعرت أن وجودها ربما يقويها بعض الشيء.

اتفقت معها على أن تنتظرها في مطعم قريب.

****

(115) سلمى

مرت أيام عقب الحديث الصادق بين سلمى وزوجها ماجد. حاول كلاهما تجاهل ما قيل في لحظة الصدق العارضة هذه، لكن كلمات ماجد ظلّت عالقة في ذهن سلمى، تسللت إلى عقلها كالسهم واخترقت قلبها. لم تستطع فتح الموضوع مجددًا، فاختارت الصمت. أما ماجد، فبذل جهدًا الأيام السابقة ليكون ودودًا معها، لعلها تنسى اعترافه الصادم والقاسي.

لم يكن يفهم مشاعره على وجه الدقة. هل يحبها حقاً؟ وإن لم يكن كذلك، فلماذا يحرص على تعويضها الآن ويزعجه أن يراها حزينة؟ وإن

كان يحبها، فلماذا لا يشتاق إليها؟ ولماذا أصبح ينفر منها؟ ليس للمشاعر كتالوج خاص بها حتى يستطيع ماجد أن يقرأه ويفهم ماذا يشعر ولماذا يشعر.

ورغم كل ذلك، استمرت العلاقة بينهما كما هي. أدّت سلمى دور الزوجة والأم بإخلاص، وكذلك مثّل ماجد دور الزوج والأب، لا سيما بعد وجود فريد، الذي يحتاج إلى وجود أب وأم. لكن مفاجأة غير متوقعة أربكت هذا التوازن الهش. بصوت متردد وكلمات متقطعة قالت سلمى لزوجها الجالس بجوارها يشاهد التلفاز:

- **ماجد .. أنا شاكة إني حامل.**

كانت تلك الجملة البسيطة كافية لجذب انتباه زوجها بالكامل، وهو الذي لم يكن يُعر حديثها أي اهتمام، فسألها بجدية ونبرة حادة

- **أنتِ متأكدة ولا مجرد شك؟**

استجمعت سلمى شجاعتها، وقالت برغم ألمها من ملامح الانزعاج على وجه ماجد.

- **تقريبًا متأكدة .. آه**
- **يعني إية تقريباً متأكدة**
- **يعني أنا حامل يا ماجد .. متأكدة**

دخل ماجد في دوامة من الأفكار والحسابات. تذكّر المرحلة المادية الصعبة التي مر بها عند ولادة ابنهما الأول، من مصاريف الولادة مستشفى وأطباء، إلى مصاريف الحفاضات وعلب الحليب. وها هو على وشك أن يدخل تلك الدائرة من جديد، ولكن هذه المرة مع وجود طفل أكبر بحاجة أيضاَ إلى مصاريف إضافية. لم يستطع إخفاء ضيقه، وحاول أن يتذكر متى حدث هذا الحمل. فهو بالكاد يقترب من سلمى. وجد نفسه يسألها ويحاسبها: لماذا لم تتخذ احتياطاتها؟ ولم تستخدم وسيلة منع حمل فعالة؟

بينما كان غضبه يتصاعد، بقيت سلمى تبرر وتشرح. قالت إنها فعلت ما بوسعها لتجنب الحمل، خصوصًا أن رعاية طفل لم يتجاوز عامه الأول شاقه ومرهقة لتكون مستعدة لاستقبال طفل جديد الآن. كالعادة، حمل ماجد علبة سجائره، وغادر المنزل محاولًا تهدئه نفسه .. تاركًا سلمى تغرق في حزنها من رد فعله.

****

(116) رانيا

جلست رانيا في أحد المطاعم القريبة، تنتظر مجيء هبة. كانت رغبتها في البكاء قد هدأت قليلًا، لكن شيئًا ثقيلًا ما زال يضغط على صدرها.

وكما هي عادتها، تأخرت هبة. لم تكن يومًا دقيقة في مواعيدها، ولا تبالي بانتظار الآخرين. شعرت رانيا أن صبرها بدأ ينفذ، فقررت ألا تنتظر أكثر. طلبت لنفسها طعامًا، رغم أن شيئًا بداخلها كان يعارض هذا القرار. حين وضعت المعلقة الأولى، وخزها ضميرها.

تذكرت جسدها الممتلئ، تذكرت وعودها القديمة بأن تهتم بنفسها، بصحتها، بجسدها أكثر. لكنها كانت تعلم أن هذه الوعود تنهار دومًا أمام إحساسها بالجوع، ذاك الإحساس الذي لا يذكرها فقط بالجسد، بل بذلك الفراغ العاطفي الغائر في أعماقها. الجوع كان كجرس خفيّ يدقّ داخلها، يذكرها بأنها وحدها، وبأن قلبها أيضًا فارغ.

جاء النادل بالطعام، نظرت إليه لثواني وكأنها تفكر في التراجع، في أن تعيد الطبق كما هو، أن تهرب من هذه اللحظة. لكنها لم تفعل. فقط أرادت إسكات ذلك الصوت في داخلها الذي يلومها ويجلدها.

بدأت تأكل. لم تكن تقضم اللقمة لتملأ معدتها، بل لتسد فجوات في قلبها. لم تكن تطارد المذاق، بل تسكت أنين داخلها لا يسمعه أحد سواها. معلقة تلو الأخرى، كأنها ترقع جراحًا باردة، لا تلتئم.

شرد ذهنها وهي تأكل، وتساءلت "ماذا لو لم أتزوج" هل سيلاحقها سؤال المجتمع "لماذا؟ هل لم يخترها أحد؟ هل بها عيب لا يُحتمل؟"

تخليت الوجوه تهمس خلف ظهرها: "ربما قبيحة، عصبية، عنيدة، مسيطرة، غير مهذبة، معقدة، تمشي أثناء النوم.. أو ربما يُقال فقط مسكينة، لم يحالفها الحظ"، إن غضبت وانفعلت سيقال "لقد فقدت عقلها لأنها لم تتزوج بعد" وصمة ستلاحقها طيلة الحياة: "عانس".

ثم أكملت أكلها وهي تغوص في سؤال قديم: هل ستحصل على حب والدتها إن تزوجت؟ وماذا لو تزوجت ولم تنجب؟ أو واجهت مشاكل في زواجها أو حتى طُلقت؟ كانت متأكدة أن موقف والدتها لن يتغير، سيظل حبها لها مشروط، فلمَ المحاولة إذن؟ هل لأنها تخشى الوحدة؟ أم لأنها ما زالت تتوق أن يراها أحدهم ويحبها كما هي، دون شروط؟ ولكن كيف وهي تطوع ذاتها وتخلع جلدها لتنال هذا الحب.

أحسّت بالدموع تقترب، لكنها واصلت الأكل، فقد كانت تقاتل على جبهتين: جوع الجسد وجوع الروح.

****

حضرت هبة أخيراً. كانت رانيا قد انتهت من تناول الطعام، لكنها فتحت فاها لما رأتها؛ فقد غيرت هبة لون شعرها من الأزرق إلى نصف أحمر ونصف أبيض. ما هذا الجنان؟!

اقتربت منها هبة وهي تبتسم قائلة

- **معلش اتأخرت عليكِ .. كنت بعمل شعري .. إية رأيك**
- **إيه القرف ده، إزاي هتمشي في الشارع؟ إزاي خالتي هتدخلك البيت؟ ده الأزرق كان أرحم بكتير**
- **هدخل البيت بالمفتاح عادي**

قالتها ساخرة وهي ترفع أحد حاجبيها، فأكملت رانيا:

- **هبة حبيبتي .. هو أنتِ نسيتِ تاخدي الدو ابتاعك النهاردة**

احمر وجه هبة من الغضب وقالت بجدية وهي تضرب بيديها بقوة على الطاولة حتى كادت تسكب زجاجة المياه

- **أنا مابحبش الهزار في الحاجات دي وخاصةٍ موضوع مرضي**

لاحظت رانيا مدى انزعاج هبة فاعتذرت منها على مزحها الثقيل، زفرت هبة وكأنها تستعيد هدوءها بهذه الحركة وقالت

- **احكيلي بقى، عملتِ إيه مع الواد**

طأطأت رانيا رأسها وقالت بصوت منخفض وحزين

- **ولا حاجة .. مايفرقش كتير عن فادي اللي عرف عليا واحدة وخطبها.**

هبة، أنا لية بيحصلي كدة؟ لية مش مكتوب لي أفرح؟

- **ممكن تبطلي نواح على نفسك زي البومة؟**

ورغم حساسية كلام رانيا، إلا أن جواب هبة العنيف أسكتها تمامًا، فأكملت هبة

- **أنا عندي طريقة علاج لموضوع زفت الطين فادي اللي قرفك ده ومنكد عليكِ**

- **هتعالجيني إزاي بقى**

- **هعالجك بالشتيمة**

صمتت رانيا قليلاً حتى تفهم قصد هبة، فأكملت هبة:

- **هتفضلي تشتمي فادي وتلعني سلسفيل أهله لغاية ما تحسي إنك ارتحتِ**

ابتسمت رانيا ساخرة لكنها لم تقل شيئًا، فاندفعت هبة قائلة:

- **أنتِ مكسوفة تتكلمي؟ طب هبدأ أنا، فادي ده كان معفن وجبان وخاين ورمرام وابن كلب ووسخ**

لم تتمالك رانيا نفسها من الضحك على أسلوب هبة في "علاجها"، فشجعتها هبة قائلة

- **يا بنتي ماتضحكيش، ده علاج صدقيني. يلا قولي معايا.**

حاولت رانيا كتم ضحكتها وقالت لترضيها:

- **حاضر يا ستي، فادي ده زبالة ويقرف الكلب ويلعن اليوم اللي شفته فيه.**

ثم أكملت ضحكها، فقالت لها هبة:

- **شوفتي بقى العلاج بتاعي جاب نتيجة فورية إزاي، وبقيتِ بتضحكي بدل ما كنتِ عايزة تعيطي**

ابتسمت رانيا وأضافت

- **وأقولك على حاجة كمان، ريحة بؤقه وحشة أوي.**

غمزت لها هبة وقالت

- **وأنتِ عرفتي ريحه بؤقه إزاي؟ هو باسك**

انفجرت رانيا من الضحك واحمر وجهها من الخجل وأشارت لرانيا أن تصمت

- **بس يا هبة .. الناس هتتفرج عليا وأنا صوتي ضحكتي مابيسترش على رأي أمي**

وهكذا انتهى يوم رانيا، الذي بدأ بالألم والحزن، وانتهى إلى نوبة ضحك هستيري، شعرت رانيا بالامتنان على وجود هبة في حياتها، فبالرغم من جنانها إلا أن وجودها خفف من ألمها.

****

(117) ياسمين

أما أنا، فقد كنت أستعد لتقديم مشهدي في اختبارات تقييم أداء الممثلين الذين سيتم اختيارهم للمشاركة في بطولة المسرحية. الأضواء الساطعة، الوقوف على خشبة المسرح، كلها أشياء حلمت بها منذ سنين. وها أنا الآن أختبر هذا الشعور: أن تكون في بؤرة الضوء، محط أنظار الجميع، الصمت المشحون الذي ينتظر صوتك ليكسره، والخشبة التي ترفعك فوق يشاهدونك كأنك على قمة العالم. العيون المعلقة عليك، تترقب ما ستقول، ما ستفعل، لا أنكر أنني كنت خائفة ومتوترة، لكنها كانت فرصتي لأخرج ما في داخلي.

المشهد الذي اخترت تقديمه لم يكن من فيلمٍ أو مسلسل معروف، بل كان مشهدًا من أعماق قلبي. كتبته بنفسي، وكان عن أسوأ كوابيسي: لحظة فراق أمي للأبد.

خيم الصمت على القاعة. أشارت لي لجنة التحكيم أن أبدأ، نظراتهم تترقب. ذهبت إلى أحد أركان المسرح كما لو أنه باب منزلنا، أحضرت كرسيًا وأدرت ظهره ليجسد جسد والدتي الجالسة في صالة منزلنا، كعادتها، تشاهد التلفاز. دخلت عليها سعيدة، مبتهجة، لا يوجد في المنزل سوانا، أخبرتها بفرح عن قبولي في العرض، ثم استرسلت:

- **أنا عارفة يا ماما أنت هتقولي إيه.. انتِ خايفة عليا من العالم الجديد اللي ماتعرفهوش، بس أنا كبرت وبقيت أعرف أتعامل مع الناس. لما تشوفيني على المسرح مش هتصدقي أن دي بنتك.. ماما؟ ماما! لية مش بتردي عليا؟**

هكذا قطعت المقدمة، ووصلت سريعًا إلى الجزء الذي أرهقني حتى في كتابته.. الجزء الذي تنادي فيه الابنة أمها فلا تجيب.

كنت أعلم مسبقًا أنني سأصل إلى لحظة موتها، ومع ذلك، عندما بدأت أصرخ باسمها، لم أكن أمثل بل كنت أعيش الصدمة كما لو أنها تحدث الآن للمرة الأولى.

بدأ صوتي يرتعش، وقلبي يسأل: هل رحلت أمي للأبد؟ ظللت أعيد النداء، بصوت أعلى، علها تجيب لكن لا جواب. سالت دموع من عيني دون عناء، وجدتني أتكور حول نفسي، كطفلة خائفة، الحياة من دون أمي ترعبني. تمددت على الأرض، وجسدي بدأ يشعر بالبرد، ليس البرد الناتج عن حالة الطقس بل برد الغياب الأبدي. لماذا خلقت الموت يا الله لنتجرع كأس الفراق المُر.

تذكرت فجأة أن هناك منولوج كتبته لأقوله لأمي الراقدة. كلمات كثيرة دونتها لأعبر بها عن مرارة الفقد وتتأثر اللجنة: كلمات عن مدى حبي لها

وندمي على كل لحظة أضعتها ولم نتحدث فيها سويًا، عن اشتياقي لحضنها ودفء صوتها، وأطفالي الذين تمنيت أن تراهم وتربيهم معي، ماذا حدث، لا أستطيع نطق كلمة واحدة من شدة الصدمة، هكذا لن أستطيع أن أعرض قدراتي التمثيلية، اقتربت من الكرسي الذي يمثل جسد والدتي، وانحنيت عليه، وغنيت.. بصوت متقطع ودموع تلمع في عيني، غنيت أغنية قديمة لفيروز كانت أمي ترددها لي قبل أن أنام:

يلا ننام يلا ننام

وادبحلك جوزين حمام

روح يا حمام لا تصدق

بضحك على ريما تتنام

ما تروح تقلها الحقيقة

أنه العصفور انجرح

ما تروح تقلا الموجة

شلّتو ع الحافة وراح

حين انتهيت، نظرت إلى لجنة التحكيم. رأيت الدموع في عيونهم. أحدهم كان يمسح عينيه. لست متأكدة إن كنت سأربح الدور، لكنني

متأكدة أن شيئًا كبيرًا قد تحرر بداخلي، وكأني بوحت بسر ظل مختبئًا في قلبي طويلًا والآن .. أنا حرة.

(118) ياسمين

في اليوم التالي،

أرسلتُ للجميع أننا سنذهب اليوم إلى منزل إنجي في تمام الساعة الثامنة، فقد تأكدتُ أن إنجي ستكون بمفردها في هذا الوقت. أنا الآن في طريقي لشراء كعكة عيد الميلاد، وقد تركتُ في مجموعة الواتساب التي أنشأتها من أجل عيد ميلاد إنجي ما يلي:

****

(119) شيرين

استلمت شيرين الرسالة وهي في طريقها إلى مدرسة ابنتها لتعرف سبب استدعائها. جلست أمام مديرة المدرسة في ترقّب، تنتظر أن تعلم ما الذي فعلته ابنتها.

قالت لها المديرة: "منذ يومين، وصلتنا شكوى باختفاء بعض المقتنيات التي تخص طالبات في فصل ابنتك. قمنا بتفتيش كل طالبة، ووجدنا هذه المقتنيات في حقيبة ابنتك. وعند سؤالها، أنكرت وقالت إن هذه المقتنيات تخصها، وقد أحضرتها معها من المنزل. لم نهتم في البداية، لأن هذه المقتنيات كانت أشياء بسيطة مثل رابطة شعر أو قلم حمرة، يمكن أن تمتلك مثله كل فتاة.

لكن الأمور تغيرت حين سُرق هاتف محمول من إحدى التلميذات. كل الشكوك كانت تدور حولها، وعلى الرغم من محاولاتها لإخفاء الهاتف في مكان لا يُتوقع، وإنكارها المستمر لتهمة السرقة، إلا أن مراجعة الكاميرات أكدت أنها كانت تسرق زميلاتها خلال الأيام السابقة.

نحن نُقدّر الوضع. يبدو أن تلا تمر بأزمة نفسية بعد وفاة والدها بالسرطان، فقد تغيرت كل سلوكياتها في المدرسة. أصبحت منعزلة طيلة الوقت، ولا تشارك في أي نشاط أو فعالية، حتى انتهى بها الأمر إلى سرقة زميلاتها. لهذا كان لا بد من إبلاغك. الأخصائية النفسية ترى أنها بحاجة إلى جلسات متخصصة".

لم تكد المديرة تنهي كلامها، حتى فوجئت بردّة فعل شيرين العاطفية؛ إذ انهمرت دموعها بشدة، ولم تقوَ على الحديث. حاولت المديرة تهدئتها: "المشكلة بسيطة، وستُحل بإذن الله. يجب أن تكوني أقوى من ذلك حتى تستطيعي مساعدة تلا في محنتها". بعد محاولات عديدة، استطاعت شيرين أن تتوقف عن البكاء. نظرت إلى المديرة، وحاولت أن تتكلم بتماسك، ووعدتها بأنها ستجد حلًا للمشكلة، وشكرتها على تفهُّمها.

****

(120) رانيا

في غرفتها المظلمة، ظلت رانيا قابعة على سريرها، تهرب من ألم خذلناها الجديد. سمعت صوت والدتها يصرخ بها؛ كعادتها، لا يعجبها أي شيء تفعله رانيا. جاءها صوت رسالتي على هاتفها، الذي كان راكدًا بجوارها على "الكومودينو". قرأت الرسالة في عجالة، وهي تهمّ بالخروج من غرفتها، ملبيةً نداء والدتها.

كان صوت صراخ والدتها لا يزال يُرعبها، مثلما كان وهي طفلة. فقد كانت تختبئ دائمًا منها. تتذكر مرة أنها اختبأت داخل خزانة الملابس عقب كسرها لزجاج "النيش" كانت رانيا طفلة شقية جدًا، وبرغم جرح يديها، إلا أنها حين سمعت والدتها تصرخ من المطبخ عند سماعها صوت ارتطام "النيش"، قفزت سريعًا إلى غرفتها واختبأت داخل الخزانة، والدم يسيل من يديها.

وبالرغم من خوفها من الدماء، إلا أن خوفها من غضب والدتها كان أكبر.

حين خرجت إلى الصالة، رأت أمها غاضبة كما كانت دومًا في طفولتها، وبدأت رانيا تشعر كما شعرت قديمًا، أنها الابنة غير المرغوب بها. فكرت: إن كانت أمي لا تحبني، فمن سيرغب بي؟ لو كانت أمي أحبتني، لما كنت أبحث عن الحب في قلب فادي أو نادر. وصوت

شكوى والدتها لا يتوقف. عندها قررت رانيا أن تكسر حاجز الصمت بينهما، فقالت، معبّرةً لأول مرة عمّا بداخلها:

. ماما... ليه مش شايفة أي حاجة بعملها؟ مش شايفة غير إخواتي وبس؟ وهم فين دلوقت؟ مين اللي قاعد معاكي وبيخدمك؟ مش أنا؟

صمتت هناء والدة رانيا حين سمعت ابنتها تتهمها بمثل هذه الاتهامات. لم تفهم ماذا حدث حتى تقول ذلك الآن.

. في إيه يا بنتي؟ مالك؟

قررت رانيا أن يكون هذا يوم المواجهة، فقالت:

. فاكرة لما كنت صغيرة ولعبت في النيش ووقّعته، وإيدي اتجرحت؟ بدل ما أجري عليكي، كنت بجري منك، واستخبيت في الدولاب!

توقفت والدة رانيا لعدة ثوانٍ تحاول أن تتذكر الحادثة التي تحكي عنها رانيا، حتى تذكرتها أخيرًا. كانت رانيا في السادسة من عمرها، وكانت الأم متعبة آنذاك، ترعى ثلاثة أبناء بمفردها. وكانت حماتها تعيش معهم، وترى دائمًا أنها أم مهملة، لا تستطيع ضبط أطفالها. وكانت رانيا أكثر إخوتها شقاوة. كانت دائمًا ما تُشعر والدتها بأنها أم ضعيفة ومقصّرة. لهذا كانت تقسو عليها أكثر من إخوتها. لم تكن تعلم أن ابنتها قد نسيت كل ما بذلته من أجلها، وتذكرت موقفًا تافهًا كهذا!

وتساءلت: هل ننجب أبناءً ليحاكمونا في آخر عمرنا؟ أهذا جزاؤنا على تربية أطفالنا؟

ثم قالت:

. يعني إنتِ كنتِ عايزاني أعملك إيه؟ وبعدين، إنتِ كنتِ مجنناني، أكتر واحدة تعبتني من إخواتك!

كانت جملة الأم الأخيرة كافية لتؤكد شعور رانيا، أن والدتها تحب إخوتها أكثر منها. كانت ترى دومًا أن إخوتها يسكنون قلب والدتهم. أخوها لأنه ذكر، وأختها لأنها هادئة، وهي في المرتبة الأخيرة.

تذكّرت كيف قالت لي مرة بمرارة: "يبدو أن حب الأمهات الذي نقرأ عنه في الكتب ونسمع عنه في الشعر، هو حب الأمهات لأبنائهم الذكور، ليس لنا."

تذكّرت رانيا طفولتها، كم مرة حقدت على أخيها وأختها، لأنهما استوليا على حب والدتها. كان عقلها الصغير يهيّئ لها أن لو لم يكن أخوها وأختها موجودين، لأحبتها أمها دون مقارنة. فكرت: إذًا لو استطعت أن أجعل والدتي تكرههم، لأحبتني أنا واسترددت مكاني في قلبها. أصبحت تلتقط أخطاء إخوتها وتذهب بها إلى أمها قائلة: . أمي، أتدرين من سكب الحليب على الأرض؟ إنه أخي الذي تحبينه.

. لقد حصلت سهى على درجة أقل مني في الامتحان.

. أمي، لقد تفوقتُ في المدرسة، وحصلت على المرتبة الأولى، ولم يحصل عليها أيٌّ من إخوتي.

. أمي، لقد وسّخت سهى ملابسها، بينما حافظتُ أنا على ملابسي.

. لم يُكمِل أيمن طعامه، وأنا أكلت طبقي كاملاً... هلا أحببتني الآن؟

أمي، أكرهيهم! إنهم ليسوا أولادًا مثاليين. أحبيني أنا... أنا ابنتك المتفوقة، الجميلة، التي تحافظ على ملابسها وتتناول طعامها كاملًا، لا تسكب الحليب، وتحصل على درجات عالية! لكن، كل محاولات رانيا الصغيرة باءت بالفشل. وظلت أمها تحب إخوتها أكثر منها. وأصبحت تنظر إلى رانيا كابنة فتانة، تحب أن ترى إخوتها يعاقَبون. وبذلك، لم تخسر فقط معركة الحصول على قلب والدتها، بل اكتسبت سمعة أنها الابنة الغيورة الحسودة.

فصرخت رانيا:

. ما هي دي المشكلة! إني مهما عملت، أنا برضو رانيا الشقية المتعبة! لكن إخواتي ملايكة ما بيغلطوش!

. أنا ما قلتش إنهم ملايكة، لكن إنت كنتِ أشقى واحدة، فكنتِ بتتعاقبي أكتر منهم!

بكت رانيا وهي تقول:

. إنتِ عمرك ما حبيتيني يا ماما! إنتِ بتحبيهم هما! هما اللي مريحين بالك، وأنا اللي دايمًا تعبّاكي!

كانت رانيا تبكي كطفلة صغيرة، لا كفتاة راشدة. توقعت عندما تقول كل ما في داخلها، بصراحة وبصوت عالٍ، أن تنهار والدتها وتحتضنها، وتخبرها كم تحبها، وكم هي مميزة في عينيها، وأن حبها لها لا يقل بل يفوق حب إخوتها... ثم ترى في عيني والدتها حزنًا ووجعًا لكل ما تألمت منه رانيا من شعور أنها محبوبة أقل.

أما والدتها، فاستقبلت جملة رانيا كاتهام جديد، أتهمتها به كثيرًا وهي صغيرة، وظنت أنها كبرت وفهمت... لكن لا يبدو أنها تفهم أبدًا.

فهل ستظل ابنتها تلك الطفلة التي تلومها دائمًا؟

"أمي، لماذا قبّلتِ أخي ثلاث قبلات وأنا اثنتين؟"

"لماذا أخذت أختي الكنزة الوردية الجميلة، بينما أخذت أنا الصفراء السخيفة؟"

وهكذا، يتوجب على والدتها الدفاع عن نفسها في كل كبيرة وصغيرة.

فانفجرت غاضبة:

. بكرة لما تكبري هتفهمي إن مفيش أم مش بتحب ولادها! وبعدين، انت كنتِ طفلة صعبة... تِجَنِّن بلد! بكرة لما يبقى عندك بنت زيك، هتفهمي قصدي!

. ما هي دي المشكلة... بنت زيي! ليه يا ماما؟ مالي أنا؟ عشان كنت شقية شوية، ما تحبنيش؟!

كانت رانيا تتحدث وهي تبكي، بينما أمها ثابتة، لا يبدو عليها حزن أو تأثر.

لكن في داخلها، لم تشعر أنها أم ترى ابنتها تتألم، بل متهمة داخل قفص المحاكمة.

كان من الصعب عليها أن تعترف بأنها أحبت رانيا أقل من إخوتها، أو أنها آذت أحد أولادها إلى هذا الحد. لكنها كانت تعرف في أعماقها، أنها واجهت ألمًا في أمومتها لرانيا منذ البداية. كان حملها برانيا متعبًا أكثر من أي حمل آخر. وكانت رانيا دائمًا ما تضعها في تحدٍّ مع نفسها كأم. دائمًا ما تشعرها بأنها مقصّرة، لأنها تتلقى الانتقادات من العائلة والأصدقاء والمعلمين بسبب سلوكيات رانيا الطائشة.

وكانت رانيا تمثل خطرًا بالنسبة لها.

الخطر الأكبر أنها ورثت عنها عصبيتها واندفاعها، وهي الصفات التي جعلت حياة الأم صعبة. وجدت نفسها تحب إخوتها أكثر من رانيا.

أختها عاقلة غير مسببة للمشاكل، أخوها رجل قوي يُعتمد عليه، أما رانيا، فأنثى مندفعة طائشة.

جاهدت الأم أن تحبها مثل إخوتها. الجميع يعتقد أن حب الأم حب تلقائي بلا شروط، لكن لا يخبرنا أحد — ولا حتى أنفسهن — أنهن قد يبذلن جهدًا مضاعفًا ليحببن طفلًا يشعرن منه بالتهديد، ويحاولن قمع شخصياتهن فيه.

والآن، أمام اتهامات رانيا، شعرت الأم بخوفٍ عظيم.

بداخلها صرخة: "من الظلم أن يحاسبني العالم وابنتي، على مشاعر لم أخترها! ربما حاولت أن أغيّرها... لكن، هل يمكن لرانيا أن تنسى لحظات خوفي عليها؟ سهري على مرضها؟ سنين الاعتناء بها؟ أهذا كله لا يشفع لي لحظات ضعفي؟ هل الأم لا تضعف؟ لا تخطئ؟ لا تحب بشروط؟" لكنها عجزت عن الاعتراف، وبدا بكاء رانيا يثير غضبها لا شفقتها. فانفجرت في صراخ واتهام جديد لرانيا بأنها ابنة حقودة، لا تعرف كيف تشكر والدتها على ما قدمته لها. حينها، فهمت رانيا أن أحلامها باحتواء أمها لها لم تكن سوى سراب. وأنها ستظل "الابنة الحقودة".

فكفّت عن البكاء، وقررت أن الخروج لحضور عيد ميلاد "إنجي"، قد يخفف الأجواء قليلًا.

****

(121) ياسمين

بعدما أحضرتُ الكعكة، جاءت سلمى معي لنذهب إلى عيد الميلاد. بدا وجهها مصفرًا وكئيبًا، وظلّت صامتة بينما كنا ننتظر قدوم رانيا. ورغم أن سلمى صموتة بطبعها، إلا أنني كنت أستطيع التفرقة بين صمتها العادي، وصمت الكآبة حين تتملّكها. وكانت الحالة الأخيرة هي ما بدت على سلمى. لكنني لم أرغب في فتح أحاديث مأساوية ونحن نستعد لعيد ميلاد إنجي.

في تلك الأثناء، أرسلت لنا شيرين رسالة تخبرنا فيها بأنها قد تتأخر قليلًا.

****

(122) شيرين

في ذلك الوقت، كانت شيرين تزور هاني، زوجها، في مقابر العائلة. فور علمها بما فعلته ابنتها، اعترتها رغبة في الحديث مع هاني، فذهبت وتحدثت إليه:

"أخبرتني أن الغفران عملة ذات وجهين، وأننا نغفر للآخرين كيف نستطيع أن نغفر لأنفسنا. ولكن كيف لي أن أقنع تلا ويوسف أن يغفرا لنا كي لا يصبحا مثلنا؟

كيف أقنع تلا، تلك الفتاة الصغيرة الغضّة، أن أمها قد سلكت هذا الطريق قبلها ورأت نهايته؟ حين هجرتني كرهتك، وحين خنتني حقدت عليك. منحتك ألقابًا كثيرة في نفسي: أنت الظالم، وأنا المظلومة. أنت الخائن، وأنا المغدورة. أنت الأناني، وأنا الضحية.

لم أرغب يومًا أن أرى فيك أي صلاح قد يفسد الصورة التي رسمها عقلي لك.

حسبت أني أفضل منك أمام الله، وانتظرت أن ينتقم لي منك. لا تندهش إن قلت لك إنني كنت أستكثر عفو الله عنك، إن خطر لي يومًا أنه قد يغفر لك. ثم بدأ عقلي يرسم سيناريوهات تأتيني فيها باكيًا نادمًا، وكنت أظن أن ذلك سيشفيني، ويبرد نار قلبي.

وقد حدث ما تمنيت. عدت إليّ نادمًا ذليلًا، رأيت ضعفك أمامي، تتألم من المرض والوحدة.

لكن جرحي لم يُشفَ، بل زاد غضبي عليك، وكبرت رغبتي في الانتقام. حتى صرتُ أشرّ منك. أصبحت أنا الخائنة، أنا الظالمة، أنا الأنانية.

وطلبت من الله الستر والمغفرة، وهما ما كنت أستكثرهما عليك في السابق. تمنيت أن تشملني رحمته التي أردتُ طردك منها. الآن علمت أن الغفران قرار داخلي، لا علاقة له باعتذارات المذنب، ولا بضعفه وذلّه أمامنا. وأن الجراح لا تُشفى إلا حين يقرر صاحبها أن يضمدها بنفسه.

ربما كنت قد أدركتَ هذا قبلي، فغفرت لي حتى قبل أن أطلب منك المسامحة.

ولكن... ماذا عن أولادنا؟

لم أكن أعلم أن الغضب الذي رعيتُه في قلبي، والمرارة التي سقيتُها بماء الألم كل يوم،

سيُروى منها أبناؤنا ذات يوم. سيجري الغضب والمرارة في عروقهم كما يجري دمي.

لم ننتبه، يا هاني، إلى أن أخطاءنا سيدفع ثمنها أولادنا. لم أعد بحاجة إلى أن أُشوّه جسدي كلما شعرتُ بالذنب، فالتشوه تجسّد أمامي في صورة تلا ويوسف.

لكن إن غرقتُ الآن في خزيي وعاري، سيتعلم تلا ويوسف أن الأخطاء لا تُغتفر، وأن لا مفر من الندم، ولا مهرب من الحنق. لكني سأتحلى بالقوة ورباطة الجأش، كي يتعلموا أن المشاكل تُحل، وأن القلوب تنبض من جديد، وأن الحب يعبر فوق الألم، وأن الغفران يمحو الأخطاء."

****

(123) عيد ميلاد إنجي

حضرت رانيا أخيرًا، ثم وصلت شيرين، تبدو كئيبة، وعيناها متورمتان كأنها بكت طويلًا. أخبرتنا أنها زارت قبر زوجها هاني. لم نفهم سبب الزيارة في هذا التوقيت، فطلبتُ منها أن تضع القليل من الماكياج لتُغيّر من هيئتها. بدا أنني الوحيدة المتحمسة للاحتفال مع إنجي؛ فمنذ اختيار الموعد وشراء الكعكة، وكل تفصيله كانت تُشعل داخلي دفعة من الدوبامين، وأنا أتخيل ردة فعل إنجي لحظة المفاجأة. فأسعد الناس بالمفاجآت هو من يصنعها، يترقب في كل خطوة تعبير الآخر عن سعادته وابتساماته. حين فتحت إنجي الباب، كانت تعرف أننا قادمون، لكنها لم تكن تعرف السبب. اتفقتُ معها على موعد تكون فيه وحدها في المنزل، دون إخبارها أن باقي الشلة ستحضر. وما إن رأتنا حتى اتسعت

حدقتا عينيها من الدهشة، وبدأنا نغني لها أغاني أعياد الميلاد الكلاسيكية، بدءًا من "هابي بيرث داي تو يو"، إلى عبد الحليم: "عقبالك يوم ميلادك لما تنول اللي شغل بالك يا قلبي".

أشارت إلى سلمى لتساعدني في إخراج الكعكة، وإلى رانيا لتُشعل الشموع. واصطففنا حولها نغني ونُزيّن الكعكة بالشموع. ابتسمت لنا إنجي، وكانت ابتسامة عميقة صادقة، بعينيها قبل شفتيها، ودموع فرح لم تنزل، لكنها كانت واضحة. شعرنا جميعًا ونحن نرقص على أنغام الأغاني التي شغّلتها شيرين من هاتفها بدفء يتسلل إلى قلوبنا؛ دفء الحضور، والمحبة، رغم كل شيء.

بدأنا في تقديم الهدايا، وأحضرت إنجي الأطباق لتوزيع الكعكة، بينما تغمرنا أجواء المرح والفرح.

مرّت نصف ساعة. انتهينا من الطعام والغناء، لكني لاحظت انطفاءً غريبًا في عيني إنجي. وقبل أن أسألها، سمعنا ضحكة عالية من رانيا وهي تنظر إلى هاتفها. سألتها سلمى:

– ما تضحكينا معاكي؟

– بكلم هبة بنت خالتي، بتقولي أمها حالفة ماتباتش في البيت عشان لون شعرها الجديد وعايزاني أجيب لها صبغة وأنا مروحة.

– ليه؟ صبغته إيه؟

سألتها شيرين، فأجابت رانيا:

– تخيلي، خليت نصه أحمر ونصه أبيض.

– مش دي بنت خالتك اللي بتشوف واحد مش موجود؟

قالت شيرين، فردّت رانيا بابتسامة:

– آه، هي عندها فصام، ومن فترة اكتشفنا إنها بايبولار كمان.

– يعني إيه؟

سألت إنجي باهتمام، فأجابت رانيا:

– يعني مودها بيتقلب، بس مش زينا كده، لأ أكتر. أوقات بتمر بنوبات هوس، يعني عندها طاقة زيادة وشعنونة بتخليها تعمل حاجات غريبة زي صبغة الشعر دي، بس دي نوبات خفيفة كدة.

قالت إنجي:

– أنا برضو لما شفتها أول مرة مع ياسمين، حسيت إنها مش طبيعية.

غمزتُ بعيني لإنجي، لكن رانيا استقبلت حديثها بسلاسة ولم تغضب منها.

خلال الحوار، بدا على سلمى الإرهاق الشديد، صدرها يعلو ويهبط بصعوبة، وكأنها تكافح لتتنفس. قلقنا جميعًا، لكنها قالت بهدوء تطمئننا:

– أنا كويسة، ماتقلقوش... بس تعبانة من الحمل.

ابتهجنا جميعًا عندما علمنا بحملها الثاني، وباركنا لها ثم ضحكت إنجي وقالت:

– مش كنتِ بتتريقي عليّا عشان خلفت طفلين ورا بعض، وبتقولي بالعافية هربي واحد؟ أهو بقيتي زيي!

ظهر على وجه سلمى انزعاج من التعليقات الساخرة، بدت وكأنها تخفي حزنًا ما. أما رانيا، فالتزمت الصمت. أزعجها خبر الحمل. تذكّرت تلميحات ماجد عن انقطاع علاقته بزوجته، إذًا كان يكذب. لماذا؟ هل حقًا جميع الرجال كاذبون كما تقول هبة؟

قطعت حبل أفكارها وسألتها عن إنجي:

– أنا حاسة إن فيها حاجة غريبة النهاردة.

– حاجة إيه؟ أنا شايفة إنها فرحانة بينا يمكن اتفاجئت بس.

لكن لم أستطع تجاهل شعوري. انسحبتُ بهدوء خلف إنجي وهي تجمع الأطباق لتغسلها.

سلمى استلقت على الأريكة في الصالة، وفتحت رانيا هاتفها لتعبث به قليلًا. سمعُ شيرين وهي تشرب المياه الغازية، صوت إياد يتسلل من الهاتف، فقشعرّ بدنها. وتصنّعت الجهل وسألتها:

– بتشوفي إيه؟

– بتفرج على فيديو لكاتب اسمه إياد الرومي بيستلم جايزة عن روايته.

– ليكي في الروايات؟

– مش أوي، بس أنا متابعة لايفاته على تيك توك، إنسان محترم وراقي جدًا.

كتمت شيرين ضحكة داخلها، ساذجة رانيا! إياد رجل محترم؟ وهي زوجة مخلصة؟ لا أحد يعرف الحقيقة.

عدتُ من المطبخ حاملة الأطباق، بدا أن شيرين ارتبكت حين رأتني. ربما ظنت أنني قرأت أفكارها، فشعرت بالخزي مني خاصة وأنها حدثتني من قبل عن علاقتها بإياد. لكنها لم تكن تعرف أنني بالكاد أذكر التفاصيل. شغلني أمرٌ آخر: إنجي تخفي سرًا.

قبل أن أعود، سمعت صوت إشعار على الهاتف، التقطته، وصرخت:

– Yes! Yes!

أسرع الجميع يسألونني عن السبب، فأخبرتهم أنه تم قبولي في اختبار تمثيل لمسرحية جديدة. ضحكوا، لم يتوقع أحد أنني أفكر في التمثيل، إلا

إنجي. انفرجت شفتاها قليلًا لتظهر ابتسامة باهتة، تأكدت حينها أن هناك ما يشغلها.

– إنجي، فيكي إيه؟

سألتها بوضوح. ترددت في البداية، وحاولت التهرب من الإجابة، لكني أصريت عليها، حتى اعترفت بأنها ستُجري غدًا عملية بسيطة لإزالة ورم حميد في المبيض. صُدمنا جميعًا. هل هذا هو سبب تأخر دورتها؟ لقد خافت أن يكون سن يأس مبكر، لكنه ورم.

حين رأت ذهولنا وخوفنا عليها حاولت التهوين علينا وقالت:

–ماتقلقوش يا بنات، ده ورم حميد، وهابقى بخير بإذن الله. ادعوا لي.

سألتها سلمى إن كانت أخبرت أولادها، فأجابت بالنفي. لا تريد إزعاجهم. سألتها من سيرافقها في العملية، فقالت:

– لا أحد.

قالتها ببساطة، كأنها معتادة على وحدتها. لكني قررت أن أرافقها، وكذلك شيرين.

وهكذا، انتهى يوم بدأ بالفرح والضحك، وانقلب إلى قلق وترقّب.

****

(124) سلمى

كانت الأيام الماضية عصيبة على ماجد وسلمى. شعر ماجد بأنه خذل سلمى كثيرًا، ولم يعد يحتمل رؤيتها منطفئة ومكسورة. قرر أن يعود إلى المنزل قبلها، حاملاً باقة من الورد الجوري الأحمر الذي تفضّله. ترك ابنهما عند والدته، والمنزل خالٍ الليلة.

حين عادت سلمى إلى البيت، وجدته غارقًا في الظلمة. وما إن أشعلت أحد الأنوار حتى فوجئت بمائدة الطعام مفروشة بالورد الأحمر. لم تصدق عينيها. هل عاد ماجد القديم؟ ماجد الذي أحبّته؟ ومثل مشهدٍ من فيلم رومانسي، ما إن التفتت خلفها حتى ضمّها ماجد بحنان، وابتسم وهو يقدّم لها الباقة.

ابتسمت سلمى، وعيناها تلمعان بدموع المفاجأة والفرح. انحنى ماجد أمامها ليكون في مستوى بطنها، وقال بابتسامة هادئة:

_هكون أسعد إنسان في الدنيا لو جالي طفل تاني منك، من سلمى، حبيبتي وأجمل بنت في الدنيا.

اختار كلماته بعناية. يعلم أن سلمى حزنت لأنها ظنّت أنه لا يرغب في طفل آخر منها، بينما هو فقط كان مثقلًا بالضغوط المادية. حين نظر إلى وجهها، رآها تبكي من فرط التأثر. سلمى بطبعها رومانسية،

وهو يعرف ذلك، لكنه كان يتساءل أحيانًا إن كانت تملك نصف احتياطي العالم من الدموع!

اقترب منها واحتضنها. شعرت سلمى حينها أنها استعادت ماجد الذي طالما اشتاقت إليه، لكنها لم تكن تراه إلا في لمحات متباعدة. ورغم قلتها، كانت هذه اللمحات كافية لها لتشعر بالامتنان لوجوده في حياتها.

قرر ماجد ألا يكلّفها عناء إعداد العشاء، فطلب طعامًا جاهزًا على ذوقها، يراعي وحمها. وعلى الرغم من معرفتها أن هذه النسخة الحنونة من ماجد لا تدوم طويلًا، قررت أن تستمتع باللحظة.

بعد انتهائهما من الطعام، وضع ماجد رأسه على ساقيها، ومسحت على شعره كطفلًا في حضن والدته. وسط هذا الأمان، بدأ يفضي بما في قلبه، وحين التقت عيناه بعينيها المتدفئتين بالحنان، قال بصوت خفيض كأنما يهمس من أعماقه:

_سلمى، أنا ما كانش قصدي أجرحك لما اتكلمت عن الطلاق...

تهدج صوته وانقطع نفسه، فاستمرت هي في مسح شعره لتهدئه، فأكمل:

_أنا ساعات بحس إن كل حاجة كبيرة عليّا. المسؤولية كبيرة، وبقول لنفسي: هو أنا غلطت لما قررت أفتح بيت؟ ولا هي الظروف الصعبة على الكل؟ ولا أنا مش قدّها؟

بدأ صوته يختنق ويخفت، لكن سلمى كانت تسمعه بقلبها قبل أذنيها.

_الكلام ده صعب عليّا أقوله ليكي. صعب أخلّيكي تحسي إن الراجل اللي اخترتيه مش قادر...

ثم بكى. فقربته سلمى إلى صدرها وضمّته، وقالت:

_ومين قالك إني أنا كمان مش بقول لنفسي إني اتورطت؟ وإن حوار الأمومة ده أكبر مني؟! أنا ساعات كنت بعيّط زي الأطفال لما بتعب، كنت بستنى حد كبير ياخدني في حضنه ويقولي أعمل إيه... وكل مرة أستغرب إني أنا الكبيرة.

لاحظت سلمى دموع ماجد تنساب بهدوء على خديه، فمسحتها بمحبة ورفق. في تلك اللحظة، شعرت أنها تتحدث مع شريك حياتها، لا مجرد حبيب. لم يكن ما يجمعهما الآن مجرد الحب واللهفة، بل مشاركة حقيقية في التعب، في ثقل المسؤولية، وفي الرغبة السرية للهروب منها.

وربما كان كلٌّ منهما يخفي هذه الرغبة عن الآخر، أما الآن فلم يعد هناك داعٍ للإخفاء. شعر كلاهما أن الرابط الذي يجمعهما ازداد عمقًا بعد هذا الحديث الصادق.

****

(125) منزل هبة

استقبلت هبة صديقتها رانيا بلهفة، وقالت وهي تضحك:

_اتأخرتِ ليه؟ أمي من الصبح ماسكة لي الشبشب!

دخلت رانيا، لتجد والدة هبة بانتظارهما، والتي بادرت بالشكوى منها لرانيا حاولت رانيا تهدئة الأجواء المتوترة بين الأم وابنتها، ثم أخبرتها أنها أحضرت صبغة الشعر، وستُعيد لون شعر هبة إلى لونه الطبيعي.

حين سبقتها هبة إلى الغرفة، اقتربت رانيا من خالتها، وقالت لها بنبرة جادة ألا تُعذر هبة دائمًا على تصرفاتها، لأنها كثيرًا ما تكون تحت تأثير نوبات الهوس التي تؤثر على قراراتها. ابتسمت لها الأم في تفهم، وكأنها تشكرها على هذا التوضيح الصادق.

حين دخلت رانيا الغرفة، بدأت في صبغ خصلات شعر هبة، لكنها لم تتكلم. ساد صمت ثقيل، كأن الغرفة امتلأت بضباب لا يُرى. ملت هبة من هذا الصمت، فقالت:

_مالك؟

_مفيش...

فهمت هبة أن رانيا لا تزال متأثرة بما حدث، وحاولت أن تُخرجها من قوقعة حزنها:

_لسه بتفكّري فيه؟

أجابت رانيا بانكسار:

_نادر لا.. زي ما قولتي هو مكانش حب حياتي يعني

قالت هبة سريعًا:

_آه فهمت يبقى فادي! هو مين اللي هينكدك كدة غيره

- **وانا جاية ليكي، فجأة ظهر لي أكونت مراته وكانت حاطة صورته هو وابنه، رغم السنين اللي عدت لكن رجع ليا كل الوجع لما شفته مبسوط في حياته**

- **مين قالك إنه مبسوط؟ وبعدين ده خاين! خانك معاها، وحتى لما خطبها، كان بيحاول يوصلك، حاول يقنعني تتكلموا بعد ما عملتيله بلوك في كل حتة!**

تغيرت ملامح رانيا. لم تكن تعلم أنه حاول الوصول إليها عن طريق هبة. كانت تظن أنه استسلم، بينما كانت هبة الحصن الذي وقف بينه وبينها. قالت بحدة:

_إزاي ماقولتليش حاجة زي كده؟!

ردت هبة دون تردد:

_وأقولك ليه؟ إنتِ كنتِ بتتعافي منه، وخلاص قربت تنسيه.

_بس كان لازم أعرف

_يا متخلفة افهمي، أنا كان لازم أتأكد الأول: هو فعلاً بيتكلم جد ولا لأ؟

ظهرت على رانيا علامات عدم الاقتناع، فأكملت هبة:

_بصي يا رانيا، أنا لما فادي كلمني، اديتهم له في وشه إنت عارفني مابزوقش الكلام قولتله: "إنت أذيت صاحبتي وتعبتها، وغدرت بيها، وأنا ماحبش أتصدرلك في حاجة المرة دي عشان لو خذلتها تاني الجرح المرة دي هايكون أعمق". ماكنتش أقدر أغامر بمشاعرك، ولو حتى بنسبة واحد في المية إنها تتأذي. كان لازم أتأكد إنه مش كداب... ولما اتأكدت؟!

صمتت لحظة ثم تابعت بحماس:

_الباشا طلع لسه خاطب عادي، وبيكدب. وطبيعي... اللي يكدب مرة، يكدب ألف مرة. مكانش جد. كان عايز يستغل مشاعرك. وقتها، رحت له المطعم، واتخانقت معاه خناقة لرب السما! وهو بيخاف مني عشان عارف جناني وهددته إني هابعت رسايله لخطيبته، وهو جبان... سكت، وبطل يتحجنل حواليكِ!

قالت رانيا بتأثر وعيونها تلمع كمن اكتشف خيانة عالم بأكمله:

_طب ليه يعمل كل ده؟

_يا حمارة افهمي هو ماحبكيش من الأول، فادي ده أناني، شايفك مجرد ممسحة مشاعر... يفضي عندها همّه، وبعدين يختفي. من غير ما يبقى فيه التزام واضح ناحيتك. ! وحتى لو كان صادق، أنا ما أرضاش ليكي تبقي مع واحد غشك وخدعك. إنتِ كتيرة عليه، مش قاعدة رهن إشارة منه ..يا رانيا، افهمي!

بدأت خيوط كثيرة تتشابك داخل عقل رانيا، كأنها تحاول فك لغز ظل غامضًا لسنوات. تذكرت حين اقترحت عليها هبة أن تعطي الهاتف لأخيها إذا اتصل بها فادي، لترى ردة فعله. وحين فعلت، كذب فادي، وتحجج بأنه أخطأ في الرقم. رأت بعينيها كم هو كاذب، وعديم الرجولة، وجبان... تمامًا كما وصفته هبة.

جمعت رانيا كل ما فعلته هبة من أجلها، ورأت للمرة الأولى أن الحب الذي كانت تبحث عنه، لم يكن مع فادي... بل كان يسكن قلب صديقتها طوال الوقت. كيف لم تره كل هذه السنين؟

وكذلك، كانت هبة تقاتل لحماية قلب رانيا، معتقدة أنها تثأر لنفسها. لكنها لم تكن تعلم، أنها ترى في رانيا صورة والدتها حين غدر بها والدها، وكانت ترى في فادي نسخة مصغّرة منه في تهربه من مسؤوليته، لقد خشت أن تُعاد قصة طفولتها مرة أخرى. ومن يومها، أقسمت أن تمنع التاريخ من أن يعيد نفسه.

حاولت هبة أن تخرج الحديث من جديته المفركة فقالت ممازحة رانيا

ـوبعدين حتى لو افترصنا ان ديل الكلب اتعدل ومخانش مراته، كفاية عليها ريحة بؤقه وهو بيوسها

لم تقدر رانيا أن تمنع نفسها من الضحك، هكذا هي هبة تحول كل موقف إلى مزحة، كانت طريقتها في حماية نفسها من الانهيار هي التهكم والسخرية اللاذعة ممن يؤلمها حتى تستطع أن تحفظ توازنها.

(126) منزل رانيا

في صباح اليوم التالي، حين استيقظت رانيا، لم تتحدث كثيرًا مع والدتها. فهكذا كانت عادتهن بعد أي مواجهة عاطفية قوية؛ يكتفين بتبادل المعلومات الأساسية.

لكن رانيا لاحظت مدى اضطراب والدتها. وجهها مكفهر وكئيب، وجفناها متورمان كأنها لم تنم جيدًا.

سألتها رانيا عمّا بها، فأجابت باقتضاب، دون أن تطيل النظر إلى وجه ابنتها، بأنها مصابة بصداع شديد وإرهاق منذ الأمس.

حينها أدركت رانيا أثر كلماتها على والدتها. لقد أُصيبت بالصداع عقب مشاجرتهما مباشرة.

ذهبت رانيا إلى العمل وهي تفكر فيها.

ماذا فعلت بها؟

كانت الطفلة التي في داخلها لا تزال تتوق إلى أن تُظهر وجعها أمام والدتها، على أمل أن تضمها إلى صدرها فتُشفى.

لكنها لم تلاحظ أن المرأة المسنّة الجالسة معها لم تعد الأم الشابة التي كانت تعنّفها وهي صغيرة.

تحميلها الذنب الآن لن يُضمد جراحها، بل سيترك كلتيهما جرحى.

قررت رانيا ألّا تبحث عن اعترافٍ بوجعها من والدتها.

يبدو أن هناك نوعًا من الألم يجب أن يحتفظ به المرء لنفسه، وأن يطيب جرحه بيده.

في وقت لاحق من اليوم، تواصلت رانيا معنا لتطمئن على حالة إنجي.

أخبرناها أنها ستدخل غرفة العمليات الآن، وطلبنا منها أن تدعو لها، وأكدنا لها أنني وشيرين بجانبها.

وعدتني أنها ستعاود الاتصال حين تخرج إنجي من العمليات.

وبعد انتهاء العمل، عادت رانيا إلى المنزل ومعها حبوب مسكن لوالدتها.

كانت تعلم أن عِلّة والدتها ليست جسدية، بل شعورها بالذنب، ربما لأنها تخشى أن تكون قد أخطأت يومًا في حق ابنتها.

هكذا هم الآباء؛ تخيفهم فكرة أنهم مسؤولون عن شخص مدى الحياة.

وأي حديث عن تقصير محتمل في حق أبنائهم يصاحبه وجع شديد يدفعهم إلى إنكار وجود الأذى من الأساس.

وهذا ما فهمته رانيا.

قدّمت لوالدتها حبوب المسكن، واعتذرت عمّا قالته بالأمس.

تحجّجت بأنها كانت في مزاج سيئ بعدما علمت بخطبة نادر، وأخبرتها أنه قد لمح برغبته في الزواج منها في السابق، ولهذا أفرغت غضبها عليها، وعاتبتها على ذكريات الماضي.

صدّقتها الأم، وكانت تريد أن تصدّقها، فقط لتتخلص من شعورها بالذنب.

ابتسمت رانيا حين رأت أن والدتها لم تعد تشكو من وجع رأسها.

وفي المساء، قامت والدتها بصنع صينية "مكرونة بشاميل" لها، لأنها تعرف أنها أكلتها المفضّلة.

كانت تلك طريقتها في الاعتذار لابنتها.

مثّلت رانيا السعادة والهناء، فقط لتُخرج والدتها من الشعور بالذنب.

وقد تعلمت أن بعض الأوجاع ملكٌ شخصي، لا يجب أن يشاركها فيها أحد.

****

(127) المستشفى

عند حلول المساء، أفاقت إنجي من تأثير المخدر. أخبرنا الطبيب أنها تستطيع مغادرة المستشفى اليوم أو غدًا، لكن إنجي أصرت على الخروج، حتى لا تترك أولادها وحدهم.

سألتها شيرين:

– هما فين دلوقتي يا إنجي؟

أجابت:

– موجودين عند خالتهم.

فانفعلت شيرين:

– وإزاي أختك ماجتش تبقى معاكي في يوم زي ده؟

ردّت إنجي بصوت خافت:

– كويس إنها سابت الولاد عندها. من وقت ما اتطلقت، وعلاقتي بجوزها مش كويسة.

خطر ببالي فجأة أن أطرح السؤال الذي طالما تجنبناه مع إنجي، فقلت في لحظة صدق:

– إنجي، هو إنتِ ناوية تتجوزي تاني؟ أكيد سمعتي الكلام اللي بيتقال عنك.

لاحظت تغير وجه شيرين، وكأنها تخبرني بنظرة أن هذا ليس الوقت المناسب. لكن إنجي أجابتني بسخرية:

– أتجوز؟ مين اللي ممكن يتجوزني وأنا سابحة ولدين ورايا؟

زمان، لما اتطلقت، بعد سنة ولا اتنين، بدأت أحس بالوحدة فعلًا. خوفت سنين عمري تضيع قدامي. رغم إني كنت بقول إني اتعقدت من الرجالة، بس يمكن جه في بالي إني هقابل الراجل المختلف، اللي يعوّضني عن كل اللي حصلي.

سألتها بلهفة ساذجة:

– يعني... ماقابلتيش الراجل المختلف ده؟

ردّت بابتسامة حزينة:

– لأ. إحنا ماعندناش غير الراجل المتخلف.

لكن "المختلف"؟ ده مش موجود.

كل العروض اللي جاتلي كانت بتأكد لي إني بقيت "مستعملة"، زي ما بيقولوا "كسر".

وجدت شيرين أن الحديث بدأ يأخذ منحًى حزينًا، فربّتت بخفة على مؤخرة إنجي وهي تبتسم:

– أكيد نسيت الحاجات دي خلاص.

تألمت إنجي قليلًا، ثم ابتسمت وهي تقول:

– حاجات إيه؟ أنا أصلًا لما حاولت أفكّر نفسي إني أنثى، الناس كلها قالت إني عايزة أتجوز.

خلال حديث إنجي وشيرين، انسحبت داخل نفسي. بدأت أغرق في أفكاري وخيالاتي، حتى سمعت شيرين تناديني باسمي لكن صوت أفكاري كان أعلى بكثير، رجعت مخاوفي تتجسد أمامي، التفت إليهن، حاولتا الحديث معي، لكني كنت في عالم آخر، كنت على وشك البكاء من جراء

وهن تنظران لي بدهشة لم أجد إجابة كافية تصف لهن العذاب الذي

أعيشه منذ شهور فقلت في وهن

– أنا تعبانة أنا هتجنن.. أنا لازم أشوف ثيرابست.

بعد مرور ثلاثة أشهر...

استعادت إنجي عافيتها من جديد، وبدأ بطن سلمى يتكوّر أكثر فأكثر.

علمت أنها حامل بتوأم، لم يكن ذلك الاكتشاف سعيدًا لها ولماجد، لكنهما تقبّلاه في النهاية.

أما هبة، فقد انتظمت في مواعيد الدواء والجلسات النفسية، وأصبحت أكثر توازنًا من ذي قبل، واستطاعت مواصلة عملها كطبيبة، لكنها ظلّت عدوة للرجال، حادّة المزاج.

رانيا، من جهتها، التزمت دينيًا فجأة بعد ما مرّت به من صدمات عاطفية، ومع ذلك، لا نزال نلاحظ مسحة حزن خافتة تلازمها أينما كانت، حتى وإن أخفتها خلف ستار من المزاح والسخرية.

وعن شيرين أصبح همها الوحيد إصلاح علاقتها مع أطفالها من جديد وترميم ما نبقى من تشوهات في أرواحهم بعد كل ما مروا به من تجارب مؤلمة، لازالت لم ترى نتيجة واضحة لمجهودها لكنها لن تكف عن المحاولة

أما أنا، فقد كنت أعيش أفضل أيام حياتي على خشبة المسرح، وكأنني أكتشف العالم من جديد، وأدركت أنني أشغل حيّزًا منه، وأنني أستطيع تغييره.

كان المسرح صوتي الحقيقي، لطالما كانت الكتابة وسيلتي للتعبير، أما هنا، فأنا أسمع صوتي فعلًا. أتحكم في نبرته، في حركة جسدي، في تشكيل انفعالاتي. في البداية، واجهت صعوبة كبيرة في استخدام صوتي الحقيقي؛ كان خافتًا بشكل ملحوظ، وكأنني أخشى الحديث، أخشى أن يعرف أحد أنني هنا. كنت أتلو جملي بسرعة شديدة، دون أن أُحسّ بكل كلمة.

لكن مخرج العرض، وزملائي أيضًا، شجّعوني كثيرًا، حتى استطعت تلوين صوتي كما أشاء:

تارة أكون طفلة صغيرة ترغب في الحلوى،

وتارة امرأة عجوز متعبة تحتاج إلى دواء،

أحيانًا فتاة شعبية تتحدث باللهجة الدارجة،

وأحيانًا أخرى أجنبية بالكاد تستطيع نطق جملتين.

وكل هذا... كان أنا.

لم يكن يعكر صفوي شيء، إلا أنني لا أزال غير قادرة على إخبار والدتي. ناقشت هذا الأمر مع معالجتي النفسية هذا الأسبوع. بالمناسبة، نسيت أن أخبركم أنني أزور معالِجة نفسية... لأتخلّص من نوبات الهلع.

والآن، أود أن أقول لكم شيئًا... لقد استمتعت كثيرًا وأنا أكتب هذه الرواية.

عشت تجربة كل شخصية بعمق، ربما لن تشاركونني هذا الإحساس لعجزي عن نقل كل تفاصيل المشاعر، لكنني سعيدة بما كتبته، وبالزمن الذي قضيته معهنّ.

آه، كدت أنسى...

لم أخبركم بما حدث لأياد.

سأترك إياد يخبركم بنفسه.

****

إياد

أعطتني الحياة كثيرًا، وربما أكثر مما تمنيت. منذ فترة، تم تكريمي وحصلت على جائزة مهمة. لم تكن الجائزة الأولى في مسيرتي، لكن الجديد هو احتفاء النقّاد بي، أولئك الذين لطالما هاجموني. حققتُ مبيعات ممتازة، وتلقيت عرضًا لتقديم محتوى جلساتي المباشرة على تيك توك ضمن برنامج محترف، من إنتاج جهة مهمة على إحدى المنصات الإلكترونية، وبهذا أصبحت أموري المادية مستقرة إلى حدٍّ كبير.

فيما مضى، كانت هذه أقصى أحلامي: أن يُعترف بي ككاتب ناجح ومهم. وها أنا الآن أرى العالم ينحني لي ككاتب، ولكن، ورغم تحقق أهم

أحلامي، بقي بداخلي ذلك الفراغ المؤلم. لقد توحدت كثيرًا مع شخصية الكاتب، لكن اتضح لي أخيرًا أنني لا أستطيع أن أعيش الحياة بهذه الهوية فقط.

فكرت: ماذا ينقصني؟ لا لأكون سعيدًا، بل لأكتمل كإنسان. إنها الأسرة. لا يكتمل أي إنسان دون أسرة. النجاح المهني لا يُغني عن امرأة تحبك وأطفال ينتمون إليك.

ويبدو أنني سأفعل ما كنت أسخر منه في السابق: اللجوء إلى الزواج كورقة أخيرة في مواجهة الحياة. استقرّيت على الفكرة، وبقي فقط اختيار الفتاة التي يمكنها أن تؤدي دور زوجتي.

بالتأكيد لن تكون "ملك"، ولن أعترف بابن لم أختر وجوده، ولم أره وهو يكبر.

ظهرت في حياتي سمر، شابة ما زالت تدرس في الجامعة. التقينا خلال دعوة لمناقشة إحدى رواياتي. بدت متحمسة جدًا لي، ورأيت في عينيها تلك اللمعة التي تميز الشباب. لا تزال صغيرة، تعتقد أنها تستطيع تغيير العالم، وأن الحب هو أعظم قوة فيه. ناقشتني بحماسة، تدافع عن قوة الحب في التغيير والإصلاح. هنيئًا لها، لم تدرك بعد كيف يمكن للحياة

أن تغيّرنا، وأن الحب الذي تعوّل عليه ليس سوى كائن هش، كقطة تحاول مهاجمة أسد.

لكنني قررت أن هذه الفتاة يمكن أن تصبح زوجتي. طمعت في براءتها لترمّم قلبي الذي أنهكته الحياة. كنت بحاجة إلى شريكة لم تفرغ قلبها من الاحتواء بسبب تجاربها المؤلمة. مشاعرها لا تزال خامة، نقية، تُقدَّم بجودة عالية لا يشوبها خوف من ألمٍ سابق.

أما أنا، فقد كان من السهل جدًا أن أجعلها تحبني. فارق السن والثقافة والخبرة بيننا يجعلها، كلما فتحتُ فمي، تراني كالرجل الحكيم العارف ببواطن الأمور. حاولت أن تسحرني أيضًا، وكأنها تحاول الانتصار على جميع من سبقنها في حياتي، لتشعر بتميزها هي. لم تكن بحاجة لبذل هذا المجهود، فحبي لها لا يعتمد على ما تقدمه لي، بل على هشاشتي النفسية التي جعلتني أقدّر كل لمسة حب طاهرة. ومع ذلك، جعلتها تشعر أنها مميزة أكثر من جميع من عرفت، وأن تغييري لقراري بالعزوف عن الزواج نابع من شخصيتها المختلفة، لا من توقيت ظهورها في حياتي بعد أن قضت عليّ الوحدة.

صدقتني المسكينة، وتحدّت والدتها التي اعترضت على فارق السن بيننا، وتمت خطبتنا فعلًا. كنت سعيدًا معها، فكل رجل، مهما أنكر، يرغب في امرأة تنبهر به.

وفي أحد الأيام، وأنا أتصفح صفحتي على فيسبوك، صُدمت حين رأيت منشورًا عن سوزانا، تظهر فيه في أحد المستشفيات. لم تكن هي من نشرت المنشور، بل أحد زملائها. كانت قد أصيبت بعدوى، لكن صاحب المنشور أوضح أن العدوى ليست خطيرة، ولا داعي للقلق، وأن الجميع يتمنى لها الشفاء العاجل.

مرت أسابيع، وبدأت شهادات الناس تُنشر على صفحتها، يتحدثون عن إنسانيتها وتعاطفها، خاصة مع الأطفال الذين تعلّقوا بها كثيرًا أثناء تعليمها لهم الرسم. تمنيت لها الشفاء مع الجميع، لكنني تفاجأت، لم أكن أعلم أن لسوزانا كل هذا الجانب الإنساني. بدت لي دائمًا كطفلة أنانية، لا تهتم إلا بنفسها. هل يمكن أن تغيّرها الحياة بهذه القوة في فترة قصيرة؟ أم أنني أنا من أخطأت في الحكم عليها منذ البداية؟

وفي يوم لم أكن أعلم أنه سيكون كئيبًا، قرأت خبر وفاتها. صُدمت بشدة. قالوا إن حالتها ليست خطيرة، فماذا حدث؟ الجميع توقع الشفاء، إلا أن حالتها تدهورت فجأة في الأسابيع الأخيرة.

من شدة صدمتي، أرسلت لها على الخاص، أسألها إن كان الخبر حقيقيًّا.

لا أعرف كيف خُيِّل لي أنها ستجيب، وتضحك، وتقول إن الأمر مجرد مزحة. لكن أجابني أحد رفاقها وأكد أن الخبر صحيح.

قضيت يومًا كاملًا في حالة صدمة وحداد، لم أغادر منزلي، ولم أُجب حتى على مكالمات سمر.

كيف نفقد هذه الشابة اليافعة بهذه السهولة؟ لم تكن إصابتها خطيرة، بينما فرح أصيبت بمرض خبيث ثم تعافت، لكنها قتلت نفسها. أما سوزانا، فقد قُتلت وهي تبحث عن الحياة.

****

اقترب موعد زفافي، ولم يتبقَّ سوى شهر واحد فقط.

لكن كلما اقترب، شعرتُ بضيقٍ يثقل صدري.

الجميع يُطمئنني بأن هذا طبيعي، فأنا على وشك أن أغيّر حياتي التي اعتدتها، وأبدأ حياةً جديدة.

لكن الحقيقة أن التوتر المصاحب لهذه المرحلة لم يكن وحده ما يُتعبني.

لقد أدركت أنني واقعٌ في غرام وحدتي.

ربما أنا مثل ملك اعتدت الألم وأحببته.

حاولت كثيرًا أن أشتّت ذهني عن هذه الأفكار، لكن لا شيء نفع. ابتعدت عن الأصدقاء، وكلما سمعتُ أحدهم يهنئني ويسألني عن موعد العرس، شعرت بحريقٍ في أحشائي.

قضيت أيامًا وحدي في المنزل، أفكر وأفكر...

هل أنا حقًا قادر على الزواج؟

لقد عشتُ نصف عمري عازبًا، فهل يمكنني أن أتغير؟

وفي لحظةٍ من الصدق القاسي، تخليت عن سمر... في أكثر الأوقات حساسية.

حين أخبرتها، رأيت الصدمة في عينيها، ثم تبعتها نظرات التوسل ومحاولات الإصلاح.

كانت تظن أنني فقط خائف، وأن بضع كلمات مشجعة ستكفي لتغيير قراري.

لكن القرار كان قد اتُّخذ... بلا رجعة.

ثم انزوت في ركنٍ ما.

خانتها دمعة انزلقت من عينها، حاولت لاحقًا أن تمحوها، متشبثة ببعض الكرامة، ثم مضت في صمت.

كنت أعرف ماذا ستفعل لاحقًا.

ربما تكرهني، وتكره جميع الرجال من بعدي.

ربما تتحدث كثيرًا عن "التجاوز"، في محاولة للسيطرة على ألمٍ داخلي،

تتحدى به إنسانيتها وكرامتها المجروحة.

وربما تقضي عمرها كله تحاول أن تثبت لي أنها كانت "كافية"، وأنني أنا

الخاسر الوحيد.

أو ربما تتجاوزني فعلًا، وتؤسس حياة سعيدة، مستقرة... مع غيري.

لا أعرف ماذا سيحلّ بها.

كل ما أعرفه، يا سمر، هو أنك لم تفقدي شيئًا ذا قيمة.

فأنا خواء من الداخل.

لا تنتظري من الحياة أن تنتقم لكِ مني، فقد عاقبتني بالفعل، ولكن

بطريقتها الخاصة... بطريقة لم أكن أتوقعها.

لقد حققت كل أحلامي.

منحتني الحياة النجاح، والشهرة، وامرأةً تحبني.

فقط، لتُثبت لي أن المشكلة لم تكن فيما أملك... بل في داخلي.

ربما فقط الآن، أفهم قرار "سوزانا" حين تخلّت عن كل شيء.

سامحيني يا سمر،

أنا حقًا... لا أستحقك.

ولم أكد قد أنهيت رسالتي الأخيرة إلى سمر

حتى رأيتها واقفة أمامي،

بفستانها الأحمر الذي تحبه

وشعرها المموج كعادتها حين تشعر بالانتصار.

لقد عاد إليّ شبح "فرح"

وعلى وجهها ابتسامة شماتة

وقالت بثقة هادئة:

"كنت أعلم أنه لن تكون لك زوجةٌ أخرى غيري."

****

الطريقة السابقة: القبول

"الله لا يسمح لنا بأن نُجَرَّب فوق طاقتنا، بل هو أمين وعادل، ويجعل مع الضيقة المنفذ."

كنتُ أفكر في معنى هذه الآية وأنا في طريقي إلى البيت. لا يجب أن أخاف.

كل شيء سيحدث في الوقت المقدَّر له أن يحدث، وسأكون قادرة على التعامل معه.

توقيت الألم ليس مصادفة، بل يأتي حين أكون قادرة تمامًا على احتماله.

قررت أخيرًا أن أصارح والدتي بأنني أصبحتُ ممثلة، وأن غيابي في الآونة الأخيرة كان بسبب حضوري التدريبات استعدادًا للعرض.

كنت أرغب بشدة أن تشاهدني، أن تراني واقفة على خشبة المسرح

حين دخلتُ المنزل، سمعت صوت التلفاز، وكانت أمي جالسة في الصالة، والإضاءة خافتة بعض الشيء. تقدّمت إليها بخطى ثقيلة.

لا أعلم ما الذي أصابني، فالمسافة بين الباب والصالة قصيرة، ومع ذلك شعرت كأنني أقطع أميالًا.

اجتاحتني الذكريات...

كم مرة مشيتُ هذا الطريق لأقصّ عليها ما حدث لي؟

كم مرة ضحكنا، وبكينا، وتشاجرنا، وتصالحنا؟

انهالت الذكريات كالمطر، وقلبي يضيق دون أن أفهم لماذا.

ناديتها بصوت خائف مرتجف، كصوت طفلة تائهة:

– ماما...

لكن أحبالي الصوتية كانت ترتعش، ثم انتقلت الرعشة إلى جسدي كله.

أعدت النداء بصوت أكثر خفوتًا، منهكًا:

– ماما... ماما...

لقد تحقق المشهد الذي كتبته ذات يوم، وكأن الحياة قررت أن تؤدي دوري بالنيابة عني.

رحلت أمي تمامًا كما تخيّلتها... جالسة أمام التلفاز.

كان هناك ضجيج التلفاز، وضوضاء الشارع القادمة من النافذة، لكنني لم أكن أسمع شيئًا.

كأن العالم يتحرك من حولي، لكن الزمن توقف بي وحدي.

جاءت اللحظة التي طالما خفتُ منها، لكنني سمعت شيئًا...

ليس صوتًا يعبر الهواء، بل نداءً من قلبٍ يلفظ دقاته الأخيرة.

كان صوت أمي، يهمس بداخلي:

"الله لا يسمح أن تُجربي فوق طاقتك."

ربما لم تمت أمي في الحادث القديم، لأنني وقتها لم أكن قادرة على تحمّل فراقها.

لكن يبدو أن هذه اللحظة...

هي اللحظة التي رأى فيها الله أنني صرت قادرة. جاءتني قوة غريبة، لا أعرف من أين.

اتصلتُ بخالي، أخبرته أن يُحضر الطبيب، وأن يستعد لإجراءات الدفن والعزاء.

ثم نظرتُ إلى أمي نظرتي الأخيرة. تحجّرت الدموع في عيني، ولم أبكِ.

علمت أن الحياة لن تنتهي بموت أمي، لكنها ستبدأ الآن بشكل آخر.

حياةٌ جديدة... أنا فيها وحدي.

لكني، هذه المرة، أتقبل وحدتي.

لا بصدرٍ رحب، بل بقلبٍ لا يريد أن ينكسر.

لأنها كانت...

وصية أمي الأخيرة.

تمّت.